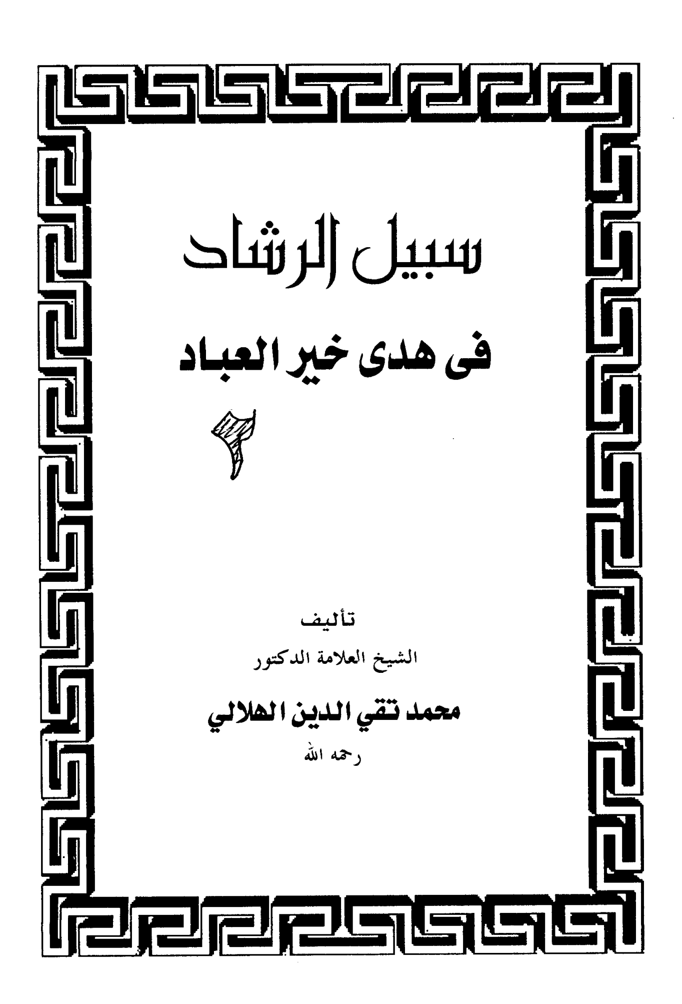


سبيل الرشاد

فى هدى خير العباد

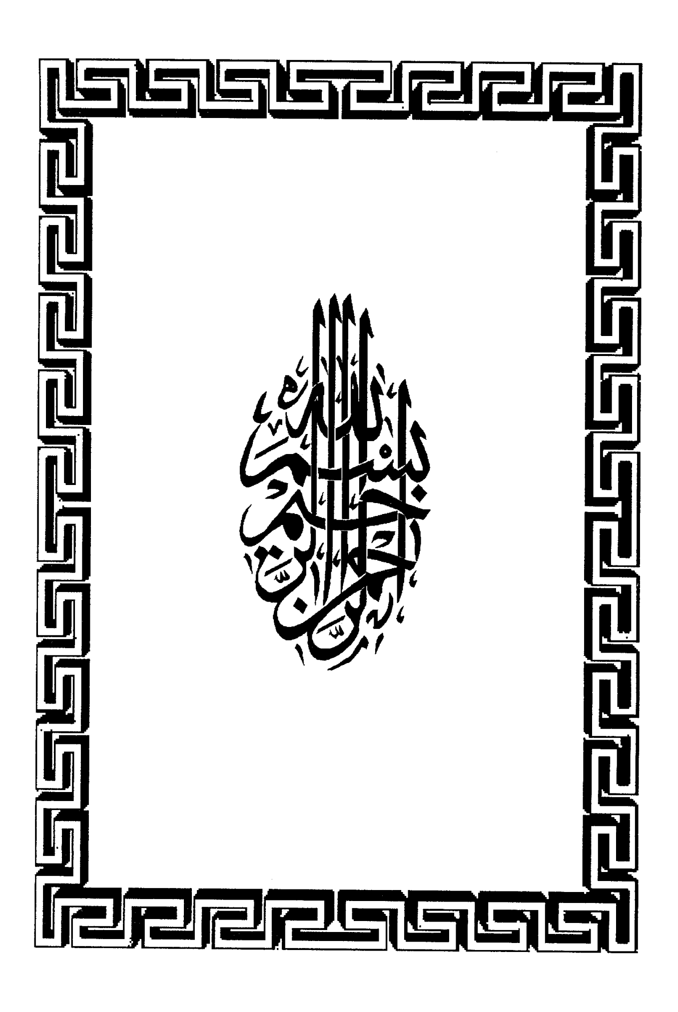
٢

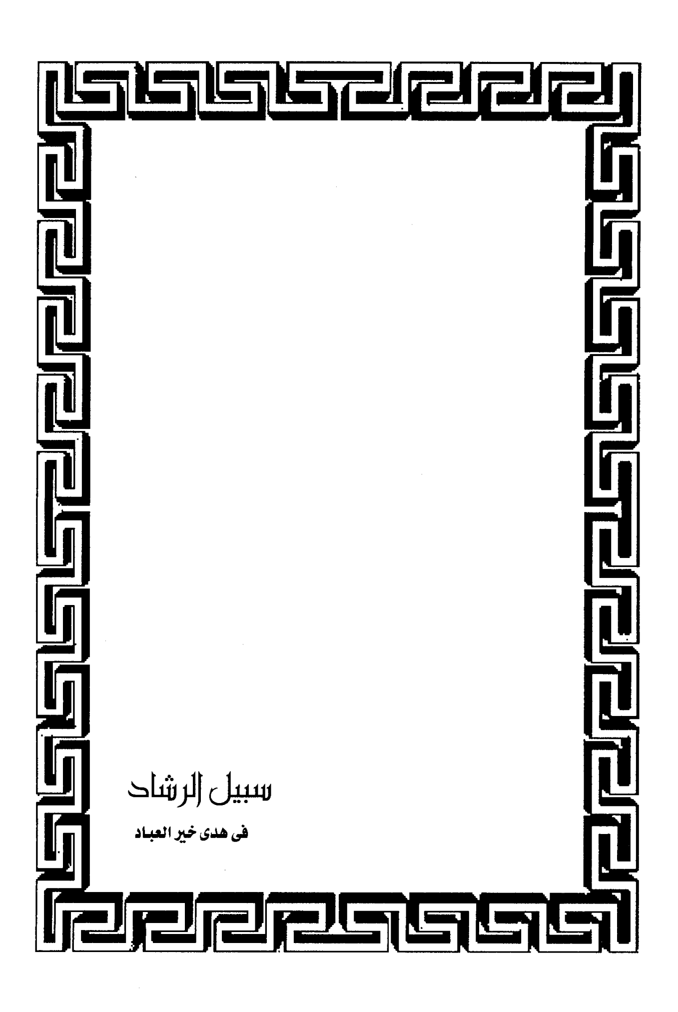
تأليف

الشيخ العلامة الدكتور

محمد تقي الدين الهلالي

رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم


سبيل الرشاد
فى هدى خير العباد

سورة الكهف

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ الآيات: ١٣-١٦

قال (ك) من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شبابا وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابا ألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو ﴿ **وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾.

استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ كما قال: ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ** ﴾ [(١)] وقال ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ [(٢)] وقال: ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ [(٣)] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على

---

(١) سورة محمد

(٢) التوبة.

(٣) الفتح

ذلك وقد أنكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فالله أعلم والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه مقدم على دين النصرانية والله أعلم، وقوله ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ يقول تعالى: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فإنه ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له «دقيانوس» وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليه وجاء الآخر فجلس إليه وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذين رواه البخاري تعليقا بسنده عن عائشة ﵂ قالت: « قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » والغرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم: تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره فقال آخر: أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الاخر: وأنا والله وقع لي كذلك وقال

الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبدا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى بقوله: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا** ﴾ ولن لنفي التأبيد أي لا يقع منا هذا أبدا لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال فيهم: ﴿ **لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ أي باطلا وكذبا وبهتانا ﴿ **هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ** ﴾ أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا واضحا صحيحا ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾، يقولون: بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء في الحديث « يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ** ﴾، أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضا بأبدانكم ﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته** ﴾ أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ﴿ **ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم** ﴾ أي الذي أنتم فيه ﴿ **مِّرْفَقًا** ﴾ أي أمرا ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرابا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال أنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجآ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جزع الصديق في قوله: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال: « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وقد قال تعالى:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الآيات: ٢٧-٢٩

قال (ك) : يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس **﴿ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾** أي لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل وقوله: **﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾** عن مجاهد: ملتحدا قال: ملجأ وعن قتادة: وليا ولا مولى قال ابن جرير: يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾** [2] وقال: **﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾** [3] أي سائلك عما فرض عليك

---

(١) سورة التوبة

(٢) سورة المائدة

(٣) سورة القصص

من إبلاغ الرسالة، وقوله: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه، ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يقال: إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ الآية وقال مسلم بسنده سعد بن أبي وقاص قال: « كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ [1] انفرد به مسلم دون البخاري، وقوله ﴿ **وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ قال ابن عباس: لا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا** ﴾ أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿ **وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه كما قال: ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن** ﴾ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾، هذا من باب الوعيد والتهديد الشديد ولهذا قال: ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا** ﴾ أرصدنا ﴿ **لِلظَّالِمِينَ** ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿ **نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ أي سورها ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ** ﴾ الآية، قال ابن عباس: المهل الماء الغليظ، مثل دردي الزيت، وقوله: ﴿ **بِئْسَ**

---

(١) سورة الأنعام

الشَّرَابُ ﴾ أي بئس هذا الشراب كما قال في الآية الأخرى ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [(١)] وقال تعالى: ﴿ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ [(٢)] أي حارة كما قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أي ساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما قال في الآية الاخرى ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [(٣)].

فصل

قال محمد تقي الدين: تضمنت هذه الآيات أموراً الأول: أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ، بتلاوة ما أنزل عليه وهو القرآن وأمته تابعة له في هذا الأمر، فما دامت تتلو القرآن وتعمل به وتتخذه إماما وحكما تكون سعيدة في دينها ودنياها، ولا كلمة فوق كلمتها، وإن لم تفعل ذلك شقيت في دينها ودنياها، كما هو واقع في هذا الزمان يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أى لا مهرب ولا ملجأ ولا ولى ولا نصير ولا منقذ ولا مخلص، الثانى: أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يصبر نفسه ﴿ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وإن كانوا فقراء محتقرين عند الأغنياء، محرومين من لذة العيش، ففى الكون معهم رضواء الله ومغفرته ورحمته، الأمر الثالث: نهى الله رسول الله ﷺ وأمته تبع له عن طاعة الغافلين عن ذكر الله المضيعين لأمر الله المتبعين أهواءهم، المفرطين في جنب الله، لأن طاعتهم فيها الخسران المبين. الأمر الرابع: أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يقول الحق ويعلنه عند من أحبه وعند من كرهه، فمن آمن واتبع فاز بالسعادة الأبدية، ومن كفر فإن الله له بالمرصاد، لا يضر إلا نفسه، فإن الله أعد للكافرين عذابا محيطا بهم، ولا نجاة لهم منه أبداً. أ هـ.

---

(١) محمد

(٢) الغاشية

(٣) سورة الفرقان.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الآيات: ٣٢-٤٣

قال (ك) يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين، أي بستانتين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزورع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ولهذا قال: ﴿ **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ**

أُكُلَهَا ﴾ أخرجت ثمرها ﴿ **وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا** ﴾ ولم تنقص منه شيئا ﴿ **وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا** ﴾ أي والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** ﴾ قيل: المراد به المال روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل: الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ** ﴾ بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس ﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ أي أكثر خدما وحشما وولدا، قال قتادة: تلك والله أمنية كثرة المال وعزة النفر، وقوله: ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** ﴾ أي بكفره وتمرده وتكبره وإنكاره المعاد ﴿ **قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** ﴾ وذلك اغترارا منه لما رأى فيهما من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها ظن أنها لا تفنى ولا تهلك ولا تتلف لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالاخرة ولهذا قال: ﴿ **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً** ﴾ أي كائنة ﴿ **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** ﴾ أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى ﴿ **وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى** ﴾ [١] وقال ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا** ﴾ [٢] أي في الدار الاخرة تألى على الله عز وجل وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان، ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** ﴾ الخ.

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار ﴿ **أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ** ﴾ الآية وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ** ﴾ [٣] كما قال تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ** ﴾ [٤]

---

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة مريم.

(٣) سورة السجدة

(٤) سورة البقرة.

الآية أي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه ولا يستند إلى شيء من المخلوقات لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ أي لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿ وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ هذا تحضيض وحث على ذلك أي هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » وقوله: ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ أي في الدار الاخرة ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾ أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى ﴿ حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهري: أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال: ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أي يلقاها ترابا أملس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس: كالجرز الذي لا ينبت شيئا وقوله: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ﴾ أي غائرا في الأرض وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [1] أي جار وسائح وقال ههنا: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر:

تظل جياده نوحا عليه ... تقلده أعنتها صفوفا

بمعنى نائحات عليه، وقوله: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ الآية، يقول تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ بأمواله أو بثماره على القول

---

(١) سورة الملك.

الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا** ﴾ وقال قتادة: يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التي أذهبها عليها ﴿ **وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ** ﴾ أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ﴿ **يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا** ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: أهم شيء عندنا في نقل هذه الآيات هو التحذير من الشرك بالله تعالى الذى يدل عليه قول المؤمن: ﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾ وقول الكافر بعد نزول العذاب به وذهاب أمواله: ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾ ومن ذلك نعلم أن المشرك وإن كان له جاه ومال فمآله إلى الخسران والندامة، وأن الموحد وإن كان فقيراً فمآله إلى الانتصار والغبطة.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ الآيات: ١٠٢ - ١٠٥

قال (ك) : يقول تعالى ﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء** ﴾ أي اعتقدوا أنهم يصلح لهم ذلك وينتفعون به ﴿ **كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** ﴾ [1] ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة نزلا ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ**

---

(١) مريم.

بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ الآية قال البخاري بسنده عن مصعب قال:: سألت أبى يعنى سعد بن أبى وقاص عن قول الله ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ الآية، أهم الحرورية ؟ قال لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضى الله عنه يسميهم الفاسقين، وقال على بن أبى طالب والضحاك وغير واحد: هم الحرورية، ومعنى هذا اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص، ولا هؤلاء، بل هى أعم من هذا فإن هذه الآية هى قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هى عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وان عمله مقبول، وهو مخطئ وعمله مردود، كما قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾ [(١)]وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [(٢)] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [(٣)] وقال في هذه الآية الكريمة ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي نخبركم ﴿ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ ثم فسرها فقال: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾، أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون، وقوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الاخرة ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ أي: لا نثقل موازينهم، لأنها خالية عن الخير، قال البخاري: بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ليأتين الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ـ وقال ـ اقرءوا إن شئتم ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

---

(١) الغاشية.

(٢) الفرقان.

(٣) النور.

فصل

قال محمد تقي الدين: علمنا مما نقله الحافظ ابن كثير عن السلف أن هذه الآية وما بعدها تشمل كل من عبد الله على طريقة غير مرضية، فيدخل فيها اليهود والنصارى والوثنيون والخوارج، وكل مبتدع، لأن المبتدع على طريقة مضادة لسنة النبي ﷺ لم تكن في زمانه دينا فلن تكون دينا، كما قال مالك رحمه الله من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأني سمعت الله يقول ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [١] وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا، ومما يدخل في هذه الآية بلا شك أصحاب الطرائق القدد، الذين ينتسبون إلى التصوف في هذا الزمان، فإنهم يخالفون ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من وجوه: الوجه الأول: أحداث التفريق بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [٢] وقال تعالى في سورة الروم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ وهذا ينطبق على أصحاب الطرائق غاية الانطباق وقال النبي ﷺ: « إن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي » فهل أحدث الصحابة طرائق في الدين فكانت هناك طريقة بكرية وطريقة عمرية، وطريقة عثمانية، وطريقة علوية، وطريقة جابرية، وطريقة مسعودية، الخ، معاذ الله أن يتفرق أصحاب رسول الله ﷺ في دينهم، الثاني: أنهم مبتدعون وكل بدعة ضلالة فكل مبتدع ضال. الثالث: أن المتأخرين منهم مع جهلهم وضلالهم لا يريدون وجه الله بعملهم، بل يريدون الدنيا فينطبق عليهم، قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ فإن الرجل منهم يدخل بلداً من البلدان لا يملك شيئا فيحتال على الناس ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم إلا غرورا فيقول لهم من دخل في طريقتي أضمن له سعادة الدنيا والآخرة، وإن لم يدخل

---

(١) المائدة

(٢) الأنعام

الجنة فليحاسبني بين يدى الله من أخذ طريقتى فذنوبه مغفورة بالغلة ما بلغت، وقد زعم التجانيون في ما نسبوه إلى شيخهم أبى العباس أحمد بن محمد التيجاني المتوفى بفاس سنة ١٢٣٠ عن ثمانين سنة، أنه قال: واعلموا أنه لا يستطيع أحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصى ما بلغوا إلا أنا وحدى، ووراء ذلك ما ضمنه لى فيهم سيد الوجود ﷺ امر لا يحل ذكره، ولا يرى ولا يعرف إلا في الدار الآخرة، بشرى للمعتقد على رغم أنف المنتقد، أنظر كتابى الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية، قلنا أن الرجل منهم يدخل البلد لا يملك شيئا وفي وقت قصير يتزوج أربع نسوة ويشيد القصور ويكون له الخدم والحشم، ويعيش عيشة الأمراء المترفين مع أنه يزعم أنه يدعو إلى طريقة الزهد في الدنيا والانقطاع إلى العبادة.

الرابع: أن الشرك الذى ينصبه ليصيد به أولئك الجهال، هو الورد وهو أذكار يعطيهم إياها يذكرونها صباحا ومساء بشروط يشترطها عليهم من طهارة واستقبال قبلة وتغميض العيون وعدم الكلام، ويزعم لهم أنهم إذا ذكروا تلك الأوراد بالإذن الخاص يدركون أسرارا عظيمة، ويرتقون في مراتب الإحسان إلى أعلى الدرجات، وتكون لهم كرامات ويدركون الولاية قبل موتهم، وإذا ذكروها بالإذن العام لا يكون لهم شئ من ذلك، فيقال له: هذه الأذكار التى تريد أن تعطينا بأسرارها وأنوارها هل هى شيئ نزل عليك بطريق الوحى، أم هى مما جاء به النبى ﷺ وأذن الله ورسوله فيها لجميع المسلمين ؟ فلا يسعه إلا أن يقول هى مما جاء به النبى ﷺ فيقال: إذا أنت كاذب ومحتال فما أعطانا الله ورسوله منذ قرابة ١٤٠٠ سنة لا يمكن إعطاؤه ولا الإذن فيه لأن ذلك من تحصيل الحاصل وهو محال، وقد نصبت هذا الشرك الشيطانى لتستبعد الناس وتبتز أموالهم وتفسد عليهم دينهم.

الخامس وهو الطامة الكبرى: أنه يقول لهم تخيلوا صورتى عند ذكر الورد، وتخيلوا عمودا من النور يخرج من قبلى ويدخل قلوبكم، وهذا كفر، لأن تنوير القلوب لا يقدر عليه إلا الله، وليس مقصودى أن أحصى شرور شيوخ الطرائق فإنها لا تحصى ولكنى أشرت إلى شئ منها.

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

الآية: ١١٠

قال القاسمى في تفسيره: ﴿ **قُلْ** ﴾ أى لهؤلاء المشركين والكافرين من أهل الكتاب ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ أى خصصت بالوحى وتميزت عنكم به ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّه** ﴾ أي يخاف المصير إليه أو يأمل لقاءه ورؤيته أو جزاءه الصالح وثوابه ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾ أى في نفسه لائقا بذلك المرجو، وهو ما كان موافقا لشرع الله ﴿ **وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّه أَحَدًا** ﴾ أى من خلقه اشراكا جليا، كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء، ومن يطلب به أجرا من المدح وتحصيل المال والجاه.

قال (ك) : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّه** ﴾ أي ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** أي ما كان موافقا لشرع الله، ﴿ **وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّه أَحَدًا** ﴾، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك، له وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ، ويروى أن رجلاً جاء إلى عبادة بن الصامت، فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله، ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغي وجه الله، ويحب أن يحمد، ويتصدق يبتغي وجه الله، ويحب أن يحمد، ويحج يبتغي وجه الله، ويحب أن يحمد، فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه.

سورة مريم

الباب الأول

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

كُنتُ وَأَوْصَنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الآيات: ٣٠ - ٣٧

قال القاسمي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ أنطقه الله بذلك أولا تحقيقا للحق في شأنه وتنزيها لله تعالى عن الولد ردا على من يزعم ربوبيته وبنوته ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ أى الإنجيل، ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ أى كثير الخير، حيثما وجدت أبلغ وحى ربى لتقويم النفوس وكبح الشهوات والأخذ بها هو مناط السعادة، والتعبير بلفظ الماضى في الافعال الثلاثة أما باعتبار ما سبق كالقضاء المحتوم أو جعل الآتى لا محالة كأنه وجد ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ أى أمرنى بالعبادة وإنفاق المال مدة حياتى ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى مستكبرا عن طاعته وأمره ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أى الذى فصلت نعوته الجليلة، وخصائصه الباهرة ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ أى لا ما يصفه به النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه، ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أى ومن هذا شانه كيف يتوهم أن يكون له ولد، وهذا كقوله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُالْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [1] ثم أشار إلى تتمة كلام عيسى من الأمر بعبادته تعالى وحده بقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

(١) آل عمران

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى قويم، من اتبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوى.

فصل

قال محمد تقى الدين: الشاهد هنا في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ فلا يعبد إلا الله فمن عبد الملائكة أو الأنبياء كعيسى ابن مريم، أو الصالحين كأمه كمن عبد الشياطين، فهو مشرك وفي الأناجيل الأربعة أدلة صريحة صرح فيها عيسى بأنه عبد الله وأن الله ربه وإلهه انظر كتابى البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبرئ من الألوهية.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ الآيات ٤١-٥٠

قال (ك) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ واتل على قومك

هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، اذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن، الذين هم من ذريته، ويدعون أنهم على ملته وقد ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام، فقال: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ أي لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لأني ولدك فاعلم أني قد أطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت و لا أطلعت عليه و لا جاءك بعد ﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ أي طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب والنجاة من المرهوب ﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [١].

وقال: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ [٢]، وقوله ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ أي مخالفا مستكبراً عن طاعة ربه، فطرده وأبعده، فلا تتبعه تصر مثله ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ أي عذاب شركك وعصيانك لما آمرك به ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصرا أو لا مغيثا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٣]، وقوله تعالى، ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ ﴾ الآية، يقول تعالى مخبرا عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه أنه: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ ﴾ يعني أما تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبها وشتمها وعيبها فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك، وهو قوله: ﴿ لأَرْجُمَنَّكَ ﴾ قاله ابن عباس والسدي وغيرهم وقوله: ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ابن عباس وغير

---

(١) سورة يس.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة النحل.

واحد ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ قال: سويا سالما قبل أن تصيبك مني عقوبة فعندها قال إبراهيم لأبيه: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ كما قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) ومعنى قول إبراهيم لأبيه ﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ يعني أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى، وذلك لحرمة الأبوة ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ ولكن سأسأل الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ قال ابن عباس وغيره: لطيفا أي في أن هداني لعبادته والإخلاص له، وقال صاحب اللسان: وحفا بالرجل حفاوة وحفاوة وحفاية وتحفى به واحتفى بالغ في إكرامه، ثم قال: وحفى الله بك، فى معنى أكرمك الله، وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام، وبنى المسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٣) وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين في ابتداء الإسلام.

قال محمد تقى الدين: أنزل الله تعالى من سورة التوبة، ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أى اجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التى تعبدونها من دون الله، ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي ﴾، أى، واعبد ربى وحده لا شريك له ﴿ عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا ﴾ وعسى هذه موجبة لا محالة، فإنه عليه السلام، سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية، **قال (ك)** يقول تعالى فلما اعتزل الخليل أباه وقومه أبدله الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) سورة القصص.

(٣) سورة إبراهيم

يعني ابنه وابن إسحاق كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [(١)] وقال ﴿ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ [(٢)] ولاخلاف أن إسحاق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ ﴾ ولهذا إنما ذكر ههنا إسحاق ويعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال: ﴿ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ فلو لم يكن يعقوب عليه السلام قد نبىء في حياة إبراهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فإنه نبي أيضا كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال: « يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله » وفي اللفظ الاخر « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » وقوله ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني الثناء الحسن وكذا قال السدي ومالك بن أنس وقال ابن جرير: إنما قال عليا لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذا الكلام فوائد:

الأولى: أن العرب الشماليين كانوا ينتسبون إلى إسماعيل وإبراهيم، ويعظمونهما، فأمر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ، أن يحتج عليهم بما صنع إبراهيم مع أبيه حين دعاه إلى التوحيد فأبى، فكانت العاقبة لإبراهيم وذريته، وكانت عاقبة أبيه آزر لما أصر على الشرك، الخسران المبين.

الثانية: كل من عبد غير الله تعالى من الأصنام، والأوثان، والقباب، والغائبين، والأموات، وغير ذلك من المعبودات، فإنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئاً،

---

(١) الأنبياء.

(٢) هود.

لأن الذي يسمع جميع الأصوات ويبصر جميع المبصرات في كل مكان، وفي كل وقت، هو الله وحده لا شريك له، والذى يغنى أى: ينفع ويضر هو الله وحده لا شريك له، فمن عبد غيره فهو خاسر في الدنيا والآخرة.

الثالثة: المراد بالعلم هنا هو الوحى فإن الله أوحى إلى خليله إبراهيم وعلمه التوحيد وأمره بالدعوة إليه، فمن جاءه الوحى وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو حجة عليه، سواء أكان الذى جاء به صغيراً في السن أو كبيراً، متقدما في الزمان أو متأخراً، والمشركون الأولون والآخرون يخالفون هذا، فالأولون قالوا: ﴿ **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [1] وقالوا ﴿ **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا** ﴾ وقالوا ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ فرد الله تعالىعليهم بقوله ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ** ﴾ وأمر الله رسوله ﷺ أن يقول ﴿ **إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ والمشركون والمبتدعون المتأخرون يقولون مثل ذلك لم نزل نرى العلماء ونسمع حديثهم، وما أحد منهم قال لنا لا تبنوا القباب على قبور الصالحين، ولا تذبحوا لهم، ولا تنذروا لهم، ولا تستغيثوا بهم، ولا تقيموا لهم مواسم وأعياداً، ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** ﴾ فأشبه المشركون المتأخرون المشركين المتقدمين في أقوالهم وأفعالهم وعداوتهم للتوحيد واتباع السنة، كما قال الله تعالى ﴿ **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾.

الرابعة: أن كل من عبد غير الله تعالى فهو عابد للشيطان، ولو عبد الملائكة والأنبياء.

الخامسة: أن كل من أصر على الشرك يمسه عذاب من الرحمن في كل زمان ومكان، ولا يجد لنفسه وليا ولا نصيرا.

السادسة: أن المشركين في كل زمان ومكان إذا رأوا إماماً مصلحاً يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة آلهتهم وقال لهم: إن آلهتكم لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع دعاءكم ولا تستجيب لكم، ولو سألتموها شربة ماء ما قدرت أن تعطيكم قطرة واحدة، قالوا هذا

(١) الزخرف.

يسب آلهتنا وينتقصها، كما قال أبو إبراهيم لإبراهيم، وكما قالت قريش لمحمد رسول الله ﷺ، وكما يقول المشركون اليوم إذا قيل لهم: هذه القباب التى بنيتموها على القبور وصرتم تعبدونها بالذبح والنذر والاستغاثة والدعاء كل ذلك يوجب غضب الله عليكم، كما قال النبى ﷺ، فيما رواه مالك في الموطأ: « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يقولون هذا يسب الأولياء وينتقصهم.

والأولياء قسمان: أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، فأولياء الرحمن: يكرهون بناء القباب على القبور، ويكرهون عبادتها، فإذا نهينا الناس عن البناء على القبور وعبادتها فإن عملنا هذا يحبه الله ورسوله ويحبه أولياء الرحمن، وهم: المؤمنون، وإنما يكرهه أولياء الشيطان، ونحن لا نخافهم ولا نبالى ببغضهم، قال تعالى في سورة آل عمران ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** ﴾، أى يخوفكم أولياءه ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

السابعة: من سفاهة عقول المشركين في كل زمان ومكان، أنهم يزعمون أن آلهتهم تتصرف في السموات والأرض، وتحيى وتميت، وتغنى وتفقر، فإذا جاءهم نبى، أو اتباع نبى، وقالوا لهم إن آلهتكم لا تنفع ولا تضر، ولا تعطى ولا تمنع، يغضبون، ولا يتركون الانتقام لتلك الآلهة، بل يعينونها بأيديهم وألسنتهم، ولم يشعروا أن هذا اعتراف منهم بعجزها، فآزر أبو إبراهيم أراد أن ينتقم لآلهته من إبراهيم، ولم يكتف بانتقامها هى لسفاهة رأيه، وتناقضه.

ولما حججت أول حجة سنة ١٣٤١ هـ في زمان الشريف حسين، لقيت رجلا من بلادنا، فيلاليا من الغرفة، فدعانى للعشاء، وكان بوابا للملك حسين، فجاءنى بطعام ملكى رفيع، وقال لى: يا ولد احفظ دينك وعقيدتك، فإن بلاد المشرق فيها عقائد كثيرة، وأكثرها ضلال، أما بلادنا المغرب فعقيدتهم واحدة على مذهب أهل السنة والجماعة، ومن أغرب هذه الفرق وأعجبها فرقة تسمى الوهابية، وهم: في شرق مملكة الحجاز، مجاورون لهذه المملكة، فهؤلاء يكرهون النبى، ولا يحبون أن يسمعوا اسمه، وإذا سمعوه غضبوا وقتلوا من ذكره لهم، وهم لا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله كما نقول نحن، بل يقولون بدل محمد رسول الله، لا إله إلا الله مالك يوم الدين، فأظهرت له التعجب ولم يدر أننى من هذه

الفرقة، وبعد ذلك بقليل استولى الملك عبد العزيز بن سعود على الحجاز، ولما حججت الحجة الثانية، سنة ١٣٤٥ أنزلنى الملك عبد العزيز رحمة الله عليه في دار الضيافة، فبحثت عن ذلك الرجل الفلالي، فوجدته ودعوته إلى دار الضيافة الخاصة بى، فتغذى معى، فعرف حينئذ أنه لما كان ينصحنى كان مخطئاً مغفلاً، فسكت وكتم ما في نفسه، فلما تغذينا ذهبنا إلى المسجد الحرام، فوجدنا الشيخ عبد الظاهر أبا السمح جالسا على الحصباء، وهو إمام المسجد الحرام وخطيبه، وسلمت عليه وجلست معه، فلما جلس رفيقى قال يا رسول الله، فقال الشيخ عبد الظاهر قل يا الله، فقال ما أقول إلا يا رسول الله، يا رسول الله، يا رسول الله، أقطع رأسى إن قدرت، أنا قلت يا رسول الله أمام الأمير محمد أخى الملك عبد العزيز، ثم التفت إلى وقال هذا الشر كله ما أصابنى إلا بسببك، لا أرافقك أبداً، فتبعته وصرت أتلطف معه لعل الله أن يهديه فهرب ولم أره بعد ذلك، وحدثنى الشريف محمد من أهل مكة في تلك السنة نفسها سنة ١٣٤١، قال لى كنت مسافراً من المدينة إلى مكة، وكان صاحب البعير الذى أركبه نجديا وهابياً، فركب خلفى ليستريح فتنهدت وقلت يا رسول الله، فلطمنى لطمة أفقدتنى صوابى وكدت أسقط من ظهر البعير وقال لى يا حمار ما تقول يا الله، قال فسكت على مضض، ولما وصلت إلى مكة ودخلت بيتى تركته على الباب ينتظر الكراء، فجاءنى أولادى يسلمون على فقلت لهم يا أولادى، إن هذا النجدي الذى عند الباب لطمنى لطمة ما أصبت بمثلها في عمرى كله، لا معلم المكتب، ولا والدى، ولا أحد لطمنى مثل تلك اللطمة، فأحضروا عصيا، وقالوا له أدخل، فلما دخل ضربوه حتى طاب خاطرى وكففتهم عنه، فقلت له أيها الشرقى هذا جزاء اللطمة التى لطمتنى، وينبغى أن انبه هنا على أن ذلك الأخ النجدي مع حسن نيته ارتكب خطأ فهو يعلم أن الملك حسينا كان يعادى أهل نجد، وقد منعهم من الحج اثنتى عشرة سنة، فكان ينبغى له أن يتلطف مع ذلك الرجل ويقول له يا اخى صل على النبى واسأل حاجتك من الله واستغث به وحده، وتوسل إلى الله بمحبة النبى واتباع النبى والصلاة على النبى، فإن الله لا يرضى أن يدعى معه غيره، والنبى ﷺ لا يرضى بذلك، قال تعالى في آخر سورة النحل ﴿ **ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ والله يغفر لنا وله.

الثامنة: لما دعا إبراهيم الخليل أباه إلى الإسلام وامتنع من قبوله وغضب على إبراهيم وتوعده بالعقاب، اعتزله أي: تبرأ منه ومن دينه، وهذا هو الواجب على الموحد إذا دعا أقاربه إلى توحيد الله تعالى وامتنعوا من قبوله أن يعلن براءته من شركهم، فإن الله تعالى يعضوه خيراً منهم، كما عوض إبراهيم بإسحاق ويعقوب، وبالمال الكثير، وستأتى زيادة على هذا في سورة الممتحنة، إن شاء الله.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ الآيتان: ٨١- ٨٢

قال (ك) يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم أنهم اتخذوا من دون الله آلهة لتكون تلك الآلهة ﴿ **عزًّا** ﴾ يعتزون بها ويستنصرونها، ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوا قال: ﴿ **كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ** ﴾ أي يوم القيامة ﴿ **وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** ﴾ أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [١]

فصل

قال محمد تقى الدين: تقرر وتكرر في كتاب الله تعالى أن الآلهة أي: كل من عبد من دون الله يتبرأ من عابديه يوم القيامة، ويكون عدوا لهم كعيسى ابن مريم والملائكة، وسيأتي مزيد على هذا إن شاء الله في سورة سبأ، وفي سورة فاطر، وفي سورة الأحقاف.

---

(١) سورة الأحقاف.

سورة طه

الباب الأول

قال تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ الآيات ١ – ٨

قال (ك) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقال جويبر عن الضحاك: لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ، قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى: ﴿ **طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (٣)** ﴾، فليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا، كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال: بسنده عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » إسناده جيد «وثعلبة بن الحكم » هذا هو «الليثي» ذكره أبو عمر في استيعابه، وقال: نزل البصرة، ثم تحول إلى الكوفة، وروى عنه سماك بن حرب، وقال قتادة: ﴿ **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة ﴿ **إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى** ﴾ إن الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه، وقوله: ﴿ **تَنْزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ**

الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾ أي: هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك، رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها.

وقوله: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، وقوله: ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى** ﴾ أي الجميع في ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيئته وإرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه لا إله سواه ولا رب غيره وقوله: ﴿ **وَمَا تَحْتَ الثَّرَى** ﴾ المراد بالثرى الأرض، وقوله ﴿ **وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ قال البيضاوي أى: وإن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غنى عن جهرك، فإنه سبحانه يعلم السر وأخفى منه، وهو ضمير النفس، وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لإعلام الله بل لتصوير الذكر في النفس ورسوخه فيها، ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع وقوله ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ أى الذى أنزل عليك القرآن هو الذى لا إله إلا هو، ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنى في أواخر سورة الأعراف ولله الحمد والمنة.

قال محمد تقى الدين: وها أنا ذا أذكر شيئا مما ذكره الحافظ (ك) مما يتعلق بالأسماء الحسنى في سورة الأعراف.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » ، أخرجاه في الصحيحين، ثم ذكر أن الترمذي رواه في جامعه، وزاد ذكر الأسماء التسعة والتسعين وقال حديث غريب ثم رجح أن ذكر الأسماء مدرج من كلام بعض الرواة ولا يصح رفعه إلى النبى ﷺ، ثم قال، أن أسماء الله غير منحصرة في تسعة وتسعين، واستدل على ذلك بالحديث الذى رواه الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ، أنه قال: « ما أصاب أحداً قط

هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا » فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمهما ؟ فقال «بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها » .

فصل

قال محمد تقي الدين: أسماء الله توقيفية لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ وفي هذا الكلام فوائد:

الأولى: أن الجهال في كل زمان ومكان يظنون أن عبادة الله تعالى شقاء، لما فيها من تعب الأجسام بزعمهم، والصبر على الآلام في الحر والقر والجهاد في سبيل الله وما يترتب عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى في الله، هذا من بلادتهم وغلظ طبعهم، فإن كل من أحب شيئا يتلذذ بتحمل الأذى في سبيله، كما قال المتنبي:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

على أن الله سبحانه وتعالى جعل العاقبة للمتقين والفوز والنصر لهم، وجعل للمجاهدين إحدى الحسنيين، كما قال تعالى في سورة التوبة ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ** ﴾ وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «عجبا للمؤمن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر الله عليها فكان له خير وإن أصابته ضراء صبر عليها فكان له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن » أو كما قال عليه الصلاة والسلام، فلذلك قال المشركون من أهل مكة لما رأوا النبي ﷺ، وأصحابه يقومون بالليل يصلون ويتهجدون بالقرآن، قالوا من جهلهم أنزل هذا القرآن لشقاء محمد وأصحابه، فرد الله عليهم بقوله: **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾.

الثانية: أن كل من رزقه الله القرآن وحفظ ألفاظه ولم يتدبره ولم يعمل به بل تأكل به أو سحر به أو قرأه رياء وسمعة وافتخر به، فإنه يكون شقاء عليه ووبالا.

الثالثة: المراد بالفقه في الدين، فهم معانى الكتاب والسنة، إذ هو الذى كان يسمى فقهـا، في خير القرون قرن النبى ﷺ، والذى يليه، والذى يليه، أما الفروع المولدة أو المستنبطة بلا دليل فليس ذلك بفقه.

قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في قصيدته التى ذم بها المقلدين، وذكرها في كتابه جامع بيان العلم وفضله.

لا فـرق بـين مقلـد وبهيمـة ... تنقـاد بـين كنـادل ودعـاثر

فـإذا اقتـديت فبالكتـاب وسـنة الـ ... مبعـوث بالـدين الحنيـف الطـاهر

وإذا الخـلاف أتـى فـدونك فاجتهـد ... ومـع الـدليل فمـل بفهـم حاضـر

وقس الفروع على الأصـول ولا تقس ... فرعـا بفـرع كـالجهول الحـائر

والفرق بين قياس الفروع على الأصول وقياس الفروع على الفروع، هو: أن الأول قياس شيئ غير مذكور في الكتاب والسنة على شيء مذكور فيهما، لوجود الشبه التام بينهما، كقياس الأرز في إخراج صدقة الفطر على البر والشعير، فإن القوت والإدخار يحصلان في الأصل الذى هو البر والشعير، وفي الفرع الذى هو الأرز، فلا نشك في أن الشارع لما ذكر الأنواع التى تخرج منها وهى البر، والشعير، والزبيب، والأقط، وهو اللبن المخيض، بعد تجفيفه ما أراد هذه الأشياء لذاتها وإنما ذكرها لما فيها من التغذية فكل ما أشبهها في ذلك فهو مثلها، فهذا قياس الفرع على الأصل، أما قياس الفرع على الفرع فهو أن يفتى شخص غير معصوم باجتهاده في مسألة لتحليل أو تحريم، فيجئ المقلد ويجد شيئاً مشابها لما أفتى به ذلك المجتهد فيقيسه عليه بلا دليل من الكتاب والسنة.

الرابعة: قوله وقعد على كرسيه، مذهب السلف الإيمان بمثل هذا مع تنزيه الله تعالى من مشابهة المخلوقين، وسيأتى كلام (ك) في هذا المعنى.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ الآيات: ١٣-١٥

قال محمد تقى الدين: طالعت كل ما عندى من التفاسير لأجد تفسيرا تطمئن نفسى إليه في قوله تعالى ﴿ **أَكَادُ أُخْفِيهَا** ﴾ فلم أجد شيئا ثم طالعت كتب اللغة فلم أحصل على طائل، والأمر المهم في إيراد هاتين الآيتين هو الاستدلال بقوله تعالى ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي** ﴾ على توحيد الله تعالى في عبادته فكل من صرف شيئا من العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذ ذلك الشيء إلها مع الله، كأن يستغيث بغير الله أو يذبح لغير الله ولو مرة في عمره، وإن لم يفعل ذلك ورضى به ولم ينكره ولم يتبرأ منه، فهو كفاعله أما قوله تعالى ﴿ **أَكَادُ أُخْفِيهَا** ﴾ فأحسن ما قيل في تفسيره أريد أن أخفيها وكاد بمعنى أراد موجود في لغة العرب، قال الشاعر:

والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة	**ولا عمود إذا لم ترس أوتاد**
فإن تجمع أوتاد وأعمدة	**وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا**

﴿ **فَكَادُوا** ﴾ هنا أرادوا قاله صاحب اللسان، والقول الثاني، أنها صلة لا تدل على شيئ، وهذا مرجوح، وقوله تعالى ﴿ **لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى** ﴾ أى بما تعمل كقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ** ﴾ الخطاب لموسى عليه السلام يعنى اخترتك لكلامى ورسالتى، فهو كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ

مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾

الآيات: ٨٨- ٩٨

قال محمد تقى الدين: المهم في ذكر هذه الآيات، ذكر إنكار موسى على السامري ومن اتبعه من قوم موسى في إتخاذهم العجل الذهبي إلها من دون الله، مع أنه لا يتكلم ولا يسمع ولا يجيب سائلاً، وخواره ليس بكلام كالخوار الذى يفعله المتأخرون من أدعياء التصوف وأصحاب الطرائق القدد، ويكذبون على الله والناس، فيسمون ذلك الخوار ذكر الله، وقد أجمع أهل الأديان، وسائر العقلاء على أن ذكر الله لابد أن يكون بلغة من اللغات، وأن يكون له معنى يفهمه الذاكر والسامع، وعباد القبور والأضرحة، والقباب المزخرفة شر من عباد العجل، لأن العجل له خوار، وتلك الأضرحة ليس لها خوار، والفريقان كلاهما مشرك بالله، وعباد القبور وعباد عجل السامرى شر من الوثنيين من أهل الهند، الذين يعبدون البقرة الأنثى لأن البقرة فيها حياة حقيقية، وينتفع الناس بلبنها وأولادها وكل من

عبد غير الله محروم من نعمة العقل، وقد ذكر المفسرون في هذه القصة أشياء كثيرة من الخوارق، ونقل الرازى في تفسيره عن أبى مسلم إنكار ذلك، وإنكاره ينحصر في أمور.

الأول: أن عجل السامرى لم تكن فيه حياة، والخوار كان يسمع بسبب دخول الريح من منافذه وخروجها.

والثاني: أن قول السامرى فقبضت قبضة من أثر الرسول، ليس معناها أنه أخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل عليه السلام، وإنما هى قبضة معنوية من شريعة الرسول موسى عليه السلام، فنبذتها تركتها وكفرت بها، وعلل ذلك بعلل تركت ذكرها اختصاراً.

الثالث: أن قوله ﴿ **لَا مِسَاسَ** ﴾ يعنى أن موسى السامرى حرمه الله من مخالطة الناس عقابا له في الدنيا وعذاب الآخرة أكبر، وختمت الآيات بقول هارون ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ فلا خير في إله لا يتكلم ولا يعلم، والمعتزلة والمتأخرون من الأشعرية، ينفون الكلام عن الله تعالى وخطؤهم في ذلك واضح، وقد اتفقت الفرقتان على أن القرآن ليس كلام الله، ثم تفرقتا في تأويل ذلك، فقالت المعتزلة، القرآن حروف وأصوات خلقها الله في الهواء، وقالت الأشعرية، القرآن حروف وأصوات تصدر من الناس، وتدل على معنى الكلام النفسى الذى ليس فيه حرف ولا صوت، وهذا الكلام النفسى شيء اخترعوه لا وجود له في الحقيقة، وقد شبهوا كلام الله بحديث النفس الذى يخطر في بال الإنسان، ويدور في خلده قبل أن يتكلم به، وهذا لا يسمى كلاما إلا بقرينة، كأن يقول الرجل قلت في نفسى، والقرآن والحديث صريحان في نفي هذا الباطل، وأما القرآن فقوله تعالى في سورة التوبة ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ﴾ فكلام الله هنا هو القرآن، وإنما يسمعه ذلك المستأمن من لسان الرسول ﷺ وأما الحديث، فقول النبى ﷺ: « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان » فبطل ما زعموه ولله الحمد.

سورة الأنبياء

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الآيات: ٢١ - ٢٩

قال (ك) ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة، فقال: ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ** ﴾ أي أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض أي لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والأرض فقال: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ** ﴾ أي في السموات والأرض ﴿ **لَفَسَدَتَا** ﴾ كقوله تعالى: ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [(١)] وقال ههنا: ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ أي عما يقولون أن له ولدا أو شريكا سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي

---

(١) سورة المؤمنون.

يفترون ويأفكون علوا كبيرا، وقوله ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾، أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه ﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ أي هو سائل خلقه عما يعملون كقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا من دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إلى قوله ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ قال (ك) يقول تعالى ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ قل يا محمد ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي دليلكم على ما تقولون ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ يعني الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا هو ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضون عنه ولهذا قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ كما قال: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٣) وقال ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ الآية قال (ك) يقول تعالى ردا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله فقال: ﴿ سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا ﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وقوله: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ كقوله ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ

---

(١) سورة الحجر.

(٢) سورة المؤمنون.

(٣) سورة الزخرف.

(٤) سورة النحل.

إلاَّ بِإِذْنِه ﴾ [١] وقوله: ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [٢] في آيات كثيرة في معنى ذلك ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ ﴾ أي من خوفه ورهبته ﴿ مُشْفِقُونَ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ ﴾ أي من ادعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ أي كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ وقوله ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

فصل

قال محمد تقي الدين: نفهم من هذا الكلام أمور: الأول: أن الله أنكر على المشركين اتخاذهم من دون الله آلهة مع أن تلك الآلهة مخلوقة لا خالقة ومتصرف فيها لا متصرفة، فلا تستطيع أن تخلق ذبابا ولو اجتمعت له، ولا تستطيع أن تميت حيا ولا أن تحي ميتا، فعيسى والملائكة ومن عبد من الأنبياء والصالحين مخلوقون مربوبون لا ينفعون ولا يضرون، فمن عبدهم خاسر في الدنيا والآخرة، وسيقول المشرك الجهول، نحن لا نتخذ الصالحين آلهة ولا نعبدهم، وقد تقدم الرد على هذا الإدعاء في مواضع كثيرة، ونزيد هنا فنقول، لو علمتم معنى لا إله إلا الله لعلمتم معنى العبادة ولأقررتم بأنكم اتخذتم آلهة من دون الله وعبدتموهم، فإن كل من عبدته فقد اتخذته إلها، والعبادة ما يتقرب به إلى الله تعالى كالدعاء والاستغاثة والاستعانة بغير طريق الأسباب، والخوف بالغيب والرجاء والتوكل والذبح والنذر وجعل التحليل والتحريم لهم إلى غير ذلك.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ واضح، فتوحيد النظام يدل على وحدة المنظم ووحدة الخط وتناسقه يدلان على وحدة الكاتب، وهكذا يقال في جميع الصنائع، ولله المثل الأعلى.

---

(١) سورة البقرة.
(٢) سورة سبأ.

الثالث: في قوله تعالى ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾ كل من عبد غير الله تعالى فهو فاسد العقل مختل المزاج لا يستطيع أن يقيم دليلا على ما ارتكبه من الشرك فيلتجئ إلى قوله، إنا وجدنا آبائنا على هذا، وقد كانوا أحسن منا، وهذه حجة داحضة، وهى حجة المشركين في كل زمان ومكان.

الرابع: في قوله تعالى: ﴿ **هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي** ﴾ وسيأتى قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ وقال تعالى في سورة الزخرف ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** ﴾ والمشركون والمقلدون في هذا الزمان يقولون، أن القرآن لا يستطيع أحد أن يفهمه، لأن صوابه خطأ، وخطأه كفر، قالوا وحسبنا كتب الفقه، فإنها مخضت القرآن والحديث وأخذت زبدتهما، ويعنون بكتب الفقه كتب الفروع المشتملة على الأخطاء الكثيرة، ومخالفة الكتاب والسنة، والآيات المذكورة، وما فى معناها حجة عليهم لو كانوا يعقلون، وما أحسن قوله تعالى ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾

الخامس: قوله تعالى: ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** ﴾ ينفى الشفاعة الشركية ويثبت الشفاعة التوحيدية، وهى التى تكون بعد رضى الله تعالى عن عقيدة المشفوع له، وإذنه للشافع.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الآيتان: ٤٢، ٤٣

قال (ك) يقول تعالى ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ** ﴾ أي بدل الرحمن يعني غيره كما قال الشاعر:

جاريـــة لم تلـــبس المرقـــا ولم تـــذق مـــن البقـــول الفســـتقا

أي لم تذق بدل البقول الفستق وقوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ** ﴾ أي لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه ثم قال ﴿ **أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا** ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ أي ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا ولهذا قال: ﴿ **لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ** ﴾ أي هذه الآلهة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم: ﴿ **وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ** ﴾ قال قتادة: لا يصحبون من الله بخير.

فصل

قال محمد تقى الدين: حدثنى الثقة وهو عمار بن محمد الصائغ أنه يوجد في نواحى سجلماسة « تافيلالت » قوم من المشركين يجعلون للدجاجلة خراجا سنويا فيتكفلون لهم بحفظ أجزاء أجسادهم، أحدهم يضمن له حفظ رأسه من الآفات، فيعطيه عليه أجرا سنويا، والآخر يحفظ له يديه، والثالث يحفظ له ما بين يديه ورجليه من ظهر وبطن، والرابع يحفظ له ماله، وهؤلاء الآلهة كل واحد منهم ينتمى إلى صاحب قبة من الأموات المشهورين بالصلاح، وإنما يعتمد في ذلك على جده.

وتوجد قرية اسمها « أولاد يوسف » عندهم خطارة، والخطارة عندهم جدول من الماء ينشأ من مياه آبار متعددة، اولها في مكان عال، وثانيها أسفل منه، والثالث أسفل من الثانى، وهكذا إلى آخر الآبار، ثم يوصل بعضها ببعض ويحفر لها مجرى يجرى منه الماء إلى المزارع، والبساتين، ولما حفر أجدادهم هذه الخطارة نذروا لصاحب قبة يسمونه سيدى أحمد الحبيب أن يعطوه في كل سنة مقدارا من المال ليحفظ لهم هذه الخطارة فلا ينضب ماؤها، وبعد وفاته أخذوا يعطون ذريته ذلك المال المنذور، وفي هذا الزمان سافر بعض أهل هذه القرية إلى البلدان التى ألقى فيها دروس التوحيد، وعلموا من سماع تلك الدروس، أن الماء بيد الله هو الذى يعطيه أو يمنعه ولا يستطيع أحد من الخلق أن يعطى قطرة أو يمنعها فقالوا لقومهم، توبوا إلى الله، فإن هذا شرك في الربوبية والعبادة جميعا فدعونى لألقى عليهم درسا في التوحيد لعل الله يهدى إخوانهم، ويجمع كلمتهم على توحيده ويستريحون من ذلك الخراج، فسافرت إلى قريتهم وهى تبعد من مكناس ٤٥٦ ميلا وأعطيتهم درسا من المغرب إلى

العشاء وأرجو الله أن ينفعهم به[١] وتوجد قرية أخرى في ناحية السيفة لهم خطارة، وقع لهم مثل ما وقع لقرية أولاد يوسف، وكان رجل منهم يأتي إلى مدينة أرفود ويحضر دروسي في التوحيد، فوحد الله تعالى، ودعا قومه إلى ترك دفع الخراج لذرية صاحب القبة الذى يعبدونه، فأبوا وقالوا له، أنت تريد أن تعرض نفسك للهلاك، أما نحن فلا نريد ذلك، فقال لهم، أما أنا فلا أدفع فلسا واحداً ولا حبة حنطة، ولى نوبة ماء هذه الخطارة، والنوبة عندهم يوم وليلة في كل خمسة عشر يوما، فإذا جاءت نوبتى قولوا لمعبودكم يوقف ماء الخطارة عن الجري، أو يجعل ماؤها غورا، وعندنا في المغرب قبائل لا تهد ولا تحصى من العرب والبربر، يأتيهم أبناء الشيخ الذى يعبدونه فى كل سنة، ويأخذون منهم الخراج، سمنا وصوفاً ودراهم وحبوباً، وهم يشاهدون أبناء معبودهم يزنون ويشربون الخمر، ولا تنقص درجة تقدسيهم عندهم مثقال ذرة لاعتقادهم أن جدهم يدخلهم الجنة على أى حال كانوا، فنسأل الله تعالى ونتوسل إليه بأسمائه الحسنى، وبتوحيدنا له الذى هدانا إليه بفضله، وباتباعنا لسنة نبيه الكريم، أن يزيدنا هدى ويختم لنا بالحسنى، ويقوينا على الدعوة إلى توحيده وينقذ بدعوتنا خلقا كثيرا كما فعل سبحانه فيما مضى بل نريد أكثر من ذلك والله ذو الفضل العظيم.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ

(١) وقد علمت بعد ذلك أنهم تركوا الخراج وتابوا إلى الله تعالى وبقيت خطارتهم على حالها.

أن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الآيات: ٥١-٧٠

قال **(ك)** يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام، أنه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** ﴾ [1]، وقوله: ﴿ **وَكُنَّا به عَالمينَ** ﴾ أي كنا عالمين أنه أهل لذلك ثم قال: ﴿ **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾ هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل، فقال: ﴿ **مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾ أي معتكفون على عبادتها، وقوله ﴿ **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ** ﴾ لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال، ولهذا قال: ﴿ **لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ أي الكلام مع آبائكم الذي احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم، فأنتم وهم في ضلال على

---

(١) سورة الأنعام

غير الطريق المستقيم فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آلهتهم ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ** ﴾ يقولون: هذا الكلام الصادر منك تقوله لاعبا أم محقا فيه، فإنا لم نسمع به قبلك ﴿ **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ** ﴾ أي ربكم الذي لا إله غيره هو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات التي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿ **وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ أي وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه، وقوله تعالى: ﴿ **تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾.

قال (ك) ثم أقسم الخليل قسما أسمعه بعض قومه، ليكيدن أصنامهم أى ليحرصن على آذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين، وكان لهم عيد يخرجون إليه، قال السدي لما اقترب وقت ذلك العيد، قال أبوه يا بنى لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق، ألقى نفسه إلى الأرض، وقال إنى سقيم، فجعلوا يمرون عليه وهو صريع، فيقولون مه، فيقول إنى سقيم، فلما جاز عامتهم وبقى ضعفاؤهم قال ﴿ **تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم** ﴾ فسمعه أولئك وقوله ﴿ **جُذَاذًا** ﴾ أي حطاما كسرها كلها إلا كبيرا لهم يعني الصنم الكبير عندهم، كما قال: ﴿ **فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ** ﴾ وقوله ﴿ **لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** ﴾ ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار بنفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها ﴿ **قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ أي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها، وعلى سخافة عقول عابديها ﴿ **قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ أي في صنيعه هذا ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ أي قال من سمعه يحلف إنه ليكيدنهم: سمعنا فتى أي شابا يذكرهم يقال له إبراهيم قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ وقوله ﴿ **فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ** ﴾ أي على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه

الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرا ولا تملك لها نصرا، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟ ﴿ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ﴾ يعني الذي تركه لم يكسره ﴿ **فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون، وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد وفي الصحيحين من حديث هشام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث: ثنتين في ذات الله قوله: ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ﴾ وقوله: ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ قال وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة، إذ نزل منزلا فأتى الجبار رجل فقال: قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاء فقال: ما هذه المرأة منك ؟ قال: أختي قال: فاذهب فأرسل بها إلي، فانطلق إلى سارة فقال: إن هذا الجبار قد سألني عنك، فاخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله، وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذا شديدا فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى إليها فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأوليين فقال: ادعي الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجابه فقال: إنك لم تأتني بإنسان ولكنك أتيتني بشيطان أخرجها وأعطها هاجر فأخرجت وأعطيت هاجر، فأقبلت فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته، وقال: مهيم ؟ قالت: كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخدمني هاجر.

وقوله تعالى: ﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال: ﴿ **فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ** ﴾ أي بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم فقالوا: ﴿ **إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ أي في تركِكم لها مهملة لا حافظ عندها ﴿ **ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ** ﴾ أي ثم أطرقوا إلى الأرض فقالوا: ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ** ﴾ قال قتادة: أدركت القوم حسرة سوء، فقالوا ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ** ﴾ فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم انها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك ﴿ **أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا**

وَلا يَضُرُّكُمْ ﴾ أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [(١)] الآية وقوله تعالى ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾ إلى قوله ﴿ الأَخْسَرِينَ ﴾.

قال (ك) لما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، فقالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فجمعوا حطبا كثيرا جداً، قال السدي: حتى إن كانت المرأة لتمرض وتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبا لحريق إبراهيم ثم جعلوه في حومة من الأرض، وأضرموها نارا فكان لها شرر عظيم، ولهب مرتفع، لم توقد نار قط مثلها وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد، قال البخاري عن ابن عباس أنه قال: «حسبي الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [(٢)]وقوله تعالى: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك.

فصل

قال محمد تقى الدين: في قصة إبراهيم عليه السلام فوائد، الأولى: كل موحد وإن قل علمه، يجد حجة على توحيد الله تعالى يغلب بها أكبر علماء الشرك والتقليد، فمن ذلك أن رجلا من المشركين في صعيد مصر بالريرمون، قال لموحد، أنتم وهابية تنكرون معجزات النبى ﷺ مع أنه حى يصلى في قبره، والأغوات وهم خدام المسجد النبوى يضعون له الماء للوضوء قبل كل صلاة، فقال له الموحد أنت كفرت بإجماع المسلمين، وتنقصت رسول الله ﷺ شر تنقص، لأن الوضوء لا يكون إلا عن حدث والنبى ﷺ منزه عن الحدث بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، فاعترف المشرك وقال استغفر الله، والحكايات في هذا الباب كثيرة.

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة آل عمران.

الثانية: حجة قوم إبراهيم، ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ هى حجة المشركين في كل زمان ومكان، وما أحسن جواب إبراهيم عليه السلام لقومه، إذا قال لهم ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

الثالثة: أن قوم إبراهيم كانوا يوحدون الله تعالى في ربوبيته، ولذلك لم ينكروا عليه قوله ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ وكذلك المشركون في زمان النبى ﷺ كانوا يعترفون ويؤمنون أن الله رب كل شيء، ومليكه، والمتصرف فيه، بخلاف المشركين في هذا الزمان الذين اتخذوا من دون الله أولياء، واعتقدوا أنهم يتصرفون في العالم بالإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع والنصر والهزيمة وإنزال المطر، والخصب أو القحط والجذب، فهؤلاء أغلظ كفرا وشركا من أولئك.

الرابعة: يجب على كل من قدر على تحطيم ما يعبد من دون الله من القباب والأحجار والأشجار أن يقتدى بخليل الله إبراهيم، وبخليله محمد ﷺ فكل منهما كسر الأصنام، وقد فعل ذلك الإخوان الموحدون «رح » في الحجاز فهدموا قبة حمزة رضى الله عنه والقباب التى كانت في البقيع، فجزاهم الله خيرا، وأجزل ثوابهم.

الخامسة: تذكرنا قصة إبراهيم الخليل بمشركى هذا الزمان، فإنهم يبنون قبة على قبر بجانب الوادى، ويعبدون تلك القبة بالذبح والنذر، ويأتى السيل فيجفرها فيعيدون بناءها وعبادتها، ولا يفكرون بعقولهم في أن هذه القبة أو الروح المتلبسة بها لو كانت تستطيع أن تدفع أو تجلب لهم خيرا لدافعت عن نفسها، وصرفت السيل عن القبة وحفظتها منه، ولكن كذلك يطبع الله على قلوب المشركين وما أحسن قول الخليل لهم ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

السادسة: الكذبتان الأوليان كانتا جهاداً في سبيل الله، والكذب في الجهاد واجب على أعداء الله، سعيا في هلاكهم، وأما الكذبة الثالثة فإنها دفاع عن النفس، واشتغاله بالصلاة، التجاء إلى الله تعالى ليحفظ زوجته، فاستجاب الله دعاءه، وأنقذ سارة ورجعت سالمة غانمة، وهاجر هذه هى، أم إسماعيل جد النبى ﷺ الأعلى.

السابعة: أن نصر الله للموحدين وإهلاكه للمشركين سنة الله التى قد خلت من قبل،

ولن تجد لسنة الله تبديلا، فإذا لم ينتصر الموحدون، وطال عليهم زمان غلبة أعداءهم فاعلم أن توحديهم ضعيف، وإيمانهم ناقص، فإن الله تعالى وعد كل من نصر دينه الحق بالنصر، فقال تعالى في سورة محمد ﷺ ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** (٧) **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ وقال تعالى في سورة المؤمن ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ اللهم اجعلنا ممن نصر دينك ونصرته.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الآيات: ٨٣-٨٤.

قال (ك) يذكر الله تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثير ومنازل مرضية، فابتلى في ذلك كله، وذهب عن آخره ثم ابتلي في جسده، يقال: بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وافرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره، ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم من أجله، وقد قال النبي ﷺ: « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل »، وفي الحديث الاخر « يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه » وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك.

فصل

قال محمد تقى الدين: إنما ذكرت قصة أيوب هنا للاستدلال بها على أن الله تعالى لما ذكر لنا قصص الأنبياء وما أصابهم من المحن أخبرنا أنهم توجهوا إليه وسألوه تفريج كربهم وشفاء مرضهم وإنما حكى لنا ذلك لنقتدى بهم فيما يصيبنا من المصائب، ولا ندعوا مخلوقا

ولا نستعين به، فمن دعا المخلوق لتفريج كربه وشفاء دائه فقد أشرك بالله.

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الآيات ٨٧ - ٩٠

قال محمد تقي الدين: رأيت تفسير (ك) لهذه الآيات فيه أقوال كثيرة لا غرض لنا بذكرها فأردت أن أفسرها حسب ما فهمته.

قوله تعالى ﴿ **وَذَا النُّونِ** ﴾ الخ: «النون» هو الحوت، أي واذكر صاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام، لما ذهب مغاضبا لقومه، أي أغضبه قومه، وهم أهل نينوى مدينة قديمة في العراق لا تزال آثارها موجودة بقرب الموصل في شمال العراق، وعندها قرية تسمى بهذا الاسم، وذلك أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته وطاعة رسوله، فتباطؤوا فغضب عليهم وأوعدهم بعذاب الله، وذهب وتركهم فخافوا وخرجوا من مدينتهم بنسائهم وأطفالهم ومواشيهم، وأخذوا يجأرون إلى الله بالدعاء وتابوا إلى الله تعالى وآمنوا بما جاءهم به يونس فدفع الله عنهم العذاب، قال تعالى في سورة يونس، ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾ هذا ما كان من أمر قوم يونس، أما يونس، فإنه وجد قوما راكبين في سفينة فركب معهم فلما توسطت السفينة في البحر تلاطمت عليها الأمواج ورأى أهلها أنها مثقلة لابد من إلقاء بعض الركاب في البحر، فاقترعوا «باللغة المغربية ضربوا العود» فخرج سهم يونس على أنه

هو الذى يلقى في البحر، ثم أعادوا الاقتراع فخرج سهمه أيضا، ثم أعادوه مرة ثالثة، فخرج سهمه للمرة الثالثة فقام وألقى نفسه في البحر، فأمر الله حوتاً كبيراً أن يبتلعه ولا يضره، كما قال تعالى في سورة الصافات ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ يقول سبحانه وأن يونس لمن المرسلين، إلى أهل نينوى المدينة التى تقدم ذكرها ﴿ إِذْ أَبَقَ ﴾ أى هرب من قومه لما عصوه وسماه الله آبقا كما يسمى العبد الذى هرب من سيده لأنه بارح قومه بغير إذن من الله تعالى ﴿ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ السفينة الممتلئة بالركاب ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ أى اشترك مع أهلها في القرعة ﴿ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ ﴾، أى المغلوبين ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ أى فعل ما يلام عليه، ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ في بطن الحوت بقوله ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ ﴾ أى لبقى في بطن الحوت ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وكأن بطن الحوت قبره، فلا يرجع إلى الحياة إلى يوم القيامة ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ أمر الله الحوت أن يلقيه على الأرض بشاطئ البحر ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ أى مريض بسبب ابتلاع الحوت له ﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ وهو القرع، ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أى بل يزيدون على مائة ألف، فآمنوا بالله ورسوله يونس، ﴿ فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ أى دفع الله عنهم العذاب بعد ما شاهدوه، وقوله تعالى ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ هو من قدر بمعنى قدر المشدد الدال، يقال قدر الله عليه كذا وكذا يقدره على وزن ضرب، وهذا الأمر مقدور، ويجمع على مقادير، قال الشاعر:

دع المقــــادير تجــــرى في أعنتهـــا ولا تبــــيتن إلا خــــالى البـــال
مــا بــين غمضــة عــين وانتباهتهــا يغــير الأمــر مــن حــال إلى حــال

والمعنى، ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ عقاباً لما بارح قومه بلا إذن، فلما ابتلعه الحوت نادى في الظلمات وهى ثلاث ظلمات، قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، نادى قائلاً ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ توسل إلى الله بتوحيده

واعترف بخطئه، وروى الترمذي وغيره عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ قال: «دعوة ذى النون، ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ لم يدع بها مسلم ربه في شيئ قط إلا استجاب له، قال تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى كما أنجينا يونس لما دعى بهذا الدعاء كذلك ننجى كل مؤمن مخلص إذا دعا به ثم أخبر تعالى أن زكريا عليه السلام، لما نادى ربه ولم يكن له ولد يرث علمه، وعلم آبائه فاستجاب الله له، وأصلح امرأته وكانت عاقراً فحملت بيحيى، وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ إلى آخره، أى أن أولئك الأنبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات أى يبادرون إلى طاعة الله تعالى ويدعونه رغبا فيما عنده من الخير، ورهبا أى خوفا منه، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [1]

فصل

قال محمد تقى الدين: وفي ذكر دعوة أيوب، ويونس، وزكريا، تعليم من الله لنا كيف ندعوه، فإن أحداً منهم لم يقل بحق إبراهيم، ونوح، بل دعوا الله تعالى متوسلين إليه بتوحيده والتذلل له، وقوله تعالى ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ أى خائفين، خاضعين متذللين، والخشوع روح الدعاء قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

الباب السادس

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ

---

(١) سورة فاطر.

تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الآيات ٩٨-١٠٣

قال محمد تقى الدين: الخطاب هنا لمشركى مكة ومن سلك سبيلهم في الشرك بالله، وقوله تعالى ﴿ **وَمَا تَعْبُدُونَ** ﴾ يشمل الأوثان والأصنام من قباب أو أحجار وأشجار، ويشمل الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادتهم أو عبادة غيرهم من المخلوقين، والحصب، ما يلقى في النار لتتقد وقوله ﴿ **أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ أى فيها داخلون، ﴿ **لَوْ كَانَ هَؤُلاء** ﴾ الأصنام والأوثان ﴿ **آلِهَةً** ﴾ حقا، ما دخلوا جهنم ﴿ **وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ العابدون والمعبدون، ﴿ **لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ** ﴾ أى أنين، وتنفس شديد، ﴿ **وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ** ﴾ من شدة العذاب، ولما نزلت هذه الآية، جاء عبد الله بن الزبعري إلى النبى ﷺ وجادله فقال: إن بعض العرب يعبدون الملائكة، واليهود يعبدون عزيراً، والنصارى يعبدون عيسى بن مريم وأمه، فهل هؤلاء أيضا يدخلون جهنم، فأنزل الله تعالى جوابه، وذلك قوله سبحانه ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ أى كل من عبد من دون الله، ولم يرض بعبادة العبادين، بل دعا إلى توحيد الله مبعد عن النار ﴿ **لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا** ﴾ أى صوتها ﴿ **وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ** ﴾ من النعيم ﴿ **خَالِدُونَ** ﴾ باقون إلى الأبد ﴿ **لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ** ﴾ وهو الخوف الذى يحصل للمجرمين عند النفخة الأخيرة في الصور، كما قال تعالى في سورة النمل ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ ﴿ **وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ** ﴾ أى تستقبلهم بالبشرى قائلين لهم، هذا يومكم الذى كنتم توعدون في الدنيا، وكان عبد الله بن الزبعري شاعراً شديد العداوة للإسلام ثم أسلم، ومدح النبى ﷺ، فمن ذلك قوله:

يـــا رســـول المليـــك إن لســـانى	راتـــق مـــا فتقـــت إذ أنـــا بـــور
إذ أجـــارى الشـيطان في ســنن الغـــى	ومـــــن مــــال ميلـــــه مثبـــــور

معناه، يا رسول مالك يوم الدين، إن لسانى اليوم يمدحك ويصلح ما أفسده حين كنت بوراً أى هالكاً بالكفر وحين كنت أجارى الشيطان، أجرى معه مطيعا له في طريق الضـلال، ومن يمل مع الشيطان ويطعه فهو هالك، وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري في حديث

رؤية المؤمنين ربهم، ما نصه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، الحديث.

وهذا يزيد معنى قوله تعالى ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ يزيده وضوحا.

الباب السابع

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الآيات ١٠٨-١١٠

قال (ك) يقول تعالى آمرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول للمشركين ﴿ **إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ أي متبعون على ذلك، مستسلمون منقادون له ﴿ **فَإِن تَوَلَّوا** ﴾ أي تركوا ما دعوتهم إليه ﴿ **فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء** ﴾ أي أعلمتكم أني حرب عليكم كما أنكم حرب علي بريء منكم كما أنتم برآء مني كقوله: ﴿ **وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [1] وقال: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ من قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء** ﴾ [2] أي ليكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء وهكذا ههنا ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء** ﴾ أي أعلمتكم ببراءتي منكم وبراءتكم مني لعلمي بذلك، وقوله: ﴿ **وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ** ﴾ أي هو واقع لا محالة ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده ﴿ **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ** ﴾ أي إن الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون،

---

(١) سورة يونس.

(٢) سورة الأنفال.

يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما العباد عاملون في جهرهم وأسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل.

فصل

قال محمد تقى الدين: هذا الإسلام الذى طلب منهم هو الإسلام ظاهراً وباطنا بالقلب والجوارح واللسان، وهذه السورة مكية ومع ذلك أمر الله رسوله أن يتبرأ من المشركين، فالتوحيد الصحيح لا يقوم إلا على الحب في الله والبغض في الله والولاية لله والعداوة لله.

سورة الحج

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ الآية ٢٦

قال (ك) : هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله فأشرك به، من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك، له فذكر تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت، أي أرشده إليه وأذن له في بنائه واستدل به كثير ممن قال: إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يبن قبله، كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر قلت: « يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال المسجد الحرام قلت: ثم أي ؟ قال: بيت المقدس قلت: كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة » وقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا** ﴾ [١] الآيتين قال تعالى: ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [٢] وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والاثار بما أغنى عن إعادته ههنا وقال تعالى ههنا ﴿ **أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا** ﴾ أي ابنه على اسمي وحدي ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ** ﴾ قال قتادة ومجاهد: من الشرك ﴿ **لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ**

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة البقرة.

﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أي اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطواف به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها ﴿ وَالْقَائِمِينَ ﴾ أي في الصلاة ولهذا قال: ﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا مختصين به فالطواف عنده والصلاة إليه في غالب الأحوال إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذا الكلام فوائد:

الأولى: أن المسجد الحرام وسائر المساجد الإسلامية إنما تؤسس على توحيد الله تعالى واتباع رسوله، ولا يجوز أن يحدث فيها شرك أو بدعة، فإن ذلك سعي في خرابها، كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ فكل من أدخل شيئاً من الشرك أو البدعة في بيوت الله يناله هذا الوعيد.

الثانية: كلام الحافظ (ك) ودليله ظاهر في أن أول من بنى المسجد الحرام إبراهيم، وكأن الروايات التى تقوم بأن أول من بناه الملائكة ثم آدم إلى آخرها، لم تصح عنده.

الثالثة: قوله إلا عند اشتباه القبلة، معناه أن من لم يعرف القبلة لغيم أو ظلمة أو لكونه غريبا في البلاد، فإنه يختار جهة ويصلى إليها، وإذا تبين أنه أخطأ فلا إعادة عليه، وكذلك المقاتلون في سبيل الله إذا لم يتمكنوا من استقبال القبلة لشغلهم بقتال العدو، يصلون إلى أى جهة تناسب غرضهم الحربى، وكذلك المسافر يجوز له أن يتنفل على دابته أينما توجهت به.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ (٣١) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ (٣٢) لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣٥) ﴾ الآيات ٣٠- ٣٥

قال محمد تقى الدين: قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ أى الأمر المذكور من قبل ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ** ﴾ كل ما حرمه أو أمر بتعظيمه ﴿ **فَهُوَ** ﴾ اى التعظيم ﴿ **خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ** ﴾ لما فيه من الثواب، ورفع الدرجات، فإن من عظم حرمات الله عظمه الله، ومن لم يعظمها أهانه الله، ﴿ **وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** ﴾ في سورة المائدة وغيرها كقوله تعالى ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **ذَلِكُمْ فِسْقٌ** ﴾ في أول سورة المائدة، والأنعام، الابل والبقر والغنم ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ** ﴾ أى الرجس الذى هو الأوثان، فإن عبادتها شر النجاسات المعنوية، كما قال تعالى في سورة التوبة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** ﴾ والأوثان كل جماد عبد من دون الله كالقباب والقبور والأشجار والأحجار، ﴿ **وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾ أى شهادة الزور، ﴿ **حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** ﴾ الحنفاء هم الموحدون المتبعون لملة إبراهيم وغير مشركين تفسير له وتوكيد، ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ** ﴾ أى سقط ﴿ **مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ** ﴾ أى تقطع جسمه، ويأخذ كل منها نصيبه ﴿ **أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ** ﴾ أى تسقطه ﴿ **فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ أى بعيد، وهما نوعان من الهلاك ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ أى الأمر المذكور ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾ أى الإبل والبقر التى أهداها أصحابها لله، وجعلوا لها علامات تعرف بها وساقوها لينحروها ويذبحوها في الحرم المكى، ﴿ **فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ أى طاعتها لله، فلا يجوز التعدى عليها

بنهب أو سرقة، أو غير ذلك، قال تعالى ﴿ **لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ** ﴾ كالركوب والحلب ﴿ **ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ ولا يحل نحرها أو ذبحها إلا في البيت العتيق، ما حوله من الأراضى، ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا** ﴾ أى ذبحا تعظيما لله تعالى ورحمة للمساكين، ﴿ **لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ** ﴾ أى عند ذبحها أو نحرها ﴿ **فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ وهو الله تعالى ﴿ **فَلَهُ أَسْلِمُوا** ﴾ أى اعبدوه وحده لا شريك له ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** ﴾ المتذللين لله تعالى، المتواضعين الخاشعين ﴿ **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ أى خافت، ﴿ **وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ** ﴾ من البلايا والمصائب ﴿ **وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ** ﴾ المحافظين عليها، الذين يحرصون على أركانها وشروطها، ويصلون صلاة رسول الله ﷺ لا يخالفونها أبدا ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ أى يؤدون زكاة أموالهم ويتصدقون على قدر جهدهم، أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: فتنبهوا أيها الإخوان الذين شرح الله صدورهم للتمسك بكتابه واتباع سنة نبيه لعظم شأن التوحيد عند الله تعالى، فإنه ذكره في هذه الآيات مرتين، الأولى في قوله تعالى ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ** ﴾ والثانية: في قوله تعالى ﴿ **فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا** ﴾ وكل من خاف غير الله بالغيب، ودعاه لجلب خير أو دفع شر بطريق الهمة والحال، لا بطريق الأسباب، فقد اتخذه إلها مع الله، وكفر بمعنى لا إله إلا الله، فلا ينفعه قولها باللسان أبدا، وكل من خالف رسول الله ﷺ في أمر من أمور الدين على عمد فقد كفر بمعنى محمد رسول الله، وقد تقدم هذا في مواضع

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ

ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ الآيات ٣٩-٤١

قال محمد تقى الدين: يتلخص تفسير هذه الآيات فيما يلى، لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة بعدما بايعه أهلها ليلة العقبة بمنى، وقوي المسلمون أذن الله له تعالى في قتال أعدائه، لأنهم ظلموا النبى ﷺ والمؤمنين به، وآذوهم وطردوهم من بلدهم، وهموا بقتل النبى ﷺ وأخرجوه من بلده وليس لهؤلاء المخرجين ذنب إلا أنهم قالوا ربنا الله، والمراد بقوله، ربنا الله، لا نعبد إلا الله، ونكفر بعبادة ما سواه، والمشركون لا ينكرون عليهم توحيد الربوبية، فإنهم مقرون به، وإنما ينكرون عليهم توحيد الألوهية والعبادة، لأنهم قالوا كما في سورة ص: ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾، وقال تعالى في سورة الصافات ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾ فرد الله عليهم بقوله ﴿ **بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [1] وقال تعالى في سورة الزمر ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ وقال تعالى في سورة المؤمن ﴿ **ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا** ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: وكذلك المشركون في هذا الزمان إذا قيل لهم أدعوا الله وحده، وتوجهوا إليه، واتركوا أوليائكم، يقولون الله ورجاله، وبعبارتهم الخاصة «رب برجالوا » يعنون، أن الله لا يكفيهم ولا تقضى حاجاتهم إلا إذا أشركوا به رجالا مخلوقين، فأف لهم، ثم قال تعالى ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ وقد وعدهم بالنصر فقال تعالى في سورة محمد ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ**

---

(١) سورة الصافات.

﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ وقال تعالى في سورة المؤمن ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ وقد فعل سبحانه وتعالى من نزول هذه الآية إلى يومنا هذا وسيفعل ذلك إلى يوم القيامة، فكل هزيمة أصابت المؤمنين، فهى من ضعف إيمانهم وعدم قيامهم بالواجبات، وقوله تعالى ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ إلى آخره يعنى أن الله تعالى شرع الجهاد والدفاع بحكمته البالغة، ابتلاء منه لعباده، وأمر المؤمنين أن يدافعوا عن أنفسهم ودينهم، ولو تركوا الجو خاليا للمجرمين لتغلب أهل الباطل على أهل الحق، وعم الكفر والظلام وحينئذ تهدم معابد النصارى الخاصة بالرهبان، وهى الصوامع، ومعابدهم العامة، وهى البيع، ومعابد اليهود وهى الصلوات، ومعابد المسلمين وهى المساجد التى يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولو شاء الله لأهلك المجرمين بعذاب من عنده ولكن أراد سبحانه أن يبلو الناس بعضهم ببعض لما في ذلك من الفوائد والنعم، ثم أكد سبحانه وتعالى وعده بقوله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ فلا يهزم جنده، ولا يذل أولياؤه، والعجب من المفسرين الأولين فإنه اختلفوا في معنى البيع والصلوات، وكل من يعرف شيئاً من السريانية والعبرانية يعلم يقينا أن البيع معابد النصارى العامة، وأصل البيعة، بيضة بالسريانية، لأن السريانيين كثيراً ما يقلبون الضاد عينا، فيقولون للأرض، أرع، وللبيضة بيعى، وإنما سميت كنيسة النصارى بيعة عندهم، لأنهم كانوا يجعلون لها قبة على شكل بيضة، ثم عم استعمالها في كل كنيسة لهم، والصلاة معبد اليهود، فإنهم يسمون الصلاة «تفلة» بسكون التاء وكسر الفاء ولام مشددة مفتوحة بعدها هاء لا ينطق بها، إلا أنهم يسمون كنيستهم بيت تفلة أى بيت الصلاة، ولله در الإمام ابن جرير فإنه فسر البيع بكنائس النصارى، والصلوات بكنائس اليهود، ولم يشك، ثم وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يستحقون النصر بقوله سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أى نتائجها، فمن أحسن حسنت عاقبته، ومن أساء ساءت عاقبته، فعاقبة التوحيد فوز، وعاقبة الشرك خسران.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الآية: ٦٢

قال (ك) قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ** ﴾ أي الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير إليه ذليل لديه، ﴿ **وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** ﴾ أي من الأصنام والأنداد والأوثان وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل لا يملك ضرا ولا نفعا، وقوله: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ كما قال ﴿ **هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ وقال: ﴿ **وَهُو الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾ فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي لا أكبر منه تعالى وتقدس وتنزه عز وجل عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيراً.

فصل

قال محمد تقي الدين: ومن ذلك تعلم أن كل من دعا غير الله دعاء عبادة أو دعاء مسألة، فإنه مبطل ضال مشرك، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا يوم القيامة.

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الآيات: ٧١ - ٧٤

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا وعبدوا ﴿ **مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا** ﴾ يعني حجة وبرهانا، كقوله: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ **مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ** ﴾ أي ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿ **وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ أي من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال ثم قال: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ** ﴾ أي وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو، وأن رسله الكرام حق وصدق ﴿ **يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا** ﴾ أي يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴿ **قُلْ** ﴾ أي يا محمد لهؤلاء ﴿ **أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ أي النار وعذابها ونكالها أشد وأهم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم إن نلتم بزعمكم وإرادتكم وقوله: ﴿ **وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ أي وبئس النار مقيلا ومنزلا ومرجعا وموئلا ومقاما ﴿ **إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا** ﴾ [1] وقوله تعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾

قال (ك) يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ** ﴾ أي لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ﴿ **فَاسْتَمِعُوا لَهُ** ﴾ أي أنصتوا وتفهموا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ أي لو اجتمع جميع ما

(١) سورة الفرقان

تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الإمام أحمدبسنده عن أبي هريرة مرفوعا قال: « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة » وأخرجه صاحبا الصحيح من طريق عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة » ثم قال تعالى أيضا: ﴿ **وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ** ﴾ أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والإنتصار منه لو سلبهم شيئا من الذي عليها من الطيب ثم أرادوا أن يستنقذوه منه لما قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿ **ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾ قال السدي وغيره: الطالب العابد والمطلوب الصنم ثم قال: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ أي هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ (١) ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** (١٢) **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ** ﴾ (٢) ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ (٣)وقوله: ﴿ **عَزِيزٌ** ﴾ أي قد عز كل شيء فقهره وغلبه فلا يمانع ولا يغالب لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذا الكلام فوائد:

الأولى: أن المشركين في كل زمان ومكان يعبدون من دون الله مخلوقين مثلهم، وليس لهم دليل على عبادتهم، لا من القرآن ولا من كتب الأنبياء السابقين، ولا يعلمون حقيقة ما يعبدون، فكلما وجدوا قبة مبنية ورأوا الناس يقصدونها لقضاء الحاجات، عبدوها معهم

---

(١) سورة الروم.

(٢) سورة البروج.

(٣) سورة الذاريات.

حتى بلغ بهم الأمر إلى أن عبدوا قبة مبنية على حمار، وأخرى مبنية على كلب، والمشرك عديم العقل والتمييز، فلو سألته عن صاحب القبة والقبر الذى يعبده، متى وجد ؟ وكيف كانت حاله ؟ تجده جاهلا كل الجهل، وهب أنه عرفه، وأنه كان عالما صالحا مستجاب الدعوة، أو نبيا رسولاً، أو ملكاً، فإن عبادته شرك بالله وكفر ولا تنفع العابد بل تضره وتهلكه.

الثانية: التمثيل دائماً بالأصنام غير جيد، لأن المشركين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين وتماثيلهم، وهى الأصنام وقبورهم، والأماكن التي جلسوا فيها، أو مروا بها، والشمس والقمر والكواكب وكل ذلك شرك وكفر.

الثالثة: أن المشركين في كل زمان ومكان إذا دعاهم داع إلى توحيد الله تذمروا وتنمروا وظهر في وجوههم المنكر، ويكادون يبطشون بالداعى، وكثيرا ما يبطشون به فعلا.

الرابعة: هذا مثل عظيم ضربه الله للمشركين وتحداهم به فإن جميع المعبودين من الأبرار والفجار والأصنام والأوثان لا يستطيعون، ولو اجتمعوا أن يخلقوا ذباباً، ونرى كثيراً من المشركين يذهبون إلى قبور الصالحين، ويطلبون منهم الأولاد، وذلك من سفاهة عقولهم، فالذى لا يستطيع أن يوجد ذباباً، كيف يستطيع أن يخلق جنيناً في بطن أمه، ويحفظ عليه حياته في زمان الحمل وبعده، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون.

الخامسة: أن الله تعالى أخبر أن الذين يعبدهم المشركون كما أنهم عاجزون أن يخلقوا ذباباً، فهم عاجزون إذا سلبهم الذباب شيئاً أن يستردوه منه، فإذا كان شيخ الطريقة الذي يعبده أتباعه يأكل عسلا مثلا، وجاء ذباب فأخذ شيئا من ذلك العسل، لا يستطيع أن يقاومه ويسترده منه ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ولو قدروه حق قدره ما عبدوا معه غيره، إن الله لقوى عزيز، لا يغلب من استنصره.

سورة المؤمنون

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

الآيات: ٢٣-٢٥

قال (ك) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام، حين بعثه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد، وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله، ﴿ **فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ أي ألا تخافون من الله في إشراككم به ؟ فقال الملأ وهم السادة والأكابر منهم ﴿ **مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ** ﴾ يعنون يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحي إليه دونكم، ﴿ **وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً** ﴾ أي لو أراد أن يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن بشرا ما سمعنا بهذا أي ببعثة البشر في آبائنا الأولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم في الدهور الماضية وقوله: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ** ﴾ أي مجنون فيما يزعمه، من أن الله أرسله إليكم واختصه من بينكم بالوحي ﴿ **فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ** ﴾ أي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه.

فصل

قال محمد تقي الدين: تقدم الكلام في قصة نوح مع قومه، وسيأتي إن شاء الله، والمهم في هذا الموضع أن حجة قوم نوح وهي قولهم ﴿ **وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ** ﴾ هي حجة المشركين في هذا الزمان يقولون لم نزل نرى العلماء ونسمع كلامهم، فما رأينا أحداً منهم ينكر بناء القباب على القبور، والذبح لها، والنذور وإقامة المواسم حتى جاء هذا الرجل.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الآيات: ٣١-٣٤

قال محمد تقي الدين: يقول الله تعالى وبعد قوم نوح أنشأنا قوماً آخرين، وأرسلنا إليهم رسولاً منهم، وأول ما دعاهم إليه كسائر رسل الله أن أعبدوا الله وحده لا شريك له، ولا تعبدوا معه أحداً، فكذبوه وأنكروا البعث والمعاد، فدعا الله تعالى أن ينصره عليهم، فاستجاب الله دعاءه، وأهلكهم، وتلك سنته سبحانه مع رسله، وكل من اتبعهم بصدق إلى يوم القيامة، اللهم إجعلنا ممن اتبع رسلك وخاصة أفضلهم محمداً ﷺ بصدق وإخلاق، فنصرتهم على أعدائهم، وأيدهم بروح منه.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾
الآيات ٥٢-٦١

قال (ك) قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد، وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولهذا قال ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاتَّقُون ﴾ وقوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ أي الأمم الذين بعثت الأنبياء إليهم ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ أي يفرحون بما هم فيه من الضلال، لأنهم يحسبون أنهم مهتدون، ولهذا قال تعالى مهددا لهم ومتوعدا: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ أي في غيهم وضلالهم ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ أي إلى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [١] وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ يعني أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [٢] لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجا وإنظارا وإملاء، ولهذا قال: ﴿ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٣] الآية وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا ﴾ [٤] وقال الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا رسول الله ؟ قال: غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ سَابِقُونَ ﴾ **قال (ك)** يقول تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه وجلون من مكره بهم كما قال الحسن

(١) سورة الطارق.

(٢) سورة سبأ.

(٣) سورة التوبة.

(٤) سورة آل عمران.

البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة وإن الكافر جمع إساءة وأمنا ﴿ **وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام: ﴿ **وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ** ﴾ [١]

أي أيقنت أن ما كان إنما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو إن كان أمرا فيما يحبه ويرضاه وإن كان نهيا فهو مما يكرهه ويأباه وإن كان خبرا فهو حق كما قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ** ﴾ أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه لا نظير له ولا كفء له، كقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما قال الإمام أحمد والترمذي بسنده عن عائشة أنها قالت: « يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال: لا يا بنت الصديق ولكنه يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف الله عز وجل » وقوله تعالى ﴿ **أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ قال صاحب جامع البيان في تفسير القرآن، أولئك يسارعون في الخيرات، أى أولئك يسارعون في نيل خيرات الدارين بمزاولة الأعمال الصالحة فيعطيهم خير الدنيا والآخرة ﴿ **وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ أى يسبقون غيرهم.

فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الكلام فوائد:

الأولى: أن دين الأنبياء واحد، وإن اختلفت شرائعهم، فكلهم جاؤوا بعبادة الله وحده لا شريك له، وبإقامة العدل والإحسان بين الناس، كما قال تعالى في سورة الشورى ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ فليس في دين أى نبى شرك بالله ولا ظلم لعباد الله فتفرقت

---

(١) سورة التحريم.

الأمم في الدين وتنازعت، وتفرقت كل أمة منها إلى فرق، والناجون منهم هم المتبعون للرسل، ومن طبع الأحزاب والفرق أن يفرح كل حزب بما عنده، ويدعى أنه الحق، ولكن عند الصباح يحمد القوم السرى والصباح الموت وما بعده، فحينئذ يفرح أهل الحق الذين وحدوا الله، واتبعوا رسله ويندم أهل الباطل الذين أشركوا بالله وابتدعوا في دين الله والمثل الألمانى يقول ما معناه « الذى يضحك آخراً هو خير الضاحكين » يعنون بهذا المثل: إن الذى يضحك أولاً ثم يبكى آخرًا فضحكه شر عليه.

الثانية: قول النبى ﷺ أن الله لا يمحو السيء بالسيء، مثال ذلك، من اغتصب أرضاً وزرعها واكتسب من زراعته مالاً كثيراً فحج به وتصدق وأنفق على الأرامل واليتامى، وبنى به المساجد لا يقبل الله منه شيئاً، لأن ذلك الاغتصاب سيئة، وتلك الأعمال التى عملها وظنها من الصالحات هى أيضاً سيئة، والسيء لا يمحو السيئ، كمن غسل الدم بالدم.

الثالثة: قرأ الجمهور ﴿ **يُؤْتُونَ مَا آتَوا** ﴾ من آتى الرباعى بمعنى أعطى وقرئ ﴿ **يأتون مَا آتَوا** ﴾ من أتى الثلاثى، أى يفعلون ما فعلوا وهى قراءة عائشة روتها عن النبى ﷺ ولذلك التبس عليها الأمر فسألت عن الأفعال التى يفعلونها أهى المعاصى، فأخبرها النبى ﷺ أنها الأعمال الصالحة، وهم مع ذلك خائفون أن لا تقبل منهم، لأن محبطات الأعمال كثيرة، والحازم يغلب الخوف على الرجاء إلا في الاحتضار حين تنقطع الأعمال أو تكاد، ولو قرات عائشة بقراءة الجمهور ما وقع لها التباس.

الرابعة: قول النبى ﷺ لعائشة، لا يا بنت الصديق، فيه تكريم لها ولأبيها ﵄، فويل للرافضة الذين يبغضونهما بغضاً شديداً، ومن العجب إنى لما كنت في العراق، تخرجت على يدى في جامعة بغداد طالبة، اسمها عائشة من الموصل، وكانت بينى وبين أخويها صداقة، فبقيت في بيتنا تنتظر التعيين فعينتها وزارة المعارف معلمة في مدرسة ثانوية بمدينة كربلاء، وكربلاء مدينة شيعية، فيها ضريح ينسب للحسين بن على رضى الله عنهما، وعليه قبة مذهبة، وهذا الضريح مكذوب، لأن قبر الحسين مجهول، لأنه قتل في فتنة، وكذلك القبة التى في القاهرة، يزعمون أن رأسه مدفون تحتها، هو كذب أيضاً، فإن رأسه حمل إلى يزيد بن

معاوية، ولا يعرف ما جرى عليه بعد ذلك، والمقصود أن الطالبة المذكورة لم تقبل العمل في كربلاء، لأنه من المشهور عند الناس أن الشيعة الرافضة، إذا وجدوا شخصاً اسمه أبو بكر أو عمر أو امرأة اسمها عائشة يؤذون من يسمى بهذه الأسماء، وربما قتلوه وقد أخبرنى الشيخ عمر خطاب أبو تلميذى قيس خطاب أنه يلاقى مشقة عظيمة وصعوبات في المعاملة بسبب اسمه، فقال لى أن والدى جلبا على شقاء بسبب تسميتهما لى بهذا الاسم، فكلما دخلت مكتبا من مكاتب الدولة، وسألنى رئيسه ما اسمك فقلت عمر، يظهر العبوس في وجهه، ولا يقضى حاجتى إلا بعد اللتيا والتى، فهؤلاء القوم الضالون يهينون ويبغضون من كرمهم الرسول وأحبهم، فالحمد لله الذى عافانا مما ابتلوا به.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ الآيتان: ٩١-٩٢

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة، فقال تعالى: **﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾** أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم، متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال **﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾** [1] ثم لكان كل منهم يطلب قهر الاخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض، والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعدا، فأراد واحد تحريك جسم، والآخر أراد سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزا ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد، فيكون محالا فأما إن

---

(١) سورة الملك

حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكنا، لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهورا، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ أي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه ﴿ **فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ اي تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون.

فصل

قال محمد تقى الدين: وتقدم في سورة الأنبياء قوله تعالى ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ وتقدم في سورة الإسراء ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً** ﴾ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، فالنظام الواحد يدل على إله واحد، والألوهية لا توهب، لأنها خاصة بالواحد الأحد، ومن سخافة جهال المغاربة أنهم يقولون في الإنسان والحيوان والجماد، هذا الشيء فيه بركة، وكل ما فيه بركة بزعمهم يعبدونه حتى وصولوا إلى عبادة الحمير، ففي الدار البيضاء حجر يسمى للأحمارة تعبده النساء.

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ الآية ١١٧-١١٨

قال (ك) يقول تعالى متوعداً من أشرك به غيره، وعبد معه سواه ومخبراً أن من أشرك بالله ﴿ **لا بُرْهَانَ لَهُ** ﴾ أي لا دليل على قوله فقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِه** ﴾ وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله: ﴿ **فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّه** ﴾ أي يحاسبه على ذلك ثم أخبر ﴿ **أَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ أي لديه يوم القيامة فلا فلاح لهم ولا نجاة، وقوله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء فالغفر إذا أطلق معناه محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة معناها أن يسدده

ويوفقه في الأقوال والأفعال..

فصل

قال محمد تقى الدين: هاتان الآيتان معناهما واضح، وقد أجاد الحافظ ابن كثير في تفسيرهما، وتقدم البرهان على أن من دعا غير الله لقضاء حاجته أو تفريج كربه، فقد اتخذ ذلك المدعو إلها، وكفر بالله بدليل قوله تعالى ﴿ **أَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ ومن تبرك بشجرة أو حجر فقد اتخذه إلها، وقد تقدم بسط ذلك في سورة الأعراف، وقول الإمام ابن كثير في قوله تعالى ﴿ **لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ** ﴾ أنها جملة معترضة، عندى فيه نظر، والظاهر أنها صفة لإلها وهى صفة لازمة كقول النحاة خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها، فأطول حال لازمة، والحال أصلها صفة، ويجوز أن تكون هذه الجملة حالا من «الها»، لأن النكرة إذا وصفت تجيء الحال بعدها قال الشاعر:

نجيت يا رب نوحا واستجبت له   في فلك ماخر في اليم مشحونا

فمشحونا حال من الفلك لأنها وصفت بماخر وهى أيضا حال لازمة

سورة الفرقان

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الآيات ١-٢-٣

قال (ك) معنى ﴿ **تَبَارَكَ** ﴾ كثرت بركته وخيره، ﴿ **الْفُرْقَانَ** ﴾ هو القرآن، لأنه يفرق بين الحق والباطل، وقوله ﴿ **عَلَى عَبْدِهِ** ﴾ هذه صفة مدح وثناء، وقوله ﴿ **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾

أي إنما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [١] الذي جعله فرقانا عظيما ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود » وقال: « إني أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي فذكر منهن أنه: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [٢] الآية أي الذي هو مالك السموات والأرض، ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك، ونزه نفسه عن الولد وعن الشريك، ثم أخبر أنه ﴿ **خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ أي كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء، وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره، وقوله تعالى ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **نُشُورًا** ﴾

قال (ك) يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء المالك لأزمة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فكيف يملكون لعابديهم ؟ ﴿ **وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا** ﴾ أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل، الذي يحيي ويميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة، أولهم وآخرهم ﴿ **مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ [٣] فهو الله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا بديل ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أ هـ «ك » .

فصل

قال محمد تقي الدين: قول (ك) لمن يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء، الخضراء:

(١) سورة فصلت.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة لقمان.

هى السماء، والغبراء: هى الأرض، كما قال النبي ﷺ: « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر » ، المراد بذلك أن محمداً ﷺ أرسل إلى جميع من هم على الأرض وتحت السماء من العقلاء، الإنس والجن ليكون لهم نذيراً يحذرهم من عذاب الله إذا أقاموا على الشرك والمعاصى ولم يمتثلوا ما أمرهم الله به.

الثانية: إن المشركين سفهاء، لأنهم اتخذوا آلهة من أهل الأرض، وآلهة أخرى من أهل السماء، مع علمهم بأنهم مخلوقون عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً، ولا نفعاً، ولا موتا، ولا حياة فكيف يستطيعون أن ينفعوا غيرهم.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ الآيات ١٧-١٨-١٩

قال (ك) يقول تعالى مخبراً عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم، فقال ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّـه** ﴾ قال مجاهد: هو عيسى والملائكة ﴿ **فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاء** ﴾ الآية، فيقول تبارك وتعالى للمعبودين: أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم ؟ كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ من دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦)**

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (١) الآية، ولهذا قال تعالى مخبرا عما يجيب به المعبودون يوم القيامة ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء ﴾ أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا، ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (٢) الآية، ﴿ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ ﴾ أي طال عليهم العمر ﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ أي نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ قال ابن عباس: أي هلكى، قال الله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يقربونكم إلى الله زلفى، كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (٣) وقوله ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا ﴾ أي لا يقدرون على صرف العذاب عنهم، ولا الانتصار لأنفسهم، ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ﴾ أي يشرك بالله ﴿ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾

فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الكلام فوائد عظيمة النفع لمن فكر فيها وفهمها.

الأولى: إن الله تعالى يجمع العابدين والمعبودين يوم القيامة ليخزى العابدين ويوقعهم في الحسرة والندامة، فيقول للمعبودين كعيسى ابن مريم، وعزير والملائكة، والجن والصالحين، ﴿ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاء ﴾ فقلتم اعبدونا بالذبح والدعاء والنذر والاستغاثة والتوكل والرجاء والخضوع والتذلل، ونحن نتكفل لكم بقضاء حاجاتكم عند الله في الدنيا وندخلكم

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة سبأ.

(٣) سورة سورة الأحقاف.

الجنة يوم القيامة، أم من تلقاء أنفسهم ضلوا السبيل فعبدوكم من دون الله، واعتمدوا عليكم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فيجيب أولئك المعبودون عن سؤال الله تعالى لهم بقولهم ﴿ **سُبْحَانَكَ** ﴾ ننزهك أن يعبد معك غيرك، ما كان ينبغى لنا أن نقول لهؤلاء المشركين ولا أن نرضى بعملهم، ولكن أنت يا رب متعتهم ومتعت آباءهم من قبلهم بطول العمر وسعة الجاه والأموال، والأولاد حتى نسوا ذكرك، ونبذوا كتابك، وما جاءت به رسلك وكانوا قوما هالكين، ثم يقول الله تعالى للعابدين، اسمعوا، فقد كذبوكم بما تقولون وتزعمون من أنهم كانوا راضين عنكم بعبادتكم لهم، فأنتم وهم في هذا اليوم عاجزون، لا يستطيعون صرف العذاب عنكم، ولا تستطيعون أن تنصروا أنفسكم ولا غيركم، ومن يظلم منكم ظلما كبيراً وهو الشرك بالله، أو ظلما صغيراً وهو المعاصى، نذقه عذاباً كبيراً، أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ الآيات ٤١-٤٤

قال (ك) يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا** ﴾ [1] الآية يصفونه بالعيب والنقص وقال ههنا ﴿ **وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً** ﴾ أي على سبيل التنقيص

(١) سورة الأنبياء.

والازدراء فقبحهم الله، كما قال ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [(١)] الآية، وقوله تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ﴾ يعنون أنه كاد يفتنهم عن عبادة الأصنام، لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها، قال الله تعالى متوعدا لهم ومتهددا ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ الآية، ثم قال تعالى لنبيه منبها أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال فإنه لا يهديه أحد إلا الله عز وجل ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ أي مهما استحسن من شيء ورآه حسنا كان دينه ومذهبه كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ [(٢)] الآية ولهذا قال ههنا ﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانا، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ الآية أي هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فإن تلك تعفل ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يفعلوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم.

فصل

قال محمد تقى الدين: كل المشركين من عباد الشمس والقمر والملائكة والتماثيل وأرواح الأنبياء والصالحين وقبورهم والقباب المبنية عليها والأشجار التى جلسوا تحتها كلهم سواء، ولا يعقل أن يعبد أحد حجراً لأنه حجر وإنما يعبده لأنه يعتقد أن روح معبوده متلبسة به، وهى التى يرجو أن تقضى حاجته، وهذا من جهلهم بالله العظيم، الذى يقول في سورة البقرة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ والجهل أصل لما في النفس من داء، وقانا الله تعالى شر جهلنا ورزقنا العلم النافع.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة فاطر.

عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ الآيات ٥٥-٦٠

قال (ك) يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، بلا دليل قادهم إلى ذلك، ولا حجة أدتهم إليه، بل بمجرد الاراء والتشهي والأهواء، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم، ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا** ﴾ أي عونا في سبيل الشيطان على حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، كما قال تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ** ﴾ [١] أي آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصرا، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ويذبون عن حوزتهم ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين في الدنيا والآخرة، قال مجاهد ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ قال: يظاهر الشيطان في معصية الله ويعينه، ثم قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ أي بشيرا للمؤمنين، ونذيرا للكافرين، مبشرا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيرا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله، ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ** ﴾ أي على هذا البلاغ، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ﴿ **لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾ [٢] ﴿ **إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾ أي طريقا ومسلكا ومنهجا يقتدي فيها

---

(١) سورة يس.

(٢) سورة التكوير.

بما جئت به، ثم قال تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ﴾ أي في أمورك كلها، كن متوكلا على الله الحي الذي لا يموت أبدا الذي هو ﴿ **الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (١) الدائم الباقي السرمدي الأبدي الحي القيوم ورب كل شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ (٢)، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن شهر بن حوشب قال: « لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت » وهذا مرسل حسن وقوله تعالى: ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ** ﴾ أي اقرن بين حمده وتسبيحه ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » أي أخلص له العبادة والتوكل، كما قال تعالى: ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً** ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا** ﴾ أي بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ الآية أي هو الحي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء وربه ومليكه الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع في سفولها وكثافتها ﴿ **فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ أي يدبر الأمر ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين، وقوله ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾ أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به، واقتد به وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾، فما قاله هو الحق وما أخبر به فهو الصدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه، فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق، وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ**

---

(١) سورة الحديد.

(٢) سورة المائدة.

(٣) سورة المزمل.

﴿ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [(١)] الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾، قال مجاهد: في قوله تعالى ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك، ثم قال تعالى منكرا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ أي لا نعرف الرحمن وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية، حين قال النبي ﷺ للكاتب: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ [(٢)] أي هو الله وهو الرحمن وقال في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ أي لا نعرفه ولا نقر به ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ أي لمجرد قولك ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ فأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالإلهية ويسجدون له، وقد اتفق العلماء رحمهم الله، على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها، لقارئها ومستمعها كما هو مقرر في موضعه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

قال محمد تقي الدين: لقد أجاد الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات، ولم يترك مقالا لقائل والمشركون في هذا الزمان وفي كل زمان لا يريدون أن يصدقوا أن آلهتهم لا تنفع عبادتها، ولا يضر ترك عبادتها، وفي هذه السنة سنة ١٣٩٤ هـ انقطع المطر في المغرب وطال انقطاعه فأبى المشركون أن يصلوا صلاة الاستسقاء وتشاءموا منها، وعمد بعضهم إلى ثور فاشتروه بثمانمائة درهم، وساروا به إلى الوثن المنصوب على قبر إدريس بن عبد الله رحمه الله وذبحوه له، متوسلين بذلك لنزول المطر فخيب الله سعيهم، وأخبرني تلميذي الشاب النجيب المحقق علي بن أحمد الريسوني أن السفهاء من أهل شفشاون، ذبحوا بقرة سوداء في موضع يسمى رأس الماء بقرب الكهف المنسوب إلى الجنية مسعودة، ومشوا حفاة حاسري

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة الإسراء.

الرؤوس إلى قبر الشيخ الوافى، كل ذلك فعلوه لطلب الغيث فردهم الله خائبين، ﴿ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ الآيات ٦٨-٧١

أخرج البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن عبد الله بن مسعود، سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر ؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال: ثم أي ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قال: ثم أي ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك، ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ الآية، وروى الإمام أحمد بسنده عن المقداد بن الأسود ﷺ يقول: « قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ما تقولون في الزنا ؟ قالوا: حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره قال: فما تقولون في السرقة ؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام قال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره » وقوله تعالى: ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ أى جزاء وعقابا، وفسره بما يعده مبدلا منه، وهو قوله تعالى ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى يكرر عليه ويغلظ ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ أى حقيراً ذليلاً، ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ ﴾ أى في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه.

سورة الشعراء

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الآيات من ٦٩ -١٠٤

قال (ك) هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، إمام الحنفاء، أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله، فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل، فقال ﴿ **لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ أي مقيمون على عبادتها ودعائها ﴿ **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ** ﴿٧٢﴾ **أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** ﴿٧٣﴾ **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ** ﴿٧٥﴾ **أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ** ﴿٧٦﴾ **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير، فلتخلص إلي بالمساءة فإني عدو لها لا أبالي بها، ولا أفكر فيها، وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام: ﴿ **فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ** ﴾ [1] الآية، وقال هود عليه السلام ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴿٥٤﴾ **مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ** ﴿٥٥﴾ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [2]، وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم فقال ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ** ﴾ [3] الآية، وقال تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ** ﴿٢٦﴾ **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴿٢٧﴾ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**

---

(١) سورة يونس.

(٢) سورة هود.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) سورة الممتحنة.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [١] يعني لا إله إلا الله، وقوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلى قوله ﴿ خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يعني لا أعبد إلا الذى يفعل هذه الأشياء ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ أي هو الخالق الذي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه فكل يجري على ما قدر له، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ أي هو خالقي ورازقي بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن وأنزل الماء وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد، وأنزل الماء عذبا زلالا يسقيه مما خلق أنعاما وأناسي كثيرا، وقوله ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباً، كما قال تعالى آمرا للمصلي أن يقول ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ إلى آخر السورة، فأسند الإنعام والهداية إلى الله تعالى، والغضب حذف فاعله أدبا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [٢]، وكذا قال إبراهيم ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أي إذا وقعت في مرض، فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه، ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ أي هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدىء ويعيد , ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو، ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [٣]، وهو الفعال لما يشاء، وقوله تعالى ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، هذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتيه ربه حكما، قال ابن عباس وهو العلم , وقوله ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة , كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار: «اللهم في الرفيق الأعلى » قالها ثلاثا وفي الحديث في الدعاء: « اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدلين » وقوله ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ أي واجعل لي ذكرا جميلا بعدي أذكر به , ويقتدى بي في الخير، كما

---

(١) سورة الزخرف.

(٢) سورة الجن.

(٣) سورة آل عمران.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم , وقوله ﴿ وَاغْفِرْ لأَبِي ﴾ الآية , كقوله ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ [٢] , وهذا مما رجع عنه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [٣] وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [٤] وقوله: ﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي أجرني من الخزي يوم القيامة , يوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم , قال البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أنك لا تخزيني يوم يبعثون، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين »، وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردا به ولفظه: « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني ؟ فيقول لإبراهيم: فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي ؟فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول: يا إبراهيم انظر تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ».

قال صاحب اللسان: وفي حديث القيامة وينظر الخليل عليه السلام إلى أبيه، فإذا هو بذيخ متلطخ، الذيخ ذكر الضباع، فأراد بالتلطخ التلطخ برجيعه أو بالطين، وقوله ﴿ يَوْمَ

---

(١) سورة الصافات.

(٢) سورة إبراهيم.

(٣) سورة التوبة.

(٤) سورة الممتحنة.

لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴾ أي لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ﴿ وَلا بَنُونَ ﴾ أي لو افتدى بمن على الأرض جميعا، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبرؤ من الشرك وأهله ولهذا قال ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي سالم من الدنس والشرك، وقوله ﴿ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

قال (ك) ﴿ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ ﴾ أي قربت وأدنيت من أهلها بزخرفة مزينة لناظريها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا، وعملوا لها في الدنيا ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ أي أظهرت وكشف عنها وبدت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر، وقيل لأهلها تقريعا وتوبيخا: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ أي ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئاً، ولا تدفع عن أنفسها، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون، وقوله ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ قال مجاهد: يعني قد هوروا فيها , وقال غيره: كبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد أنه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ أي ألقوا فيها عن آخرهم ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ﴾ أي يقول الضعفاء للذين استكبروا: إنا كنا لكم تبعا، فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ؟ ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى في العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك، ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾ أى ليس لنا شافع يشفع لنا عند الله فينجينا من عذابه، ﴿ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ أي يهتم بأمرنا ويتألم لنا، لأن المشرك لا يستطيع أحد أن يشفع فيه.

وقد تقدم أن الله لم يقبل شفاعة إبراهيم في أبيه آزر، ولا استغفار محمد ﷺ لعمه أبى طالب، وقوله تعالى ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك أنهم يتمنون أن يردوا إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون، والله تعالى يعلم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون، وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة «ص » ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾، ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم

مُؤْمِنِينَ ﴾ أي في محاجة إبراهيم لقومه، وإقامة الحجة عليهم في التوحيد لآية، أى لدلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله القادر ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ القادر على تعجيل الانتقام، الرحيم، بالإمهال لكى يؤمنوا هم، أو أحد من ذريتهم.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذا الكلام فوائد: الأولى: لماذا قص الله علينا قصة إبراهيم مع قومه وأمر نبيه محمداً ﷺ أن يتلوها علينا ؟ **قال (ك)** لنقتدى به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله، فهذه أربعة أمور، الأول الإخلاص هو تصحيح القصد وإرادة وجه الله تعالى في كل ما نقوله ونعتقده ونفعله وندعو الناس إليه، «الثانى » الثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه وعدم الخوف من المشركين والمنافقين، «الثالث » إخلاص العبادة لله وحده لا شرك له، «الرابع » وهو شرط في صحة ما تقدم، وقليل من يتفطن له في هذا الزمان، وهو التبرؤ من الشرك وأهله، قال تعالى في سورة الممتحنة ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) ﴾ وقال تعالى في سورة مريم ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا ﴾ وقال في هذه السورة ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى آخر ما تقدم، فنحن نقول لعباد القبور والأضرحة والقباب، إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله ولا يتم توحيدنا إلا بذلك، هذا بعد أن نتطلف معهم، ونقيم لهم الحجج على أن ما يفعلونه هو الشرك الأكبر، ثم يصرون على عملهم، ولا نستثنى من ذلك أحدا لا أباً، ولا أماً ولا أخاً ولا عماً ولا صديقاً، وقد عسر هذا على بعض الموحدين، وعدوه من التشدد والخروج من الحكمة، وهم محجوجون بما تقدم وبغيره.

الثانية: أن تماثيل الصالحين، وهى الأصنام والأوثان وهى قبورهم وقبابهم والأحجار التى جلسوا عندها والأماكن التى مروا بها، وسائر آثارهم، إذا دعاها الداعى لا تسمع دعاءه، ولا تراه، وكذلك أرواحهم لأن السعيد من المعبودين تكون روحه في الجنة، فهى مشغولة بالنعيم عن سماع دعاء من دعاها، ولنفرض أنها سمعته فإنها تكره وتمقت ذلك الداعى، لأنه أشرك بالله، ولا تجيبه أبداً إلى يوم القيامة، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾، وإن كانت أرواح المعبودين شقية، فإنها لا تسمع دعاء العابدين، لأنها مشغولة بالعذاب.

الثالثة: جواب المشركين لإبراهيل الخليل، وجواب المشركين لخير أبنائه محمد ﷺ حين سئلوا من خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها، كان اعترافا بعجز آلهتهم، وأنها لا تسمع ولا تنفع، إلا أنهم اقتدوا بآبائهم.

قال محمد تقى الدين: أما المشركون في هذا الزمان، فإنهم أشد جهلا وأغلظ كفراً، فإنهم يزعمون أن آلهتهم تسمعهم إذا استغاثوا بها، وتتصرف في العالم وتنفع وتضر، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الرابعة: ذكر الله لنا سبحانه أربعة من الرسل كلهم خوفهم المشركون من قومهم، وحذروهم أن تصيبهم آلهتهم بسوء، فقالوا لهم كلهم في المعنى، أجمعوا أمركم وادعوا شركائكم وكيدونا ولا تمهلونا طرفة عين، وكذلك المشركون في هذا الزمان، يخوفون الموحدين من غضب ألهتهم ويقولون لهم احذورا الأولياء أن يصيبوكم بالمصائب التى لا طاقة لكم بها، ولما خرجت من الطريقة التجانية على يد شيخنا محمد بن العربي العلوي، رحمة الله عليه في فاس في ربيع الأول سنة ١٣٣٨ ورجعت إلى وجدة، حيث كنت معلماً عند الشيخ أحمد سكيرج، لابنه عبد الكريم وابن أخيه عبد السلام، وكان يجلني ويكرمني، وكنا في الهواء سواء، هو مقدم كبير في الطريقة التجانية، وأنا مريد فلما علم أنى نبذت الطريقة التجانية نبذ النوى، أظهر الحزن، وجمع على علماء وجدة، فناظروني فظهرت عليهم بالحجج القاطعة، فخوفنى من انتقام الشيخ، وذكروني بما نسب إلى الشيخ أحمد

التجاني، أنه قال من ترك طريقته وأخذ طريقتنا فلا خوف عليه من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان، من الأحياء أم من الأموات، أما من أخذ طريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية وتركها، فإنه يحل به البلاء دنيا وآخرة، ولا يموت إلا كافراً قطعاً، وبذلك أخبرنى سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما، فقلت لهم دعونى من هذا الوعيد الذى لا لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولا قام عليه دليل بل هو مضاد للدليل كما أخبرتكم بالأدلة القاطعة، فغضبوا وقالوا للشيخ أحمد سكيرج «هذا مفلس» لا تنفع فيه النصيحة، والمفلس بفتح اللام وتشديده وضم الميم وتسكن تخفيفاً في اللغة المغربية هو الذى بلغ غاية الضلال.

ووقع لى مثل ذلك في تطوان لما أصابنى مرض الربو، زعم المشركون، أن السيد السيعدى هو الذى أصابنى بذلك المرض، لأنى قلت لهم، لا تذبحوا له ولا تطلبوا منه حاجة، فإنه لا يضر ولا ينفع وكنت أعلم أن سبب المرض، هو التعرض للبرد بعد الخروج من الحمام، وعلمت بعد ذلك بالتجربة أن هذا النوع من الربو دواؤه، الانتقال من قرب البحر إلى الأماكن التى هؤاؤها جاف خال من الرطوبة، لأنى إذا كنت في البلاد البعيدة من البحر، كسجلماسة، ومدينة مراكش، ومدينة النبى ﷺ ومكة، وشمال العراق، لا يصيبنى أبداً، فأين غضب السيد السعيدى وانتقامه منى حين أكون في البلاد البعيدة من البحر، وهل سيدى السعيدى يرضى أن يعبده الناس، لو كان كذلك لما كان صالحاً، إذ لا يرضى بعبادة الناس له إلا شيطان أو طاغوت، فما أسفه عقول المشركين.

الخامسة: يوجد كثير من الدجاجلة يضمنون الجنة لغيرهم بدراهم معدودة، ويقولون لهم نحن آل النبى لا تمسنا النار، وقد ضمناكم فلا تمسكم النار حتى تمسنا، وهؤلاء مجرمون كاذبون على الله، فمحمد رسول الله ﷺ لم يستطع أن يدخل عمه أبا طالب الجنة، ولما استغفر لها نهاه الله تعالى بقوله، في سورة التوربة ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى** ﴾ الآية، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: يا فاطمة بنت محمد، سلينى من مالى ما شت وأنقذى نفسك من النار، لا أغنى عنك من الله شيئا، وقال مثل ذلك لعمته صفية، ولعمه العباس، ولأقرب الناس إليه، بنى هاشم، وقد

رأينا هنا أن إبراهيم إمام الحنفاء ﷺ، يشفع لأبيه آزر فلا يقبل الله شفاعته فيه بل يمسخ آباه آزر ذيخاً متلطخاً بما يخرج منه ثم يأمر به فيلقى في جهنم.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ الآيات: ٢١٣-٢٢٠

قال (ك) : يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له، ومخبرا أن من أشرك به عذبه، ثم قال تعالى آمرا لرسوله ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين أي الأدنين إليه، وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين، ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتبرأ منه، ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها، كما قال تعالى: ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [(١)]

وفي صحيح مسلم: « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار ». وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها:

الحديث الأول: رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ﷺ قال: لما أنزل الله عز وجل ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه، فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ «يا بني عبد المطلب , يا بني فهر , يا بني لؤي , أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد

---

(١) سورة يس.

أن تغير عليكم صدقتموني قالوا: نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.

الحديث الثاني: روى الإمام مسلم وأحمد عن عائشة قالت: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: « يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم ».

الحديث الثالث: روى الإمام البخاري ومسلم أبي هريرة ﵁ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا فعم وخص فقال: « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ أي في جميع أمورك فإنه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك، وقوله تعالى ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ قال في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أى السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم.

فصل

قال محمد تقى الدين: نستفيد من هذا الكلام فوائد، الأولى: أن كل من دعا مع الله غيره لجلب خير أو دفع شر، فإن الله يعذبه في الدنيا وفي الآخرة، وقد وجه الله تعالى الخطاب لنبيه وخير خلقه محمد ﷺ مع علمه سبحانه أنه معصوم من الشرك، ومن المعاصى كلها، ليبين لنا أن كل من أشرك به، ولو بلغ في العبادة وعلو المنزلة كل مبلغ، فإن الله يحبط عمله، ويعذبه ولا يستطيع أحد أن يشفع فيه، حتى لو فرض المحال، وهو أن نبيا من الأنبياء أشرك بالله، فإن الله يعذبه، وتعليق الحكم على المستحيل موجود في القرآن، قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وقد تقدم تفسيره.

الثانية: وهى من أهم المسائل، أمر الله تعالى لنبيه أن يحذر أقرب الناس إليه من عذاب الله لئلا يتكلوا على قرابتهم منه، ويتكاسلوا عن العمال أو يتجرؤوا على ارتكاب المعاصى،

اعتماداً على أنهم أقرب الناس إلى سيد الشفعاء، وأنه يشفع لهم، ويخلصهم من العذاب، وقد قام النبى ﷺ بما أمره الله تعالى به خير قيام، فأنذر الأقربين كلهم حتى أنذر أقرب الناس إليه ابنته فاطمة، وخوفها من عذاب الله، وأخبرها أنه لا يخلصها من العذاب إلا توحيد الله تعالى، وطاعة رسوله، وأن القرابة وحدها لا تغنى عنها شيئاً.

الثالثة: أن من آمن بالله، واتقاه يكون معه بنصره وتأييده، وأنه لا يتوكل إلا على الله في جلب الخير ودفع الشر.

سورة النمل

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَىۡءٍ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ الآيات: ٢٣- ٢٦

قال معين الدين بن الشيخ صفي الدين في جامع البيان في تفسير القرآن ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً** ﴾ أى بلقيس تملكهم، الضمير لسبأ باعتبار أهلها، ﴿ **وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿ **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ بالنسبة إلى عروش أمثالها، من ذهب مكلل بأنواع الجواهر ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ فلا يهتدون إلى قبائح أعمالهم ﴿ **فَصَدَّهُمْ** ﴾ منعهم ﴿ **عَنِ السَّبِيلِ** ﴾ طريق الحق، ﴿ **فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ** ﴾ إليه ﴿ **أَلاَّ يَسْجُدُوا** ﴾ « ألا » بالتخفيف فمعناه ألا يا قوم اسجدوا وهو استئناف أمر من الله بالسجود، أو من الهدهد، أو من سليمان ﴿ **لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ** ﴾، يظهر ما خفى في غيره وهو عام لإنزال المطر وإنبات النبات، وإنشاء البنين والبنات وغيرها في السموات

والأرض ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ فله استحقاق السجود، لا لكرة تدور على الفلك بأمر مديرها ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ المحيط بجملة المكونات.

فصل

قال محمد تقى الدين: النظر هنا في آيتين، الأولى: قوله تعالى ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ الشمس أعظم آية من آيات الله التى نشاهدها بالبصر في هذه المجموعة الشمسية من الكواكب السيارة، والنجوم البعيدة والقمر، وقد جعلها الله تعالى سببا لحياة الحيوان والنبات، وجعل الأرض التى نسكنها تبعد من الشمس بمقدار معين دقيق لو زاد شيئاً قليلاً في البعد من الشمس لجمد كل ما على ظهر الأرض من حيوان، ونبات، ولو دنا قليلاً من الشمس لاحترق كل ما عليها، من حيوان ونبات، فكيف يتجاسر الملحدون والقردة الذين يقلدونهم على القول بأن هذا العالم أوجد نفسه، وهو يدبر نفسه، هؤلاء مغالطون مخادعون، لأنفسهم قبل غيرهم، ولما كانت الشمس أعظم المخلوقات التى نشاهدها افتتن بها قوم من الذين يغترون بالظواهر، ولا ينظرون ما وراءها فاتخذوها إلها يعبدونها من دون الله، ومن بقاياهم الشعب اليابانى، فإنهم يعتقدون أن ملكهم المسمى عندهم «مكدو » هو ابن الشمس،، فهم يعبدونه من دون الله، ويوجد في شمال بلاد «نرويج » قوم من أهل البادية يسكنون الخيام في تلك الأراضى القطبية الشديدة البرد، فإنها في وقت شتائها تغيب عنها الشمس ثلاثة أشهر، ولكن القمر يبقى ظاهراً فهم يعبدونه، وأما أهل المدن فإنهم نصارى كسائر الأوربيين، ولو كانت الشمس هى التى أوجدت نفسها، وهى التى تدير نفسها، ولها علم وإرادة تسير باختيارها، لكان هنالك العذر لمن يعبدها، ولكنها مخلوقة لها أجل محدد لم تكن من قبل ثم كانت، وإذا انقضى أجلها تفنى، وقد قدر علماء الفلك في هذا العصر حسب حدسهم وتخمينهم عمر الشمس بعشرين ألف مليون سنة، وزعموا أن نصف هذه المدة قد مضى، ونصفها باق، وهو عشرة آلاف مليون سنة، ولا يوجد أحد منهم في هذا الزمان يدعى أن الشمس أزلية، ولا أنها تطلع باختيارها وتغرب باختيارها، وتعطى الضوء الحر من تريد، وتمنعهما ممن تريد، وعباد البقر في الهند أقل حماقة من عباد القبور، فلا ينبغى أن يعبد إلا رب العرش العظيم، وهو على كل شيء قدير.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الآيات ٤٤-٤٧

قال محمد تقي الدين: إن كثيراً من أهل هذا الزمان الذين لم يقتلوا تفسير (ك) درسا وبحثا يخيل لهم إن فيه خرافات إسرائيلية تكدر صفوه، فيجب حذفها فأقول لهم على رسلكم، ومن ذا الذى حرم علينا ذكر الإسرائيليات وروايتها إذا كانت فيها فائدة، كيف وقد قال النبى ﷺ بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، فكأن هؤلاء يعارضون النبى ﷺ ويقولون، لا تحدثوا عن بنى إسرائيل، ففي التحديث عنهم حرج، فإذا روى المفسرون السابقون، كابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والحسن البصري، وكبار آئمة الحديث، كأبى بكر بن أبى شيبة شيخ البخاري ومسلم حكايات كثيرة عن بنى إسرائيل، منها ما يصح ومنها لا يصح، فلا يسع الحافظ «ك» إلا أن يذكر ذلك في تفسيره، ولكن هل كان يصدق كل ما روى في ذلك أو يعتمد عليه في إثبات حكم. الجواب لا، ثم لا، وقد أتاه الله من العلم والحكمة ما يمنعه من ذلك، فقد ذكر رحمه الله في قصة سليمان وبلقيس أخباراً عجيبة غريبة وختمها بقصة طويلة عزاها إلى الإمام أبى بكر بن أبى شيبة ثم قال بعد حكايتها عند قول ابن أبى شيبة، ما أحسنه من حديث، ما نصه قلت بل هو حديث منكر غريب جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس، والله أعلم، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم، كروايات كعب، ووهب، سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد

والغرائب والعجائب، مما كان ومما لم يكن، ووما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة، أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: أفبعد هذا يتهم (ك) بالغلفة وحشو كتابه بالإسرائليات والحكايات الخيالية، اللهم لا، إنه برئ من ذلك ثم قال في بقية تفسير الآيات، أصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن فرعون لعنه الله، أنه قال لوزيره هامان ﴿ **ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ** ﴾ [1] الآيات، والصرح قصر في اليمن عالى البناء، والمراد المبنى بناء محكما أملس، ﴿ **مِّن قَوَارِيرَ** ﴾ أى زجاج، وتمريد البناء تمليسه، ومارد، حصن بدومة الجندل، والغرض أن سليمان عليه السلام، اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكية ليريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما أتاه الله، وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره، انقادت لأمر الله تعالى، وعرفت أنه نبى كريم، وملك عظيم، وأسلمت لله عز وجل وقالت ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي** ﴾ أى فيما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ﴿ **أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أى متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذى خلق كل شيء، فقدره تقديرا، وقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ** ﴾.

قال (ك) يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام، حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ **فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ** ﴾ قال مجاهد: مؤمن وكافر، كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ** ﴾ أي لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته، ولهذا قال: ﴿ **لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ** ﴾ أي ما رأينا على وجهك

---

(١) سورة غافر.

ووجوه من اتبعك خيراً، وذلك أنهم لشقائهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه، قال مجاهد: تشاءموا بهم، وهذا كما قال الله تعالى إخبارا عن قوم فرعون: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ ﴾ [1] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [2]أي بقضائه وقدره، وقال تعالى مخبرا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ [3] الآية وقال هؤلاء ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي الله يجازيكم على ذلك، ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ قال قتادة: تبتلون بالطاعة والمعصية، والظاهر أن المراد بقوله: ﴿ تُفْتَنُونَ ﴾ أي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة يس.

وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

الآيات: ٥٩-٦٥

قال (ك) يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره: إن المراد بعباده الذين اصطفاهم الأنبياء قال: وهو كقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** (١٨٠) **وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ** (١٨١) **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [(١)] وقال الثوري والسدي: هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين وروي نحوه عن ابن عباس أيضا ولا منافاة، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر أن يحمدوه على جميع أفعاله وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار، وقوله تعالى: ﴿ **آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ استفهام إنكاري على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى، ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره، فقال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ** ﴾ أي خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها، وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة، والأفلاك الدائرة، وخلق الأرض في استفالها وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار، والفيافي والقفار، والزروع والأشجار والثمار والبحار والحيوان على اختلاف

---

(١) سورة الصافات.

الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء ﴾ أي جعله رزقا للعباد، ﴿ فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ﴾ أي بساتين ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي منظر حسن وشكل بهي ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ أي لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [١] أي هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له , ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق , وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المنفرد بالخلق والرزق , ولهذا قال تعالى: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ أي أإله مع الله يعبد, وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضا أنه الخالق الرازق، ومن المفسرين من يقول معنى قوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول، لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به فيقال: كيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ﴾ الآية وقوله تعالى ههنا: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ ﴿ أَمَّنْ ﴾ في هذه الايات كلها تقديره أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق، وإن لم يذكر الاخر لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك وقد قال تعالى: ﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ثم قال في الآية الأخرى: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي يجعلون لله عدلا ونظيرا وهكذا قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [٢] أي أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [٣] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا

(١) سورة العنكبوت.

(٢) سورة الزمر.

(٣) سورة الزمر.

كَسَبَتْ ﴾ [١] أي أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيره، كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال ﴿ وَجَعَلُواْ للهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [٢] وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها، وقوله تعالى ﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾ إلى قوله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطاً، ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الاخرى ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء ﴾ وقوله ﴿ وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا ﴾ أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار، وبين ذلك وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم، حيث ذرأهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه، ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ أي جبالا شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بهم ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً، أي مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه, فإن البحر الحلو، هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس، والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا، يسقى الحيوان والنبات منها، والبحار المالحة المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [٣] ولهذا قال تعالى: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ أي فعل هذا أو يعبد على القول الأول؟ وكلاهما متلازم صحيح ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي في عبادتهم غيره، وقوله تعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

---

(١) سورة الرعد.

(٢) سورة الرعد

(٣) سورة الفرقان

قال (ك) ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ** ﴾ (٢)، وهكذا قال ههنا ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إليه، والذي لا يكشف ضر المضطرين سواه،، وروى الإمام أحمد بسنده عن جابر بن سليم الهجيمي قال: « أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه، فقلت: أيكم محمد رسول الله ؟ فأومى بيده إلى نفسه فقلت: يا رسول الله أنا من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني، قال: «لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه، فإنه يكون لك أجره وعليه وزره، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، ولا تسبن أحدا » قال: فما سببت أحدا ولا شاة ولا بعيرا، وقال أبو حاتم بسنده عن عبيد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طاوس يعودني, فقلت: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن, فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه , وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي, قال هذا الرجل: كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني, فركب معي ذات مرة رجل, فمررنا في بعض الطريق على طريق غير مسلوكة, فقال لي: خذ في هذه فإنها أقرب فقلت: لا خبرة لي فيها, فقال: بل هي أقرب فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق, وفيه قتلى كثيرة , فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل, فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكينا معه, وقصدني ففررت من بين يديه وتبعني, فناشدته الله, وقلت: خذ البغل بما عليه فقال هو لي: وإنما أريد قتلك, فخوفته الله والعقوبة, فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين, فقال وعجل فقمت أصلي فأرتج علي القرآن , فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيرا وهو يقول: هيه افرغ, فأجرى الله على لساني قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا**

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة النحل

دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعا, فتعلقت بالفارس, وقلت له: بالله من أنت ؟ فقال: أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه , ويكشف السوء, قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما، وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ ﴾ أي يخلف قرن قرنا قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى: ﴿ إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ من بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ [1] ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ ﴾ أي قوما يخلف بعضهم، كما قدمنا تقريره، ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ أي يقدر على ذلك أو أإله مع الله يعبد، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له، ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم، وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يقول تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ أي بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية كما قال تعالى:

﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [3] الآية ﴿ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدبين القنطين ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [4] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [5] ﴿ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ﴾

---

(١) الأنعام.
(٢) سورة النحل.
(٣) سورة الأنعام.
(٤) سورة البروج.
(٥) سورة الروم.

أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [١] فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزاهير وغير ذلك من ألوان شتى، ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ أي فعل هذا، وعلى القول الآخر يعبد ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في ذلك , وقد علم أنه لا حجة لهم في ذلك ولا برهان, كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٢] ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول معلما لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله، وقوله تعالى ﴿ إِلاَّ ﴾ استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل، فإنه المتفرد بذلك وحده لا شريك له، كما قال تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾[٣] الآية، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾[٤] إلى آخر السورة والآيات في هذا كثيرة وقوله تعالى: ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة، كما قال تعالى: ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾[٥] أي ثقل علمها على أهل السموات والأرض، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنه يعلم – تعني النبي ﷺ – ما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله تعالى يقول: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ وقال قتادة: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها

---

(١) سورة الطارق.

(٢) سورة النور.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) سورة لقمان.

(٥) سورة الأعراف.

غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وإن أناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والذميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون، رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه وهو كلام جليل متين.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذا الكلام فوائد، الأولى، أن كل من يقرأ الآيات ويفهم معناها ويبقى معتقداً بجواز عبادة غير الله تعالى بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والخوف والرجاء والتوكل والخضوع والتذلل، فلا شك أن الله تعالى ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهدى من أضل الله؟

الثانية: ذكر الله تعالى في هذه الآيات خمسة عشر دليلاً، كل واحد منها كاف شاف، في أنه لا يعبد إلا الله، ومن عرف ذلك الدليل، وعبد غير الله، فهو أضل من الأنعام، الاول: خلق السموات والأرض الثاني: إنزال الماء من السماء، الثالث إنبات النبات من حدائق وغيرها، الرابع: جعل الأرض قراراً، الخامس: خلق الجبال في الأرض لتثبيتها، السادس جعل الأنهار تجرى خلالها، السابع: خلق حاجز بين الماء العذب والماء الملح، الثامن: إجابة المضطر وغوث الملهوف كصاحب البغل، التاسع: كشف السوء كله من فقر ومرض وسجن وغير ذلك من أنواع الضيق والكرب، العاشر: جعل الله الناس خلفاء في الأرض يخلف بعضهم بعضا، يعمر الأرض قوم ثم يذهبون، ويأتى قوم آخرون، وهكذا إلى يوم القيامة، الحادى عشر: هداية الله الناس في أسفارهم في ظلمات البر والبحر بنجوم السماء، وعلامات الأرض، الثاني عشر: إرسال الله الرياح مبشرات بين يدى المطر، الثالث عشر: أن الله يبدأ الخلق ثم يفنيهم ثم يعيدهم، الرابع عشر: أن الله يرزق عباده أنواعا من الرزق، بعضها من السماء وبعضها من الأرض، الخامس عشر: استئثار الله تعالى بعلم الغيب.

الثالثة: تكرار قوله تعالى ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ خمس مرات، وقد فسرها بعض المفسرين بقولهم آءلة يعبد مع الله وفسرها آخرون بقولهم آءله آخر هناك فعل ذلك والجواب لا، لأن المشركين في ذلك الزمان، يعتقدون جازمين، أنه لا يفعل ذلك إلا الله فيقال لهم، لماذا تعبدون غيره إذا ؟

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الآيات ٩١-٩٣.

قال (ك) يقول تعالى مخبرا رسوله وآمرا له أن يقول: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ كما قال تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [1] وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي الذي، إنما صارت حراما شرعا وقدرا بتحريمه لها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها » الحديث بتمامه، وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ من باب عطف العام على الخاص، أي هو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه،

---

(١) سورة يونس.

(٢) سورة قريش.

لا إله إلا هو ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له وقوله: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ أي على الناس أبلغهم إياه كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) وكقوله تعالى: ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ﴾ الآية أي أنا مبلغ ومنذر ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ أي لي أسوة بالرسل الذين أنذروا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أممهم على الله تعالى كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ وقال ﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ أي لله الحمد الذي لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه والإنذار إليه ولهذا قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي بل هو شهيد على كل شيء، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة » وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين إما له وإما لغيره:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فصل

قال محمد تقي الدين: أمر الله رسوله ﷺ وأمر أمته تبعا له بعبادة الله وحده، لا شريك له رب كل شيء، وأمره أن يكون من المسلمين، أي الذين أسلموا نفوسهم وقلوبهم لله رب العالمين، ووحدوه وأطاعوه، وأمر بقراءة القرآن لوجه الله لا لغرض آخر، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٣) فمن قرأ القرآن لغرض آخر

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة فصلت.

(٣) سورة سبأ.

من أغراض الدنيا كتحصيل المال أو الفخر، فإنه يكون عليه وبالا.

سورة القصص

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ

عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الآيات: ٦٢ إلى ٧٥

قال (ك) يقول تعالى مخبراً عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة، حيث يناديهم، فيقول: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾، يعني أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد، هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقريع والتهديد، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ يعني الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر ﴿ رَبَّنَا هَؤُلاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فشهدوا عليهم أنه أغووهم فاتبعوهم ثم تبرءوا من عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [3] وقال الخليل عليه السلام لقومه ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [4] الآية وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [5] ولهذا قال: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ ﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ أي وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة، وقوله: ﴿ لَوْ

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة مريم.

(٣) سورة الأحقاف.

(٤) سورة العنكبوت.

(٥) سورة البقرة.

أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ أي فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين، في الدار الدنيا، وهذا كقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا** ﴾ وقوله: ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم وكيف كان حالكم معهم ؟ وهذا كما يسأل العبد في قبره: من ربك، ومن نبيك، وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأما الكافر فيقول: هاه هاه، لا أدري ولهذا لاجواب له يوم القيامة غير السكوت، لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءلُونَ** ﴾ وقال مجاهد: فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب وقوله ﴿ **فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾ أي في الدنيا ﴿ **فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ** ﴾ أي يوم القيامة، وعسى من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة، وقوله تعالى ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ** ﴾ إلى قوله ﴿ **يَرْجِعُونَ** ﴾

قال (ك) يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع، ولا معقب، قال تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ** ﴾، أي ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه، وقوله: ﴿ **مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** ﴾ نفي على أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [1] وقد اختار ابن جرير، أن ما ههنا بمعنى الذي، تقديره: ويختار الذي لهم خيرة، وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح، والصحيح أنها نافية، كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق، والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال ﴿ **سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا، ثم قال تعالى:

---

(١) سورة الأحزاب.

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي يعلم ما تكن الضمائر، وما تنطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق، ﴿ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ وقوله ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ ﴾ أي في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته ﴿ وَلَهُ الْحُكْمُ ﴾ أي الذي لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي جميعكم يوم القيامة فيجزي كل عامل بعمله من خير وشر، ولايخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال، وقوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

قال (ك) يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم وسئمته النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء ﴾ أي تبصرون به وتستأنسون بسببه ﴿ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴾ ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سرمدا أي دائما مستمرا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم ﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ ﴾ أي بكم ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ أي خلق هذا وهذا ﴿ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ أي في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ أي في النهار بالأسفار والترحال والحركات والأشغال، وهذا من باب اللف والنشر وقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [1] والايات في هذا كثيرة، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

---

(١) سورة الفرقان.

وهذا أيضا نداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله إلها آخر يناديهم الرب تعالى على رؤوس الأشهاد، فيقول: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي في دار الدنيا، ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ قال مجاهد: يعني رسولا ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ أي لا إله غيره فلم ينطقوا.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: المعبودين من دون الله قسمان أبرار وغيرهم، فالأبرار: الملائكة والأنبياء، كعيسى ابن مريم، والصالحون كأصل أصنم قوم نوح.

وغير الأبرار قسمان: قسم دعوا الناس إلى عبادتهم، أو رضوا بها، كفرعون والسدنة الأولين للأصنام، وسدنة القباب المعبودة، والقسم الثاني: الأصنام والأوثان، فالأصنام: تماثيل الصالحين أو الأنبياء، ولو في نظر من يعبدونهم، والأوثان: كل جماد عبد من دون الله كالشمس والقمر والنجوم والقباب والقبور والأشجار والأحجار والمياه والنار، وهؤلاء الشركاء المذكورون في هذه الآية من الصنف الأول من القسم الثاني، وهم الذين يدعون الناس إلى عبادتهم، أو يرضون بها، وذلك لقولهم ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أما قولهم ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ فهو تبرؤ لا ينفعهم لأنهم في دار الجزاء، وأما قولهم ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فإنه يحتمل وجهين، أحدهما نتبرأ إليك اليوم من عبادتهم لنا في دار الدنيا، والثاني أنهم كانوا يعبدون الشيطان الذى زين لهم عبادتنا، فإن كل عابد لغير الله هو عابد للشيطان كما قال تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ [1] وقال تعالى في سورة يس ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

فائدة ثانية: قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أى هل قلتم لهم سمعنا وأطعنا، أو قلتم سمعنا وعصينا، فمن قال سمعنا وأطعنا، فهم المسلمون، فإن قالوها ظاهرا وباطنا فهم المخلصون إذا نجوا من الرياء والسمعة، وهم السعداء الذين رضى الله

---

(١) سورة النساء.

عنهم ورضوا عنه، وإن قالوها بألسنتهم دون قلوبهم وأعمالهم، فهم المنافقون والمتذهبون المقلدون، إذا وجدوا حجة من كتاب الله أو سنة رسوله تخالف مذهبهم،، أو تخالف ما وجدوا عليه آبائهم، رفضوا قبولها وأصروا على اتباع آبائهم وعادات بلادهم، فهم من المنافقين، وسيأتي الكلام على ذلك في قسم توحيد الاتباع إن شاء الله، وقوله تعالى ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءلُونَ ﴾ أى لا يجدون جواباً، فيكتبون حين يصرح الأئمة ببراءتهم منهم ويقولون ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا ﴾ أمرناهم بتقليدنا ولا باتخاذ المذاهب والتعصب لها، وإنا كنا نأمر الناس باتباع كتابك وسنة نبيك يا رب، فيسقط في أيديهم ويندمون حين لا يفيد الندم.

فائدة ثالثة: قوله عسى من الله موجبة يعنى أن الله وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن يكونوا من المفلحين، يوم القيامة، الذين فازوا بما أملوا، ونجوا مما خافوا، فإن قيل فما فائدة التعبير بعسى، ولماذا لم يقل، فأولئك من المفلحين، فالجواب والله أعلم، أن فائدتها أن يكون العبد بين الخوف والرجاء، وأن لا يتكل على عمله، ولذلك كان كبار الصحابة يخافون على أنفسهم النفاق، وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب سأل حذيفة بن اليمان بقوله: أنشدك الله هل ذكر لك النبى ﷺ اسمي في أسماء المنافقين، قال: لا، ولا أزكى بعدك أحداً.

فائدة رابعة: أكثر البلدان جعل الله لهم نهاراً وليلا في كل أربع وعشرين ساعة، وسكان الأراض القبطية كما في شمال نرويج جعل الله لهم السنة أربعة أقسام، القسم الأول: زمان الربيع، فيه نهار وليل، لكن كل يوم ينقص الليل ويزيد النهار، وفصل الصيف كله نهار لا تغيب الشمس فيه مدة ثلاثة أشهر بالحساب الشمسى، وفصل الخريف، فيه ليل ونهار، ولكن كل يوم ينقص النهار ويزيد الليل بعكس الربيع مدة ثلاثة أشهر، وعند ذلك يجيء الشتاء وهو كله ليل لا تظهر فيه الشمس مدة ثلاثة أشهر، وقد شاهدت ذلك بنفسى، وشاهده من معى وصلنا تلك البلاد في فصل الصيف الذى لا تغيب فيه الشمس، وهذا هو الزمان المناسب لزيارة تلك البلاد لشدة البرد في الفصول الأخرى، فسبحان الخلاق العليم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الآيتان: ٨٧، ٨٨

قال (ك) ﴿ **وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ** ﴾ أي لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك ولا تبال فإن الله معل كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ولهذا قال: ﴿ **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ** ﴾ أي إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ﴿ **وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ وقوله: ﴿ **وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته وقوله: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [1]فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ههنا: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ أي إلا إياه، وقد ثبت في الصحيحين من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقال مجاهد والثوري في قوله ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ أي إلا ما أريد به وجهه، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له قال ابن جرير ويستشهد من قال ذلك بقوله الشاعر:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه   رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال أنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى، من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة الإسلامية، والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته، تعالى وتقدس، فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء، وبعد كل شيء، وقوله: ﴿ **لَهُ الْحُكْمُ** ﴾ أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ﴿ **وَإِلَيْهِ**

---

(١) سورة النساء.

تُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

فصل

قال محمد تقى الدين: معنى التفسير الأول أن كل شيء يفنى ولا يبقى إلى الحى الباقى، سبحانه لا إله إلا هو، ومعنى التفسير الثانى: أن كل ما أنفقه الإنسان أو عمله، ولم يقصد به التقرب إلى الله تعالى، فهو ضائع لا ينفعه في الدار الآخرة، فيكون الوجه بمعنى التوجه، كما في قول الشاعر: إليه الوجه والعمل، أى نتوجه ونعمل له.

سورة العنكبوت

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الآية: ٨

قال (ك) يقول تعالى آمرا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما إليه غاية الإحسان فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ [1] ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما المتقدم قال تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا** ﴾ أي وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فإياك وإياهما، فلا تطعهما في ذلك، فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصالحين، لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب، أي حبا دينيا.

---

(١) سورة الإسراء.

فصل

قال محمد تقى الدين: بر الوالدين أعظم الواجبات بعد توحيد الله عز وجل، وعقوقهما، شر المعاصى بعد الاشراك بالله، ومع أن الله أوصى بالإحسان إليهما، فإذا أمراً بمعصية الله أو الشرك بالله، وجبت معصيتهما في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله، وفي الحديث أن أم سعد ابن أبى وقاص قالت له لا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد، فأخبر النبى ﷺ فقال له، دعها فبقيت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، فلما اشتد جوعها وعطشها أكلت وشربت، وفي الحديث أيضا أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق كان في غزوة بدر كافراً يقاتل مع المشركين ثم أسلم بعد ذلك، فقال لأبيه: لقد هدفت لى يوم بدر فلم أقتلك. فقال له أبو بكر ﵁ أما أنك لو هدفت لي لقتلتك، ومن هذا نعلم أن استعمال كتاب هذا العصر، هدف واستهدف، بمعنى قصد، جهل عظيم باللغة العربية فإن معناهما نصب نفسه هدفاً لمن يرميه ومن ذلك قولهم من ألف فقد استهدف، أى نصب نفسه هدفا للطاعنين في كتابه.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الآيتان: ١٦، ١٧

قال (ك) يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له، وتوحيده في الشكر، فإنه المشكور على النعم لا مسدي لها غيره، فقال لقومه: ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ** ﴾ أي أخلصوا له العبادة والخوف ﴿ **ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ أي إذا فعلتم حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة، ثم أخبر

تعالى أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان، لا تضر ولا تنفع، وإنما اختلقتم لها أسماء فسميتموها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلكم، وهي لا تملك لكم رزقا ﴿ **فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ** ﴾ وهذا أبلغ في الحصر كقوله ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾ [1] ولهذا قال: ﴿ **فَابْتَغُوا** ﴾ أي واطلبوا ﴿ **عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ** ﴾ أي لا عند غيره فإن غيره لا يملك شيئا ﴿ **وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ** ﴾ أي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم ﴿ **إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله.

فصل

قال محمد تقى الدين: ملة إبراهيم هى الحنيفية التى أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ باتباعها وأمته تبع له، فأهل هذه الملة لا يتوجهون بقلوبهم ولا بألسنتهم ولا بذبائحهم ونذروهم إلا إلى الله وحده، جازمين بأن غيره لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف يملك ذلك لغيره.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية: ٢٥

قال: (ك) ﴿ **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ يقول لقومه مقرعا لهم وموبخا على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان: إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم بعضكم لبعض في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على أنه مفعول له وأما على قراءة الرفع فمعناه إنما اتخاذكم هذا لتحصل المودة في الدنيا فقط ﴿ **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ ينعكس هذا الحال فتنقلب هذه الصداقة والمودة بغضا وشنآنا ثم ﴿ **يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ** ﴾ أي تتجاحدون ما كان بينكم ﴿ **وَيَلْعَنُ**

---

(١) سورة التحريم.

﴿ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ أي يلعن الأتباع المتبوعين والمتبوعون الأتباع ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ وقال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [١] وقال ههنا: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ الاية أي ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار وما لكم من ناصر ينصركم ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين فأما المؤمنون فبخلاف ذلك.

قال ابن أبي حاتم بسنده عن أم هانىء أخت علي بن أبي طالب قالت: قال لي النبي ﷺ: أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدري أين[٢] الطرفين ؟ ـ قالت: الله ورسوله أعلم ـ ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم ـ قال ـ فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا ـ يعني المظالم ـ ثم ينادي: يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب.

فصل

قال محمد تقى الدين: وهذه الآية تنطبق على أصحاب المواسم الذين يجتمعون كل سنة عند الاوثان، فيذبحون لها ويختلطون رجالاً ونساء ويستوجبون بذلك غضب الله تعالى، روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » أ هـ.

فإذا كان غضب الله يشتد على من بنى المساجد على قبور الأنبياء وجعل صلاته ودعاءه عند قبورهم، وإن كان يدعو الله وحده ولا يشرك به شيئاً، فما بالك بأصحاب المواسم الذين يشدون الرحال من بلدان بعيدة بنسائهم وأولادهم إلى الوثن، ويذبحون له ويطوفون بضريحه، ويتمسحون به ويستغيثون به، لا شك أن غضب الله يكون عليهم أشد، وستصير تلك المودة التى جمعتهم على الأوثان عداوة يوم القيامة حين ينكشف الغطاء، ويتبين لهم أنهم كانوا خاسرين ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ

---

(١) سورة الزخرف.

(٢) هكذا في الأصل والظاهر أنه من أى الطرفين

الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١)

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الآيات: ٤١- ٤٣

قال (ك) هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها، ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٢) ثم قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾ أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم والمتضلعون منه، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأني سمعت الله يقول: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾

فصل

قال محمد تقي الدين: قال الله تعالى في سورة السجدة ﴿ **ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**

---

(١) سورة الكهف

(٢) سورة الأنعام.

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ فكل ما خلقه الله فهو حسن كامل واف بالغرض الذى خلق لأجله، فبيوت النمل في غاية الأحكام وحسن الهندسة، تتحير فيها الألباب، وبيوت النحل كذلك، وأعشاش الطيور، فكذلك بيت العنكبوت هو في غاية الكمال، واف بالغرض الذى خلق لأجله، وليس فيه نقص ولا عيب، ولكن لو أن الإنسان اتخذ بيتا من نسج العنكبوت لا يصلح أن يكون له مسكنا لا يقيه حراً ولا برداً ولا مطراً ولا يحفظه من السراق واللصوص، فهو كالعدم، فكذلك الذين اتخذوا أولياء يعبدونهم مع الله لا ينفعونهم بشيء، ولا يدفعون عنهم شيئاً من الضر، فهذا وجه الشبه بين المشركين، وبين من اتخذه من نسيج العنكبوت..

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الآية: ٥٦

قال (ك) هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون** ﴾ قال الإمام أحمد بسنده عن الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ: « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيرا فأقم » ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين هناك: أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى فآواهم وأيدهم بنصره وجعلهم ببلاده ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة.

فصل

قال محمد تقي الدين: حاصل هذا الكلام أن المسلم لا يجوز له أن يقيم في بلد لا يستطيع أن يعلن فيه توحيد الله، والبراءة من الشرك وأهله، وقد ضمن الله سبحانه لكل موحد

صادق أن يهيئ له مكانا في هذه الأرض الواسعة يستطيع أن يحقق فيه توحيد الله تعالى، فعليه أن يسعى بجد، والله لا يخلف الميعاد.

سورة الروم

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ ﴾ الآيتان: ١٢، ١٣

قال (ك) ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ قال ابن عباس: ييأس المجرمون **﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء ﴾** أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

فصل

قال محمد تقي الدين: المراد بالمجرمين هنا المشركون، أخبر الله تعالى أنهم ييأسون من رحمة الله يوم القيامة، ومن عبدوهم من الملائكة والأنبياء والصالحين وتماثيلهم وقبابهم وآثارهم لا ينفعونهم بشيء يوم القيامة، بل يكفرون بعبادتهم، ويكونون لهم أعداء، كما قال تعالى **﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾** (١) وقال تعالى: **﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾** (٢)

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ

(١) سورة فاطر.

(٢) سورة الأحقاف.

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الآيات: من ٢٨ إلى ٣٥

قال (ك) : هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، فقال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ** ﴾ أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم، ﴿ **هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء** ﴾ أي: يرتضي أحدكم أن يكون عبده شريكا له في ماله فهو وهو فيه على السواء ﴿ **تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال قال أبو مجلز: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك، وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له، والمعنى إن أحدكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون من دون الله أندادا من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ** ﴾ [1] أ هـ.

---

(١) سورة النحل.

قال محمد تقي الدين: ومعنى ذلك مفسر بقوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ «سورة النحل » وقال تعالى في سورة النجم ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ وهذا شأن المشركين يصفون الله تعالى بما يكرهونه لأنفسهم، ولو وصفوا الله بصفاتهم لكانوا كافرين جاهلين ظالمين، فكيف إذا وصفوه بما لا يرضونه لأنفسهم، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون، ما أوضح بيان الله تعالى وما أشد عمى بصائر المشركين.

رجوع إلى بقية تفسير (ك) ولما كان التنبيه بهذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأخرى، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، ثم قال تعالى مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي المشركون ﴿ أَهْوَاءهُم ﴾ أي: في عبادتهم الأنداد ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ أي فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ أي ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وقوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ إلى قوله ﴿ يَفْرَحُونَ ﴾

قال (ك) يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية – ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال – وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة, التي فطر الله الخلق عليها, فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده, وأنه لا إله غيره, وقوله تعالى: ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ قال بعضهم: معناه: لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها , فيكون خبرا بمعنى الطلب, كقوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ وهو معنى حسن صحيح وقال آخرون: هو خبر على بابه, ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة, لا يولد أحد إلا على ذلك, ولا تفاوت بين الناس في ذلك , ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ أي لدين الله وقال البخاري: قوله ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ لدين الله خلق الأولين والآخرين على الدين والفطرة الإسلام. قال البخاري بسنده أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه،

كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ثم يقول ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ أي: التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين المستقيم، ﴿ **وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ أي: فلهذا لا يعرفه أكثر الناس، فهم عنه ناكبون، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ الاية وقوله تعالى: ﴿ **مُنِيبِينَ إِلَيْهِ** ﴾ قال ابن زيد وابن جريج: أي راجعين إليه ﴿ **وَاتَّقُوهُ** ﴾ أي خافوه وراقبوه ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ** ﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿ **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ أي: بل كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة لا يريدون بها سواه، قال ابن جرير بسنده عن يزيد بن أبي مريم قال: مر عمر ﷺ بمعاذ بن جبل فقال عمر: ما قوام هذه الأية ؟ فقال معاذ: ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص، وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها، والصلاة، وهي الملة والطاعة وهي العصمة فقال عمر: صدقت وقوله تعالى: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ أي لا تكونوا من المشركين، الذين فرقوا دينهم أي بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرأ بعضهم: فارقوا دينهم أي تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ** ﴾ الآية، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال: « من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ** ﴾ إلى قوله ﴿ **يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ** ﴾

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عن الناس أنهم في حال الإضطرار يدعون الله وحده لا شريك

له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره، وقوله تعالى: ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ هي لام العاقبة عند بعضهم، ولام التعليل عند آخرين، ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك، ثم توعدهم بقوله ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ قال بعضهم: والله لو توعدني حارس درب لخفت منه، فكيف والمتوعد ههنا الذي يقول للشيء كن فيكون ؟ ثم قال تعالى منكرا على المشركين فيما اختلقوه من عبادة غيره، بلا دليل ولا حجة ولا برهان، ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴾ أي: حجة ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ أي: ينطق ﴿ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ وهذا استفهام إنكار أي: لم يكن شيء من ذلك.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: هذا المثل لا يبقى شكا لكل امرئ تدبره، ولم يختم الله على قلبه، أن عبادة غير الله باطلة، وذلك لأن كل شيء خلقه الله ملك لله تعالى، سواء أكان عاقلاً كالملائكة والأنبياء والصالحين، أم غير عاقل كالأصنام والأوثان، ولا يوجد شخص عاقل يرضى أن يشاركه عبده في ماله، لأنه من جملة ماله، فكيف يتخذون من عبيد الله شركاء يعبدونهم معه بالذبح والنذر، والاستغاثة وغيرها من أنواع العبادة، تجادلت امراتان منذ مدة قريبة وهما مغربيتان، إحداهما موحدة والأخرى مشركة، وكانتا جالستين في المسجد النبوي، فقالت الموحدة للمشركة، لا ينبغى لك أن تستغيثى بنبى ولا بصالح – بل يجب عليك أن تستغيثى بالله وحده، فلم تقبل المشركة، ورأت أن عدم الاستغاثة بالأنبياء والصالحين يحط من قدرهم، لأن مقامهم عند الله عال. فقالت الموحدة للمشركة أترضين أن يتزوج عليك زوجك امرأة أخرى ؟ فقالت: لا ثم لا. فقالت لها: أليس ذلك حلالاً في دين الإسلام ؟ فقالت: بلى، ولكننى لا أرضى بذلك، لأن ذلك يدل على أننى لا أملأ عينه ولا أكفى رغبته، فقالت الموحدة: فكيف ترضين لله رب العالمين مالا ترضينه لنفسك ؟! فإن من دعا غير الله لم يكفه الله، فتأملت المرأة المشركة كلام الموحدة ففهمت، واعترفت بخطئها، ولله المثل الأعلى.

ومن العجائب التى شاهدنها في بلدان مختلفة أن العامى الأمى من الرجال والنساء إذا وحد الله ينفتح له باب العلم والفهم، حتى أنه يناظر علماء المشركين فيفحمهم ويهزمهم،

كان معنا في بغداد رجل من الفلاحين لا يعرف إلا قراءة المصحف بلحن وصعوبة، فلما وحد الله وتمسك بسنة الرسول ﷺ، صار علماء المذهب الحنفى يخافونه، وإذا رأوه في طريق سلكوا غيره، صلى مرة في المسجد المنسوب إلى أبى حنيفة رحمه الله، ويسمونه جامع الإمام الأعظم، وهذا لقب منحه جهال الحكام من الأتراك لأبى حنيفة رحمه الله، فصار المرء لا يسمع إلا مذهب الإمام الأعظم، وقول الإمام الأعظم، فقلت لهم أن الإمام الأعظم على الإطلاق هو رسول الله ﷺ، ويطلق هذا اللفظ على خليفة المسلمين، فقالوا إنك تبغض أبا حنيفة، فقلت لا أبغضه، لأنه من أئمة السلف المثبتين لصفات الله تعالى كلها، ومنها علوه تعالى، واستواؤه على عرشه، وهو برئ ممن يفتى بالتقليد أو يقضى به أو يبيح التفرق في الدين، أو يعتقد اعتقاد الجهمية بأن الله ليس فوق العرش، بل هو في كل مكان، ولكنكم تعبدون خيالا، وتسمونه الإمام الأعظم.

ومن الحكايات الطريفة التى وقعت لذلك الشيخ الفلاح وهو أبو عبد الله أنه ذهب قصداً ليغيظ غلاة المقلدين فصلى معهم في مسجد أبى حنيفة فلما قال الإمام ولا الضالين، قال أبو عبد الله آمين، ورفع صوته ومده بها، وكان الإمام رقيق الدين خرج من المذهب الشافعي ودخل في المذهب الحنفى ليكون إمامًا لذلك المسجد، فلما فرغ من الصلاة غضب على أبي عبد الله وقال رافعا صوته: من ذا الذى يصرخ بآمين «ليش الله أصمخ » ؟! يعنى هل الله أصم، فقال له: أبو عبد الله على البديهة وأنت لماذا تصرخ بقولك ولا الضالين، ليش الله أصمخ ! فقال له: أنت « وكح » أى: وقح فقال أبو عبد الله « أنا ما وكح » ولكن متمسك بسنة النبى، فقال الحاضرون: كيف تجادل العالم وأنت جاهل ؟ فقال أبو عبد الله بل هو الجاهل أو المخالف للسنة على عمد، لأن الجهر بالتأمين سنة، ولا يستطيع هو أن يزعم أنه ليس بسنة أ هـ.

فائدة ثانية: قول البخاري رحمه الله خلق الأولين، إشارة إلى قوله تعالى حكاية عن قول قوم هود لنبيهم حين دعاهم إلى عبادة الله وحده واتباع رسوله هود عليه السلام، أجابوه بقولهم ﴿ **سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ** (١٣٦) **إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ** (١٣٧) **وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾ من سورة الشعراء، قرىء خلق الأولين، بفتح فسكون، بمعنى:

كذب الأولين لأن الخلق والاختلاق في اللغة هو الكذب، قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ أى: يكذبون كذبا، وقرء بضم الخاء واللام، بمعنى: العادة والطبيعة، فعلى القراءة الأولى يكون المعنى هذا الذى تدعونا إليه يا هود إنما هو كذب الأمم السابقة وأساطيرهم وليس من الله كما تدعى، وعلى القراءة الثانية يكون المعنى على أحد وجهين، الأول: هذا الذى تقوله يا هود ليس من الله، وإنما هو من عادة الأولين، الثانى: معناه: نحن على عادة الأولين ودينهم لا ننتقل عن ذلك إلى ما تدعونا إليه، وهذا أضعف الأقوال وأقواها أولها أ هـ.

فائدة ثالثة: قول (ك) خبر بمعنى الإنشاء أى: لا تبدلوا خلق الله، فعلى هذا يكون المعنى لا تبدلوا أيها الناس دين الله الذى بعث به رسله، وهو: توحيده وإقامة العدل والإحسان بين الناس، ومحاسن الأخلاق، وتحكيم شرع الله، فإن الله خلق عباده على الفطرة، فمتى عرض عليهم دين الحق مالت إليه قلوبهم وانشرحت لهم صدورهم ما لم تغير فطرتهم بتعليم كفرى، كالمجوسية، واليهودية، والنصرانية، وعبادة الأوثان، والابتداع في دين الله كطرق المتصوفة التى فرقت الناس، وأفسدت عليهم دينهم ودنياهم، وحتى بعدما تغير الفطرة ويقع صاحبها في الضلال إذا جاءه داع يدعوه إلى دين الحق، ولم يكن عنده مانع من اتباع الهوى، يتلقى الدعوة بفرح، ويتوب إلى الله ويتمسك بدين الحق، ويتعجب من نفسه كيف كان يقرأ القرآن ولا يتدبره ولا يفهم معناه مع وضوحه، لأن ذلك التعليم الخبيث الذى سبق له أعماه عن فهم القرآن، ولا سيما وقد حرفه المضلون وسدوا باب فهمه، وفتحوا أبوابا أخرى من الجهالات والضلالات، فالحمد لله الذى هدانا لدين الحق وأخرجنا من الظلمات إلى النور، فلله الحمد في الأولى والآخرة.

فائدة رابعة: قول الإمام (ك) وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلى آخره.

قال محمد تقى الدين: ومن الضلال إحداث المذاهب والتعصب لها، كما بينه (ك) رحمه الله فيجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يكونوا في دين الله كما كان أصحاب رسول الله ﷺ، لم تكن عندهم مذاهب ولا طرق ولا فرق ولا نحل، فلو كان التفرق حقا

لكان أصحاب رسول الله ﷺ على مذاهب بكرية، وعمرية، وعثمانية، وعلوية، حشاهم من ذلك، وهم خير القرون، نسأل الله أن يجعلنا ممن اتبعهم بإحسان.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الآيات: ٤٠- ٤٢

قال (ك) وقوله عز وجل: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ** ﴾ أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا، لا علم له، ولا سمع ولا بصر ولا قوى، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك،، والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب، كما قال الإمام أحمد بسنده عن حبة وسواء ابني خالد قالا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئا فأعناه فقال: « لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل» وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ يُمِيتُكُمْ** ﴾ أي بعد هذه الحياة ﴿ **ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ أي يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿ **هَلْ مِن شُرَكَائِكُم** ﴾ أي الذين تعبدونهم من دون الله ﴿ **مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ** ﴾ أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وقوله تعالى ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ** ﴾ إلى قوله ﴿ **كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ** ﴾

قال القاسمي: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ أى كثرت المضار والمعاصى على وجه

الأرض وعلى ظهر السفن في لجج البحر ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ أى من الآثام والموبقات، ففشا الفساد وانتشرت عدواه، وتوارثه جيل عن جيل أينما حلوا وحيثما ساروا، ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ اللام للعاقبة، أى ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم، وقيل اللام للعلة على معنى أن ظهور الجذب والقحط والغرق بسبب شؤم معاصيهم، ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه، كقوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [1] ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ أى أذاقهم سبحانه سوء العاقبة، لشركهم المستتبع لكل إثم وعصيان.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: جمعت هذه الآيات بين توحيد الربوبية في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ وتوحيد الإلهية في قوله تعالى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

فائدة ثانية: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ مقرونا بالشرك والمعاص وخصوصا في البلدان التى أسعد الله أهلها بالإسلام بعد أن كانوا لا شيء، فأعطاهم العزة والسيادة والعلم، واستخلفهم في أرضه، وكانت لهم البلاد، ثم رجعوا على أعقابهم وتنكروا للإسلام ونبذوا شريعته، فجعلهم الله أسفل سافلين، وسلبهم ما منحهم، فصاروا أذل الناس وأحقرهم، وأفقرهم وأجهلهم وصاروا أذناباً بعد أن كانوا رؤوساً، اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور، ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

سورة لقمان

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ

(١) سورة الشورى.

ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

الآيات ١٣- ١٥

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده، وقد ذكر الله تعالى لقمان بأحسن الذكر، وأنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، ثم قال محذرا له ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ أي هو أظلم الظلم، وتقدم في سورة الأنعام الكلام على قوله ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ في الباب التاسع عند قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ وفيها حديث مرفوع إلى النبى ﷺ ثم قرن وصيته إياه بعبادة الله، وحده بالبر بالوالدين، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [1] وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن وقال ههنا ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا** ﴾ ذات وهن أو تهن وهنا ﴿ **عَلَى وَهْنٍ** ﴾ أى تضعف ضعفا فوق ضعف، فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها، وقوله ﴿ **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** ﴾ أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين، ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا** ﴾ [2] وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهاراً، ليذكر بإحسانها المتقدم إليه كما قال تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ [3] ولهذا قال ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ**

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة الأحقاف.

(٣) سورة الإسراء.

الْمَصِيرُ ﴾ أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء، قال ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن وهب قال: قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي ﷺ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تطيعوني لا آلوكم خيرا وإن المصير إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظعن وخلود فلا موت، وقوله **﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾** أي إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا، أي محسنا إليهما **﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾** يعني المؤمنين **﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** قال الطبراني في كتاب العشرة بسنده عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال: أنزلت في هذه الآية **﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾** الآية، قال: كنت رجلا برا بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لاآكل و لا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه فقلت: لا تفعلي يا أماه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوما وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أماه والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا، ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي، فأكلت.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: لقد عظم الله شأن بر الوالدين إذ قرن الإحسان إليهما بتوحيده الذى هو أشرف العبادات وأعظمها فيفهم من ذلك أن بر الوالدين أعظم العبادات بعد توحيد الله تعالى، ومع ذلك لم يبح لعباده أن يرضوا والديهم إذا أرادوا منهم أن يشركوا بالله تعالى، وتأمل قصة سعد بن مالك مع أمه تزدد علما وتحقيقا للتوحيد جعلنا الله وإياك من أهله.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآيات: ٢٢- ٢٤

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه، ولهذا قال ﴿ **وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ أي في عمله باتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر ﴿ **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** ﴾ أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه ﴿ **وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** (٢٢) **وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ** ﴾ لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به، فإن قدر الله نافذ فيهم، وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزيهم عليه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ فلا تخفى عليه خافية، ثم قال تعالى: ﴿ **نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً** ﴾ أي في الدنيا ﴿ **ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ** ﴾ أي نلجئهم ﴿ **إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾ أي فظيع صعب شاق على النفوس كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** (٦٩) **مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ** ﴾ [1]

فصل

قال محمد تقي الدين: إسلام الوجه هنا معناه، توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، واتباع الوحي الذي أنزله على نبيه، كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٣١) **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ** ﴾ أنظر ما تقدم في الباب الحادي عشر من سورة البقرة، قوله سبحانه وهو محسن دليل على شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ والعمل بمقتضاها، وهو محبة النبي ﷺ واتباعه في كل ما جاء به من أمور

---

(١) سورة يونس.

الدين، كما أن إسلام الوجه لله تعالى يتضمن معنى لا إله إلا الله، وهذا كقوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا** ﴾ [١] فربنا الله تضمنت معنى، لا إله إلا الله، وثم استقاموا، تضمنت معنى محمد رسول الله ومثل ذلك حديث سفيان بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله قل لى في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال: قل آمنت بالله ثم استقم، رواه مسلم، وقوله تعالى ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ** ﴾ يعنى أن من أشرك بالله ولم يسلم وجهه إليه، أو أعرض عن اتباع رسول الله فهو كافر فلا يحزنك كفره، فسوف يمتع قليلا ثم يضطر إلى عذاب غليظ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الآيات: ٢٩- ٣٢

قال (ك) يخبر تعالى أنه ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ** ﴾ بمعنى يأخذ منه في النهار فيطول ذاك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في النقص، فيطول الليل ويقصر النهار. وهذا يكون في الشتاء، ﴿ **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ قيل إلى غاية محدودة، وقيل إلى يوم القيامة، وكلا المعنيين صحيح،

---

(١) سورة فصلت.

وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة الساقية تجري في السماء بالنهار في فلكها فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر إسناده صحيح، وقوله ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ كقوله ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (٢) الاية، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق، أي الموجود، الحق الإله الحق وأن كل ما سواه باطل، فإنه الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، لأن كل ما في السموات والأرض، الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا، لعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ أي العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي ﴾ إلى قوله ﴿ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾: قال (ك) يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره، أي بلطفه وتسخيره، فإنه لو لا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت، ولهذا قال: ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ﴾ أي من قدرته ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي صبار في الضراء شكور في الرخاء، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾ أي كالجبال والغمام ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ﴾ الاية، ثم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ قال مجاهد: أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ فالختار هو الغدار

---

(١) سورة الحج.

(٢) سورة الطلاق.

(٣) سورة الإسراء.

قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم: وهو الذي كلما عاهد نقض عهده والختر أتم الغدر وأبلغه قال عمرو بن معد يكرب:

وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر

وقوله كفور. أي جحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها.

فصل

يقول محمد تقى الدين: فائدة، جمعت هذه الآيات بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة فمن قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ** ﴾ إلى ﴿ **خَبِيرٌ** ﴾ آية دالة على توحيد الربوبية، وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ** ﴾ الآية دالة على توحيد العبادة، وقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ** ﴾ الآية دالة على توحيد البوبية، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ** ﴾ الآية دالة على توحيد العبادة، وتفسير ابن عباس لجريان الشمس يعلم منه أن الشمس حين تغيب عن قوم، تطلع على آخرين، فهى تجرى دائماً ليلاً ونهاراً حتى ينتهى عمرها، وكل شيء هالك إلا وجهه.

سورة السجدة

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الآية ٤

قال (ك) يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش وقد تقدم الكلام على ذلك ﴿ **مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ** ﴾ أي بل هو المالك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القاهر على كل شيء فلا ولي لخلقه سواه ولا شفيع إلا من بعد إذنه ﴿ **أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير، أو شريك، أو وزير، أو ند،

أو عديل لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة، قوله تقدم الكلام على ذلك، يعنى في سورة الأعراف وجميع الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأئمة الحديث يعتقدون أن الله فوق عرشه الذى هو أعظم المخلوقات، وعرشه فوق سمواته ويحاربون عقيدة من يقول أن الله في كل مكان، وسأتعرض لذلك بإقامة البراهن والبحث والتحقيق في قسم توحيد الأسماء والصفات في الجزء الثالث من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى، قوله فلا ولى لخلقه سواه العقيدة الشائعة عند أكثر من ينتسب إلى الإسلام أنهم يقولون بوجود أولياء ينفعون ويضرون، وقد منحهم الله التصوف في العالم، يفعلون ما يشاؤون، يحيون الأموات، ويميتون الأحياء، ويعطون كل من سألهم حاجته، وهذه عقيدة أهل الكفر والشرك، وقد نفى الله الأولياء في مواضع لا تحصى من كتابه العزيز، فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء** ﴾، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاء اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** ﴾، وقال تعالى في هذه السورة أيضاً منكراً على المشكرين اتخاذ الاولياء ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، فالمسلم الحقيقى الموحد ليس له إلا وليّ واحد، وهو الله سبحانه، قال تعالى في سورة الأعراف آمراً رسوله محمداً ﷺ: ﴿ **قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾ وقال في سورة الأنعام ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ** ﴾ أ هـ.

سورة الأحزاب

الباب الأول

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ الآية ٣

قال (ك) ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي في جميع أمورك وأحوالك ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ أي وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه.

فصل

قال محمد تقي الدين: هو الاعتماد بالقلب على الله وحده في جلب كل محبوب ودفع كل مكروه، فطالب العلم يبذل جهد في التعلم، ولا يتوكل على جهد بل يتوكل على الله في بلوغ النجاح، والزارع يبذل كل جهده في الحرث وإصلاح التربة، واستعمال المخصبات، ولا يتكل على ذلك، بل على الله وحده، فإن من اعتمد على حوله وقوته وكله الله إلى نفسه.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الآية: ٣٩

قال (ك) يمدح تبارك وتعالى ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ** ﴾ أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿ **وَيَخْشَوْنَهُ** ﴾ أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى ﴿ **وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ أي وكفى بالله ناصرا ومعينا وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة وأما هو ﷺ فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[1] ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعد، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه ﷺ بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته فرضي الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون

---

(١) سورة الأعراف.

وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم، روى الإمام أحمد وابن ماجه بسندهما عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه، فقال ثم لا يقوله، فيقول الله ما يمنعك أن تقوله، فيقول رب خشيت الناس فيقول: فأنا أحق أن يخشى ».

فصل

قال محمد تقى الدين: أثنى الله تعالى على الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وأخبر أنه ينصرهم ويعينهم، وقد بين الحافظ (ك) من هؤلاء المعنيون بهذا وأنهم الأنبياء وورثتهم، فلا يكون منهم حقا وصدقا إلا من اتصف بخشية الله وحده، ولم يخش أحدًا غيره، وتكفل الله سبحانه لمن كانت هذه صفته بالنصر والعون. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ الآيتان: ٧٢، ٧٣

قال محمد تقى الدين: ذكر الحافظ (ك) في تفسير هذه الآية روايات كثيرة، حاصلها أن الأمانة هى الفرائض، والإنسان هو آدم، ثم ذكر أحاديث الأمانة أنقل شيئاً منها، روى أحمد والشيخان بسندهم عن حذيفة رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء، قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، قال: فيصبح الناس يتبايعون

لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال أن في بنى فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله، وما في قلبة حبة خردل من إيمان، ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت إن كان مسلما ليردنه على دينه، وإن كان نصرانيا أو يهودياً، ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا.

قال صاحب اللسان: مجلت يده بالكسر ومجلت تمجل وتمجل مجلا ومجلا ومجولا لغتان، فنطت من العمل أى تقرحت من الشغل بها فمرنت وصلبت وثخن جلدها، وتحجر وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، وفي حديث فاطمة أنها شكت إلى على، عليهما السلام، مجل يديها من الطحن، وفي حديث حذيفة فيظل أثرها مثل أثر المجل، وأمجلها العمل، أ هـ.

٢) قال صاحب اللسان: النبرة الورم في الجسد، وقد انتبر، ومنه حديث عمر رضي الله عنه إياكم والتخلل بالقصب، فإن الفم ينتبر منه، أى يتنفط.

٣) ساعيه المكلف بأخذ الجزية منه، قال الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانتك، وصدق حديث ـ وحسن خليقة، وعفة طعمة[1]، وروى د. عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من حلف بالأمانة فليس منا.

وقوله تعالى: ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ** ﴾ أى إنما حمل ابن آدم الأمانة وهى التكاليف ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ** ﴾ منهم ﴿ **وَالْمُنَافِقَاتِ** ﴾ وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، ﴿ **وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ** ﴾ وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفه رسوله، ﴿ **وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ أى ويرحم المؤمنين من الخلق بالله وملائكته وكتبه ورسوله، العاملين بطاعته ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾.

---

(١) أى يتعفف من الحرام والمشتبه به.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة، عرض الله الأمانة وهى التكاليف الشرعية على الأشياء المذكورة بكيفية يعلمها هو سبحانه، فخافت هذه الأشياء أن لا تقوم بعملها خير قيام، مع قوتها وعظم حجمها، وحملها الإنسان الضعيف، والمراد بالإنسان جنسه، كما في قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (١)، وقوله ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾ (٢) وقد فسر الإنسان في التفاسير التى عندى بأنه آدم، وفيه أشكال، لأن آدم لا يتصف بكثرة الظلم والجهل، بخلاف الجنس، فإن أكثرهم متصفون بذلك، قال تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾(٤) وقال تعالى ﴿ **وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾.

فائدة ثانية: ذكر حذيفة في الحديث الذى رواه عن النبى ﷺ حديثين، أحدهما قد رآه والآخر لم يره، ولكنه ينتظره، الحديث الأول، رفع الأمانة من قلوب الرجال، وقد عاش حذيفة إلى أن رأى ذلك، فقبل رفع الأمانة كان يعامل جميع الناس من المسلمين وأهل الذمة، ولا يخشى غدراً ولا خيانة، أما بعد رفع الأمانة فإنه صار لا يعامل إلا من يعرفه ويثق به.

فائدة ثالثة: وصف النبى ﷺ ارتفاع الأمانة من قلوب الرجال، وشبهه بموضع من جسم الإنسان وقعت عليه جمرة فانتفخ، فإذا رآه الإنسان منتفخاً ناتئاً، يظن أنه يشتمل على شيئ، وهو في الحقيقة فارغ. فكذلك الذى يدعى الإسلام إذا سمع الإنسان دعواه يظن أنه ثقة فإذا امتحنه بالمعاملة، وجده فارغاً من الإيمان الذى ثمرته الصدق في المعاملة، أ هـ.

فائدة رابعة: تأملوا قول النبى ﷺ: أربع إذا كن فيه فلا عليك ما فاتك من الدنيا، فقد جمعت هذه الأربع الخلال الخير كله، فمن كانت فيه فهو سعيد في الدنيا والآخرة، ومن

---

(١) سورة التين.

(٢) سورة العصر.

(٣) سورة يوسف.

(٤) سورة يوسف.

نقصه شيء منها نقصت سعادته، ومن لم يكن فيه شيئ منها فهو شقي، نسأل الله أن يرزقنا إياها كلها، أ هـ.

فائدة خامسة: المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات أعد الله لهم عذاباً أليماً، إلا أن المنافق شر من المشرك وأكثر ضرراً للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [١].

سورة سبأ

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآيتان ٢٢، ٢٣.

قال (ك) بين تبارك وتعالى أنه لا إله إلا هو الأحد الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ أي من الآلهة التي عبدت من دونه، ﴿ **لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ** ﴾ كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ** ﴾ أي لا يملكون شيئا استقلالا ولا على سبيل الشركة ﴿ **وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ** ﴾ أي وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه قال قتادة في قوله عز وجل: ﴿ **وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ** ﴾ من عون يعينه بشيء، ثم قال تعالى: ﴿ **وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ**

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة فاطر.

عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترىء أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال عز وجل: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (١).

قال البيضاوي: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظاراً للإذن أى يتربصون فزعين، حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين، والمشفوع لهم بالإذن، وقيل الضمير للملائكة، وقد تقدم ذكرهم ضمنا، ﴿ قَالُوا ﴾ قال: بعضهم لبعض ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ في الشفاعة ﴿ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ قالوا: قال القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وهم المؤمنون وقرئ بالرفع أى مقوله الحق، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ذو العلو والكبرياء، ليس لملك ولا لنبى من الأنبياء أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هاتين الآيتين إرشاد عظيم لمن نور الله قلبه ولم يمنعه إتباع الهوى عن قبول الحق، وحجة دامغة لأهل الباطل، فقد نفى الله فيها أربعة أمور، الأول: أن الآلهة الذين يعبدهم المشركون سواء أكانوا ملائكة أم أنبياء أم صالحين أم تماثيل أم أوثاناً لا يملكون من الخير ما يزن نملة صغيرة، لا في السموات ولا في الأرض استقلالا.

الأمر الثانى: أنهم لا يملكون مثقال ذرة على وجه الشركة مع الله تعالى.

الأمر الثالث: أن الله تعالى ليس له معين من خلقه.

الأمر الرابع: وهو آخر ما يؤمله المؤمل الشفاعة، فإن الله لا يشفع عنده أحد لأحد إلا أذا أذن للشافع ورضى عقيدة المشفوع له، أ هـ.

والشفاعة عند الله تعالى ليست كشفاعة المخلوقين بعضهم عند بعض، فالملك والأمير وإن كبر شأنه لابد أن يكون عنده من يخافه ويستحى منه، كالوالدين والزوجة والأولاد وكبار رجال الدولة، فهؤلاء إذا أرادوا أن يشفعوا عنده لا يحتاجون إلى استئذان لما لهم عنده من المنزلة. فهذه هى الشفاعة التى نفاها الله، وينبغى أن نعيد هنا الحديث الذى في الصحيح، وهو قول النبى ﷺ: ليرفعن أقوام منكم إلى وأنا على الحوض ثم ليختلجن

---

(١) سورة البقرة.

دونى. فأقول: إلى أين؟ فيقال: إلى النار، فأقول: أي ربي أصحابي أصحابي، وفي رواية خارجة عن الصحيح أنهم من أمتى، فيقال أنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، إنهم بدلوا وغيروا فأقول سحقا سحقا أى بعدا بعدا لهم بمعنى أبعدهم الله، أ هـ.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآيات: ٣١- ٣٣

قال (ك) يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم، وعنادهم، وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وبما أخبربه من أمر المعاد ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْه** ﴾ قال الله عز وجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم ﴿ **يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا** ﴾ وهم الأتباع ﴿ **لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا** ﴾ منهم وهم قادتهم وسادتهم ﴿ **لَوْلا أَنتُمْ** ﴾ تصدوننا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا ﴿ **أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم** ﴾ أي نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها

الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا ﴿ **بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ** (٣٢) **وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ أي بل كنتم تمكرون بنا ليلا نهارا، وتغروننا وتمنوننا وتخبروننا أنا على هدى وأنا على شيء فإذا جميع ذلك باطل وكذب ومين، قال قتادة وابن زيد ﴿ **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ يقول: بل مكركم بالليل والنهار، وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم، مكركم بالليل والنهار ﴿ **إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا** ﴾ أي نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شبها وأشياء من المحال تضلوننا بها ﴿ **وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ** ﴾ أي الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه ﴿ **وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم ﴿ **هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ أي إنما يجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم وللأتباع بحسبهم ﴿ **قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ** ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: تقدم في الباب الأول من سورة البقرة معنى الند، وجمعه الأنداد عند قوله تعالى: ﴿ **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ وذكرت هناك أحاديث في هذا المعنى منها قول النبى ﷺ لمن قال له ما شاء الله وشئت «أجعلتنى لله ندا، قل ما شاء الله وحده » وفي الحديث الآخر، لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، بل قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، وهذه إذا كان القائل يعتقد أن المخاطب بذلك له إرادة مع الله، فهو من الشرك الأكبر، وإما إذا قال ذلك غفلة وهو يعتقد أن المشيئة لله وحده ما شاء الله كان وما شاء لم يكن فحينئذ يكون من الشرك الأصغر، فكيف بمن يتخذ أنداداً يهتف بأسمائهم عند القيام والقعود والفزع، ويستغيث بهم في الشدائد، ويخافهم ويرجوهم، ويتوكل عليهم، فالحمد لله على العافية، اللهم أتمم علينا نعمتك، ولا تردنا على أعقابنا أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ الآيات: ٤٠- ٤٥

قال (ك) يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول ﴿ **لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** ﴾ أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان ﴿ **أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ** ﴾ وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** ﴾ وهكذا تقول الملائكة ﴿ ا **سُبْحَانَكَ** ﴾ أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿ **أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم** ﴾ أي نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ﴿ **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ** ﴾ يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم ﴿ **أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ** ﴾ كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ**

﴿ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ [١] قال الله عز وجل ﴿ فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾ أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأصنام التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم، اليوم لايملكون لكم نفعا ولا ضرا ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المشركون ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيجا.

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ قال (ك) يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب، لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسول الله ﷺ ﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ﴾ يعنون دين آبائهم هو الحق وأن ما جاء به الرسول عندهم باطل ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ يعنون القرآن ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد ﷺ وقد كانوا يودون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه، ثم قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي من الأمم ﴿ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ قال ابن عباس وغيره أي من القوة في الدنيا وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده بل دمر الله عليهم كما كذبوا رسله ولهذا قال: ﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي.

فصل

قال محمد تقي الدين: نستفيد من هذه الآيات أن عبادة غير الله تعالى كلها سواء، وإن اختلف المعبودون، فمن عبد الملائكة والأنبياء، كمن عبد الشياطين والأوثان، وأن المشركين في كل زمان ومكان إذا جاءهم الحق من الله تعالى بواسطة رسله أو بواسطة أتباعهم أجابوه

---

(١) سورة النساء.

بقولهم ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ﴾ قال تعالى في سورة «ص» ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ ﴾ وهذا لا يضر دعاة التوحيد أهل الاتباع إن أخلصوا لله وصبروا على ما يلاقون، والعاقبة للمتقين، أ هـ.

سورة فاطر

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ الآيتان: ١٣، ١٤

قال (ك) وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا، فيعتدلان ثم يأخذ من هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء ﴿ **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ** ﴾ أي والنجوم السيارات والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات الجميع يسيرون بمقدار معين وعلى منهاج مقنن محررًا تقديرًا من عزيز عليم ﴿ **كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ أي إلى يوم القيامة ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ** ﴾ أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم الذي لا إله غيره له الملك وحده ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ** ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ **مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد من السلف: القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي لا يملكون من السموات والأرض شيئا، ولا بمقدار هذا القطمير، ثم قال تعالى: ﴿ **إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ** ﴾ يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم ﴿ **وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** ﴾ أي لا يقدرون على شيء مما تطلبونه منهم ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** ﴾

أي يتبرؤون منكم كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)** ﴾ [١] وقال تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)** ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ أي ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة – ذكر الله سبحانه قبل هاتين الآيتين أدلة متعددة على توحيد الربوبية، بدأها بقوله سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾، وختمها بأولى هاتين الآيتين، ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ** ﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى أن جميع المدعوين من الملائكة والأنبياء والصالحين وتماثيلهم وآثارهم، لا يملكون لمن دعاهم شيئاً ولو قطميراً، فإذا كانوا لا يملكون القطمير وهو غلاف رقيق يكون على ظهر نواة التمر أبيض فكيف يملكون نواة ؟ فكيف بالتمرة ؟ وإذا كانوا لا يملكون شيئاً، فدعاؤهم في غاية الجهل والضلال والسفاهة، ولو أمن الداعى من عذاب الله، كيف وهو مع خسارته في سعيه ينتظر عذاب الله، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن أولئك المدعوين لا يسمعون دعاء الداعى أبداً لان الذى يسمع كل نداء هو الله وحده، ولأن أولئك المدعوين غافلون عن دعاء الداعى، فالملائكة غافلون لاشتغالهم بعبادة الله تعالى، والصالحون غافلون عنهم لاشتغالهم بالنعيم، هذا لو كانت لهم القدرة على سماعهم، وقد تقدم أن الذى يسمع كل نداء هو الله وحده، ثم قال تعالى وهبوا أنهم سمعوا دعاءكم، فإنهم لا يستجيبون لكم، ويوم القيامة ينكشف لهم، أنكم كنتم تعبدونهم وتتخذونهم شركاء مع الله، وحينئذ يكفرون بشرككم، فتعظم حسرتكم وندامتكم حين لا ينفعكم الندم،

---

(١) سورة الأحقاف.

(٢) سورة مريم.

والذى نبأكم بهذا هو العليم الخبير، الذى لا تخفى عليه خافية.

وهنا نكتة يجب التنبيه عليها وهى أن كل من دعاه الإنسان لجلب خير أو دفع شر، فقد عبده واتخذه شريكا مع الله، نبه الله على ذلك بقوله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ولم يقل بدعائكم، ليبين لعباده أن دعاء غير الله شرك.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الآية: ٤٠

قال (ك) يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿ **أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ** ﴾ أي ليس لهم شيء من ذلك ما يملكون من قطيمر، وقوله: ﴿ **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ** ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ؟ ليس الأمر كذلك، ﴿ **بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا** ﴾ أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور باطل وزور.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذه الآية الكريمة احتجاج على المشركين في غاية البيان، لو أنهم يعقلون، وذلك أن أولئك المعبودين الذين اتخذوهم شركاء مع الله لم يخلقوا شيئاً، ولا ذباباً أو نملة أو بعوضة، ولا يملكون من السموات والأرض شيئاً بل هم مخلوقون ومملكون لله تعالى، فأى سفاهة، أعظم من اتخاذهم شركاء، وأخبر الله تعالى أن جميع الكتب السماوية التى أنزلها على الأنبياء تدعو إلى توحيد الله، وليس فيها دليل، ولا شبهة للمشركين يستدلون بها على عبادة غير الله، ومن يضلل الله فما له من هاد أ هـ.

سورة يس

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الآيات: ٢٠- ٢٧

ذكر (ك) مما نقل عن أهل الكتاب أن اسمه حبيب النجار، وذكر كثيراً من أخباره، ولم أر في نقل ذلك فائدة، والذى يهمنا من شأنه أنه كان موحداً متبعاً لما جاءت به الرسل، وكان قومه مشركين، اتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله، وعصوا المرسلين، فدعاهم إلى توحيد الله واتباع المرسلين، وأقام لهم البرهان على ذلك، وكان بيته في طرف البلد، فجاءهم ماشيا، فقال: ﴿ **يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** ﴾ يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم ﴿ **اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا** ﴾ أي على إبلاغ الرسالة، ﴿ **وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ **وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي** ﴾ أي وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لاشريك له، ﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿ (٢٢) **أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً** ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ﴿ **إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ** ﴾ أي هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لايملكون من الأمر شيئا، فإن الله تعالى لو أرادني بسوء فلا كاشف له إلا هو وهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذونني مما أنا فيه ﴿ **إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ** ﴾ أي إن اتخذتها آلهة من دون الله، وقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ**

فَاسْمَعُونِ ﴾ قال ابن عباس يقول لقومه ﴿ **إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ الذي كفرتم به ﴿ **فَاسْمَعُونِ** ﴾ أي فاسمعوا قولي، ويروى أنهم قتلوه فأدخله الله الجنة، فاغتبط بذلك، ﴿ **قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** (٢٦) **بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾.

فصل

قال محمد تقى الدين: قال بعض السلف، المؤمن ينصح دائماً لقومه حيا وميتاً، فهذا الرجل تمنى لقومه أن يعرفوا فضل التوحيد واتباع الرسل، وما أعد الله لصاحبه من الكرامة، فيعمل بذلك فينال من السعادة مثل ما نال أ هـ.

قال محمد تقى الدين: كل مسلم مخلص يجب عليه أن يقتدى بهذا الرجل، ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وأثنى عليه بهذا الثناء العظيم، خصوصاً في زمان غربة الإسلام أ هـ.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ الآيتان: ٦٠، ٦١

قال (ك) هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان، وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن، وهو الذي خلقهم ورزقهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل: ﴿ **وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا** ﴾ يقال: جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير، وقوله تعالى ﴿ **أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ** ﴾ أى أن في ذلك هلاككم فتجتنبوه.

فصل

قال محمد تقى الدين: تقدم أن كل من عبد غير الله سواء زعم أنه عبد الملائكة، أم الأنبياء أم الصالحين وآثارهم، فإنما عبد الشيطان الذى أضله عن الصراط المستقيم، وزين

له الشرك، فالصراط المستقيم، وهو توحيد الله، واتباع رسوله ﷺ، أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الآيات: ٧٤- ٧٦

قال (ك) يقول تعالى منكرا على المشركين اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة، وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى قال الله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ** ﴾ أي لاتقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ** ﴾ قال مجاهد: يعني عند الحساب يريد أن هذه الآلهة محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم وقال قتادة ﴿ **لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ** ﴾ يعني الآلهة ﴿ **وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ** ﴾ والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرا، ولا تدفع عنهم شرا، وقوله تعالى: ﴿ **فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ** ﴾ أي تكذيبهم لك وكفرهم بالله ﴿ **إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾ أي نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزيهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثاً.

فصل

قال محمد تقي الدين: المشركون في كل زمان ومكان يستنصرون بآلهتهم، ويظنون أنها تنصرهم وتأتيهم بالعز فما أسخف عقولهم، وما أضلهم فإن كل من عبد غير الله تعالى، يذله الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى ﴿ **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ وقد تقدم الكلام عليها في سورة النحل، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً**

وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ ولما حصر الفرنسيون مدينة فاس في عهد السلطان عبد الحفيظ استنصرالجهال بالإمام إدريس بن عبد الله رح فقال قائلهم، أمولاى يا إدريس يا ابن نبينا، البيتين، وقد تقدم ذكر ذلك في سورة آل عمران في الباب الثالث، فعاقب الله جميع المغاربة لأن أكثرهم مشركون بالخذلان والهزيمة، وانتصر عليهم الفرنسيون، وحكموا بلادهم ثلاثا وأربعين سنة، وهذا جزاء من يستنصر بغير الله.

سورة الصافات

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ۝٥ ﴾ الآيات: ١ – ٥

﴿ **الصَّافَّات** ﴾ هم الملائكة الجماعات الصافات المصطفة صفوفا. وروى مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم، قلنا كيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: ﷺ يتمون الصفوف المتقدمة، ويتراصون في الصفوف.

قال محمد تقى الدين: فسر السلف ﴿ **الصَّافَّات** ﴾ بجموع الملائكة، تصطف عند ربها ﴿ **الزَّاجِرَاتِ** ﴾ بالآيات القرآنية التى تزجر الناس عن معصية الله، و ﴿ **التَّالِيَاتِ ذِكْرًا** ﴾ بالملائكة تتلو كلام الله على الأنبياء والأنبياء يتلونه على أممهم، أقسم الله سبحانه بهذه الأقسام على أنه إله واحد، وأن كل إله اتخذ من دونه، فعبادته ضلال يفضى إلى الهلاك.

قال (ك) وقوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ أي من المخلوقات ﴿ **وَرَبُّ الْمَشَارِقِ** ﴾ أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات، تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليهما، وقد صرح بذلك في قوله عز وجل: ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ**

﴿ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ [١] وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [٢] يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر

فصل

قال محمد تقي الدين: يا عجبا للمشركين يقسم الله بأنه إله واحد، ثم هم يتخذون معه آلهة أخرى، يدعونها لرغبتهم ورهبتهم، ويخافونها ويرجونها ويتوكلون عليها، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم أنك حميد مجيد، أ هـ.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الآيات: ٢٢ - ٣٠

قوله تعالى: ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ** ﴾ قال النعمان بن بشير ﷺ يعني، بأزواجهم، أشباههم وأمثالهم ﴿ **وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ أى من الأنداد والأصنام ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ أي أرشدوهم إلى طريق جهنم، ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾ أي قفوهم حتى يسألوا عن أعمالهم، وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ** ﴾ أي كما زعمتم

---

(١) سورة المعارج

(٢) سورة الرحمن

أنكم جميع منتصر، ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ أي منقادون لأمر الله تعالى، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

قال (ك) يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دركات النار، ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ قال ابن زيد معناه، تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير، الذى أمرنا به، ﴿ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ تقول القادة من الجن والإنس للأتباع، ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان قابلة للكفر والعصيان، ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ أى حجة على صحة ما دعوناكم إليه، ﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴾ أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنا، وتركتم الحق الذى جاءتكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤوكم به، فخالفتموهم ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ يقول الكبراء للمستضعفين، حقت علينا كلمة الله، أنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة، ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ ﴾ أى دعوناكم إلى الضلالة ﴿ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ أى فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أى الجميع في النار كل بحسبه ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ أى في الدنيا ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أى يستكبرون أن يقولوا كما يقولها المؤمنون، ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ أى أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون، يعنون رسول الله ﷺ قال الله تعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ ﴾ يعنى: رسول الله ﷺ، جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب ﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أى: صدقهم فيما اخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة، وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره، كما أخبروا، ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ الآية.

فصل

قال محمد تقى الدين: من أعظم المصائب التى حلت بمشركى هذا الزمان، ويأسف لها

كل مشفق عليهم أنهم لا يعرفون معنى لا إله إلا الله، وقد أضلهم رؤساء جهال ينسبون إلى العلم زورا وبهتانا، ففسروا لهم لا إله إلا الله تفسيراً ضلالاً، قال بعضهم معنى لا إله إلا الله لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله، فظن هذا الجاهل أن لا إله إلا الله يقصد بها توحيد الربوبية وهو إثبات الغنى لله تعالى، وإثبات الفقر لكل من سواه فقط، ولو فكر في معنى أله يأله ألهة، لأى: عبد يعبد عبادة، لعلم أن كلمة «إله » فعال بمعنى مفعول أى: معبود، فقائل لا إله إلا الله، العالم بمعناها، يشهد على نفسه أنه لا يعبد إلا الله، وأنه بريء مما يعبد من دونه، كما قال إبراهيم الخليل لأبيه وقومه ﴿ **إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ وقال تعالى في سورة الممتحنة ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ وقال تعالى في سورة مريم حكاية عن إبراهيم، ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا** ﴾ وقال تعالى في سورة هود حكاية عنه قال ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ** ﴾ وتقدمت قصة أبى طالب لما قال له النبى ﷺ يا عم قل لا إله إلا الله، فهم – أبو طالب وأبو جهل وعبد الله بن أبى أمية أن معنى لا إله إلا الله، أن يترك ملة عبد المطلب وهى الشرك، فهؤلاء الكفار الثلاثة فهموا معنى لا إله إلا الله، وكثير ممن ينسب إلى الإمامة في العلم والدين يجهل معناها، وقال في هذه الآية حكاية عن الكفار، ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** ﴾ فهموا أنهم أن قبلوا لا إله إلا الله تحتم عليهم ترك عبادة آلهتهم، ووجب عليهم الكفر بها، والمشركون في هذا الزمان يقولون لا إله إلا الله في كل حين، وهم يعبدون آلهتهم، ويتسغيثون بها، فلا نسمع إلا يا شيخنا يا سيدى فلان، فسبحان من طبع على قلوبهم وأعمى بصائرهم، أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الآيات ٨٣-٩٨

قال محمد تقى الدين: أريد أن أفسر هذه الآيات بلفظي لأن التفاسير التي بيدي لم تتفق مع رغبتي.

قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ** ﴾ أى: من أهل دين نوح السائرين على منهاجه في عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ **لَإِبْرَاهِيمَ** ﴾ هو الخليل الذى ﴿ **جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ من الشرك معاد لأهله متبرئ منهم، حين قال ﴿ **قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ** ﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام وما وراءها من الأنداد، أتقصدون بعبادتكم آلهة اتخذتموها من دون الله كذبا وزوراً فإن الله لا يرضى أن يعبد معه غيره، ﴿ **فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ ماذا تظنون أن يفعل بكم من العذاب لأنكم ما قدرتموه حق قدره حين أشركتم به، فنظر نظرة في النجوم أى: نظر إلى السماء مفكراً في حيلة يحتال بها على عدم الخروج معهم إلى العيد ليخلو بأصنامهم ويكسرها في غيبتهم، فرأى أن يقول لهم ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ أى: مريض، ليفهموا أنه لا يستطيع الخروج معهم ﴿ **فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ** ﴾ أى: تركوه وانطلقوا إلى عيدهم، ﴿ **فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ** ﴾ أى: مال إلى الأصنام يضربها ضربا بيده اليمنى، حتى كسرها كلها إلا الصنم الكبير وقد تقدم في سورة الأنبياء أنهم لما رجعوا ووجدوا أصنامهم مكسرة،

سألوا من كسرها، فأخبرهم إبراهيم أن كبير الأصنام هو الذى كسر رفقاءه، وقال لهم: ﴿ **اسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾ فقالوا له ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ** ﴾ إلى آخر ما تقدم، وفي هذه السورة، أخبرنا الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام قال للأصنام لما رأى الطعام موضوعاً عندها وضعه عبادها لتجعل لهم فيه البركة ثم يأكلوه بعد ذلك: ﴿ **أَلا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ** ﴾ قال ذلك استهزاء بهم، وبمن يعبدونهم، فإن من أعظم الجهل أن يعبد الإنسان جماداً لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، وبعد ما كسرهم أقبل عبادهم يزفون، يهرعون، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: منكراً ومشنعاً، ﴿ **أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** ﴾ الأصنام المنحوتة، فكيف تتخذونها آلهة، أين ذهبت عقولكم ؟

قال (ك) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فـ ﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ** ﴾ وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته، ونصرها، ولهذا قال تعالى ﴿ **فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ** ﴾.

فصل

قال محمد تقى الدين: تقدم في الباب الثالث من سورة الأنبياء حديث أن إبراهيم، لم يكذب إلا ثلاثا، فراجعه هناك، والمشركون في كل زمان ومكان متشابهون، فإن مشركى هذا الزمان يبنون بأيديهم قبابا ينسبونها إلى الصالحين، ويعبدونها بالذبح والنذر والتمسح، فيجئ السيل العظيم، فيجرف القبة ولا تستطيع هى ولا من نسبت إليه أن يحولا بين السيل وبينها، فيعبد المشركون بناءها ويعبدونها، وإذا قيل للمشركين كيف تعبدون شيئاً بنيتموه بأيديكم، فيزعمون أن روح ذلك الصالح ملازمة لتلك القبة، وهى التى تقضى حاجات عابديها، فيقال لهم إن كان الأمر كما زعمتم، فلماذا لم تدفع السيل عن قبتها فلا يجدون جواباً، ومع ذلك يستمرون في شركهم، ولو أن شخصا من الموحدين جاء يهدمها، لتصدوا لقتاله، ولو كانوا صادقين في زعمهم أن معها قوة تقضى الحاجات، وتفرج الكربات، لتركوا بينها وبين هادمها تنتقم منه، ولكنهم لا يعلقون، أ هـ.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

الآيات ١٢٣ - ١٢٨

قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ إِلْيَاسَ** ﴾ هو أحد الرسل من بنى إسرائيل ﴿ **لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ إلى قومه ﴿ **إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ** ﴾ الله وتخافون عقابه، كيف ﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلاً** ﴾ وهو صنم مشهور عندهم، وتتركون عبادة الله الذى هو خالقكم وخالق آبائكم الأولين ﴿ **فَكَذَّبُوهُ** ﴾ فيما دعاهم إليه من التوحيد ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ** ﴾ للعذاب ﴿ **إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ فإنهم لم يكذبوه بل آمنوا به، ووحدوا الله تعالى، وقوله تعالى ﴿ **وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ** ﴾ أى تشركون به فإنهم لم يتركوا عبادة الله، ولكنهم لما عبدوا معه غيره حبط عملهم وبطلت عبادتهم لله، فوصفوا بأنهم تركوا عبادة الله، كما قال تعالى في المشركين من العرب ﴿ **وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ فكل من صرف لغير الله مثقال ذرة من عبادته، فهو تارك لعبادة الله تعالى، وفي الحديث القدسى يقول الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه، أ هـ.

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الآيات: ١٥٨-١٦٣

قال (ك) : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى، فقال أبو بكر ﷺ فمن أمهاتهن؟ قالوا بنات سروات الجن، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

عَلِمَتِ الْجِنَّةُ ﴾ أي الذين نسبوا إليهم ذلك ﴿ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب، لكذبهم في ذلك وافترائهم، وقولهم الباطل بلا علم، وقوله جلت عظمته: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه الظالمون الملحدون علوا كبيرا وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء منقطع، وهو من مثبت، وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ يقول تعالى مخاطبا للمشركين، ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ أي إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة، والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار.

فصل

قال محمد تقي الدين: قول الحافظ (ك) استثناء منقطع من مثبت قد يشكل فهمه على بعض الناس من المعلوم أن الإستثناء يكون من مثبت ومنفى، مثال المثبت حضر الطلبة إلا سعيداً، فالاستثناء متصل، والمستثنى من مثبت، فإذا قلنا حضر الطلبة إلا جملا، فالمستثنى منه مثبت والاستثناء منقطع، لأن الجمل غير داخل في اللطبة، ومثال الاستثناء من منفى ما جاء أحد إلا عبد الله، وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ.... ﴾ إلى آخره، منطبق على سدنة القبور والقباب وعلى الدعاة إلى أخذ الطرائق التى انتشرت في هذه الأزمنة لأنهم يزينون للناس الدخول في طرائقهم، فيضمنون لهم الجنة افتراء على الله، ويضمنون لهم الحماية من شرور الدنيا والآخرة، والدخول في طرائقهم أعظم الشرور التى تصيب الناس في دنياهم وأخراهم، ولكن لا يفتن بوساوسهم إلا من ذرئوا لجهنم، ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ الأعراف.

سورة ص

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ ﴾

الآيات: ١ - ٨

قال (ك) ، أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى: ﴿ **وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ** ﴾ أي: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد, ونفع لهم في المعاش والمعاد، قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ **ذِي الذِّكْرِ** ﴾ كقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ** ﴾ [١] أي: تذكيركم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** ﴾ أى: أن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر، وإنما

لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ **فِي عِزَّةٍ** ﴾ أى استكبار عنه وحمية ﴿ **وَشِقَاقٍ** ﴾ أي: ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى: ﴿ **كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ** ﴾ أي من أمة مكذبة ﴿ **فَنَادَوْا** ﴾ أي: حين جاءهم العذاب، استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك

(١) سورة الأنبياء.

بمجد عنهم شيئا.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾

قال (ك) يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ، بشيراً ونذيراً، كما قال عز وجل ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقال جل وعلا ههنا ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أى: بشر مثلهم ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أى: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو، أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى، وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم، فلما دعاهم الرسول ﷺ، إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ ﴾ وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين، ﴿ امْشُوا ﴾ أى: استمروا على دينكم واصبروا على آلهتكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ قال ابن جرير أن هذا الذى يدعونا إليه محمد ﷺ، من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه إليه.

ذكر سبب نزول هذه الآيات

قال السدي أن ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبى طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذى يعبده فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيئ فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب، فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم، فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فلكيف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه، قال: فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال يا ابن اخى هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتنا ويدعوك وإلهك قال ﷺ، « يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم » قال وإلى م تدعوهم، قال ﷺ:

أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم، فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هى وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال ﷺ: تقولون لا إله إلا الله، فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال ﷺ لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها في يدى ما سألتكم غيرها فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذى أمرك بهذا ﴿ **وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** ﴾ أ هـ.

وقولهم ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، أى ما سمعنا بهذا الذى يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة أى في دين قريش، ﴿ **إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ** ﴾ أى: كذب وقولهم، ﴿ **أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا** ﴾ يعنى أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قالوا في الآية الأخرى ﴿ **لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾، قال الله تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾، ولهذا لما قالوا هذا الذى دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى ﴿ **بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ** ﴾ أى: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أ هـ.

فصل

قال **محمد تقى الدين** والقرآن ذى الذكر، أقسم الله تعالى بالقرآن وهو كلامه ووصفه بقوله سبحانه ﴿ **ذِي الذِّكْرِ** ﴾ أى التذكير لأنه يذكر كل غافل، ويعلم كل جاهل، ويهدى كل ضال إلا من أبى واستكبر وكان من الكافرين وأعرض عن القرآن واستبدل به الشرائع الأرضية فإنه يخسر دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ فيجتمع له شقاء الدنيا وشقاء الآخرة.

فائدة ثانية: قولهم: ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا** ﴾ هو قول المشركين في كل زمان ومكان، ومنهم المشركون في هذا الزمان فإنهم إذا قيل لهم، لا تستغيثوا إلا بالله، ولا تدعوا لجلب الخير ودفع الشر إلا الله، غضبوا وقالوا أن لله أولياء، لا يحصل لأحد خير إلا بواسطتهم،

وهذا افتراء على الله، فالمؤمنون الصادقون ليس لهم إلا الولى الحميد، الذى يحي ويميت، وهو حى لا يموت، الذى يطعم ولا يطعم، ويعين ولا يعان، ويجير ولا يجار عليه.

فائدة ثالثة: قولهم إنا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون إليه شيء، إلى آخره يقصدون بذلك، أنهم يخافون أن يموت أبو طالب فيفضى بهم بغضهم للإسلام إلى أن يقتلوا النبى ﷺ، أو يحبسوه، أو ينفوه، فتعيرهم قبائل العرب بانهم تركوا شيخهم ورئيسهم أبا طالب إلى أن مات واعتدوا على ابن أخيه، ولم يحفظوا حرمته، وقد فعلوا ما كانوا يتخوفون منه حين عزموا على قتل النبى ﷺ، قبيل الهجرة، وبذلوا كل جهد في ذلك، فأنقذه الله منهم.

فائدة رابعة: قولهم فمره أن يكف عن شتم آلهتنا، ما هو شتم النبى ﷺ لآلهتم؟ هو قوله: اتركوا هذه الآلهة، فإنها لا تنفع ولا تضر، وابعدوا الله وحده الذى بيده الخير، فعدوا هذا شتما، وهكذا المشركون في هذا الزمان، إذا قلت لهم أن أولياءكم الذين اتخذتموهم من دون الله، لا ينفعون ولا يضرون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً، ولا بعثاً، فكيف يقدرون أن ينفعوكم، غضبوا وثاروا، وقالوا هذا يسب أولياءنا، ويتنقصهم وينكر كرامتهم، وتصرفهم في الكون، ويحاربون ذلك الداعى إلى الله بكل ما يقدرون عليه. وقبل أيام قليلة كان أحد الإخوان الموحدين، واقفا أمام دكان فقال صاحب الدكان: يا مولاى ادريس، فقال له الموحد قل يا الله، فإن المخلوق لا ينفع ولا يضر، فاستمع صاحب الدكان لوقل الحق واعترف به. وكان هناك سادن يعيش على النذور التى تقدم للأوثان، فغضب على الموحد غضباً شديداً، وقال كيف تسب مولاى إدريس، فقال أنا ما سببته، ولكن أنكرت الاستغاثة به، وأخذ يصيح لتجتمع الناس، ظانا أنهم إذا اجتمعوا سينصرونه، فاجتمعوا ولكنهم لم ينصروه بل نصروا الموحد على السادن ومدينة مكناس هذه كانت قبل خمس عشرة سنة، هى مركز الشرك والبدع، ولكن الله الكريم بارك في دعوتى التى بدأتها وحدى، فاستجاب إليها كثير من الناس، فأينما ذهبت في أنحاء المدينة تجد أنصار التوحيد، إخوان من وحد الله، ولا تزال دعوة التوحيد تنتشر وتنتصر يوما بعد يوم، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، فلك الحمد

ولك الشكر، أ هـ.

فائدة خامسة: قول النبى ﷺ لمشيخة قريش، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم، ؟ أدعوهم إلى كلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم، قال: وهى: أن تقولوا لا إله إلا الله، ولم يقصد النبى ﷺ مجرد التلفظ بها، انظر الباب الثانى من سورة الصافات، بل أراد منهم، أن يقولوها بألسنتهم، ويعتقدوا معناها بقلوبهم، ويعملوا بها بكل جوارحهم، وهذه الكلمة المباركة «لا إله إلا الله تحقق بها ما قاله رسول الله ﷺ، فدانت العرب لقريش، وملكوا بها العجم وسرها لا يزال فيها كما كان، فكل من أخذها بصدق في كل زمان ومكان ملك العالم، وهؤلاء العرب الذين يتخبطون في محنتهم الحاضرة، ويبحثون عن حل لمشكلتهم وغسل العار عنهم، دواؤهم حاضر في غاية السهولة، وهو: في أيديهم، ولا يحتاجون أن يسافروا إلى «موسكو » ولا «بكينك » ولا «واشنكتن » ولا «باريس » ولا «لندن » وإنما يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويعتقدون معناهما، ويعملون بمقتضاهما، فيمكلون العالم مرة أخرى، وبدون هذا الحل الذى هو بلسم الشفاء الوحيد، سيبقون يئنون من مرضهم العضال إلى الأبد. وما أحسن ما قال الشاعر، وهو منطبق عليهم أتم انطباق:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه سبيل
كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

سورة الزمر

الباب الأول

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

الآيات من ١ – ٣

قال (ك) يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو: القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [1] وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [2]وقال جل وعلا ههنا: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ أي المنيع الجناب، الحكيم أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له، ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين، أنهم يقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم ؛ أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور، تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له، كافرين به، قال زيد بن أسلم وغيره: ﴿ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أي: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك» وهذه الشبهة، هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها، والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا لشيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه، ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا

---

(١) سورة الشعراء.

(٢) سورة فصلت.

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَـا فَاعْبُـدُونِ ﴾ وأخبر أن الملائكة الذين في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ ﴾ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَـاذِبٌ كَفَّـارٌ ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى، وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه.

فصل:

قال محمد تقى الدين: فائدة: لم يكن عند المشركين من العرب شك في أن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت، المعطى المانع الخافض الرافع المتصرف في السموات والأرض، وهذا توحيد الربوبية، وإنما كانوا يشركون بالله في توحيد الألوهية، باتخاذهم وسائط شفعاء تقربهم إلى الله، وتقضى حاجاتهم عند الله، فأخبرهم الله تعالى أن ذلك العمل الذى يعملونه لأولئك الشفعاء، من ذبح ونذر ودعاء واستغاثة وخوف ورجاء، وهو كذب وكفر شديد، يستوجب ضلالهم وخسرانهم، فقال، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ وإنما ينال ما عند الله من خيرى الدنيا والآخرة بعبادته وحده لا شريك له، والكفر بكل معبود سواه، والتبرئ من عبادته، والتوفيق بيد الله، أ هـ.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الآية ٦

قال (ك) يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء، وبأنه مالك الملك المتصرف فيه، يقلب ليله ونهاره، ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾ أي: سخرهما يجريان متعاقبين لا يفترقان كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، وقوله عز وجل: ﴿ **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى** ﴾ أي: إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة ﴿ **أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ** ﴾ أي: مع عزته وعظمته وكبريائه وهو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه، وقوله جلت عظمته: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ أي: خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ وهي حواء عليها السلام وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾ أي: وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين، وقوله عز وجل: ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** ﴾ أي: قدركم في بطون أمهاتكم ﴿ **خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ** ﴾ يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ **فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ** ﴾ يعني في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن كذا قال ابن عباس وغيره، وقوله جلوعلا: ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ** ﴾ أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ﴿ **لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ﴿ **فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ أي: فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: جمعت هذه الآية بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة وقوله تعالى ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ قد يقول متفلسف معتوه كيف يكون أجناس بنى آدم مع

اختلاف ألوانهم وملامحهم، وصور خلقهم المتباينة فكلهم من رجل واحد، وإمرأة واحدة، هذا أمر يستبعده العقل، فنقول له على رسلك، إنك لم تؤت من العلم إلا قليلا، أو لم تؤت شيئاً، فإنت مثل الفرخ الذى فقست عنه البيضة، ففتح عينيه فلم ير إلا العش الذى هو فيه، وهو مصنوع من ليف، فاعتقد أنه لا يوجد في الدنيا إلا هو وأمه والعش، ثم فتح عينيه أكثر فرأى أوراق الشجرة التى فيها العش، فاطلع على شيء آخر لم يكن يعرفه، وهو أوراق الشجرة، ولما صار له جناحان، وطار في السماء، ورأى الشمس والقمر والنجوم والبحر والبر والحيوان والإنسان والجبال، وغير ذلك تبين له أنه كان على جهل عظيم، عندما فتح عينيه لأول مرة، وليعلم أن الله سبحانه وتعالى أظهر في هذا الزمان آية عظيمة تدل على وحدة الإنسان، وأن أجناسه ترجع إلى أصل واحد، وذلك أن العلماء وجدوا أن دماء البشر تنقسم إلى فصائل، فإذا احتاج انكليز مثلاً بستب نزيف دموى وكان معه جماعة من أبناء جنسه وجماعة من الزنوج السود، وجماعة من الصينين الصفر، وجماعة من سكان أمريكا الأصليين الحمر، وجماعة من أهل الهند السمر، فإن الدم الذى يناسب فصيلة دمه، ويمكن تعويض جسمه لما خسره منه، قد يكون في جسم زنجى أو صينى أو غيرهما، ولا يوجد في أبناء جنسه الانكليز، فهذه الفضائل الدموية لا تعرف لونا ولا جنسا، وهى متفرقة في جميع بنى آدم، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقـل لمـن يـدعى بـالعلم معرفـة   علمـت شـيئا وغابـت عنـك أشـياء

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ الآية ٨

قال (ك) **﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾** أي: عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له،: **﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾** أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله: **﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ**

دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ أي: في حالة العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا ﴿ **قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾ أي: قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ** ﴾

فصل

فائدة: قال محمد تقى الدين: تقدم في مواضع أن شرك المشركين في هذا الزمان أغلظ بكثير من شرك المشركين في زمان النبى ﷺ مع أن أولئك لم يكن عندهم كتاب منزل محفوظ، ولا سنة نبى مدونة، وإنما كان عندهم بقية قليلة من دين إبراهيم وإسماعيل، وهؤلاء عندهم كتاب الله مصون في المصاحف محفوظ في الصدور، مبين بالتفاسير، وعندهم سنة النبى سيد المرسلين مدونة مبينة، ومع ذلك بلغوا إلى هذا الدرك الأسفل من الشرك، ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم، واستعاضوا عنها أساطير المتأخرين، فنحمد الله على العافية.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ

---

(١) سورة يونس

﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ الآيات: ١١ – ١٨

قال (ك) وقوله: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قال السدي يعني من أمته ﷺ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾

قال (ك) يقول تعالى قل يا محمد، وأنت رسول الله ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وهو يوم القيامة، وهذا شرط، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى، ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ وهذا أيضا تهديد وتبرؤ منهم، ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي: إنما الخاسرون كل الخسران ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا، وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة، وقد ذهبوا إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، ﴿ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ أي: هذا هو الخسران المبين، الظاهر الواضح، ثم وصف حالهم في النار فقال: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾، وقوله جل جلاله: ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ أي: إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده ليزجروا عن المحارم والمآثم، وقوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ أي: اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي،

قال (ك) ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أي: يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [1] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾

---

(١) سورة الأعراف

أي: المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ أي: ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة.

فصل

فائدة: قال محمد تقى الدين: المحدون لله تعالى المتبعون لرسل الله في كل زمان ومكان لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهم الذين هداهم الله، وهم أصحاب العقول الصحيحة، ومن خالف طريقهم، فلا بشرى له ولا هدى ولا عقل، نسأل الله أن يجعلنا من الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا إلى الله، أ هـ.

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الآيات: ٢٤- ٢٩

قال صاحب جامع البيان: ﴿ **أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ** ﴾، شدته يوم القيامة، ظرف ليتقي، وخبره محذوف، أي: كمن يأتي آمنا يوم القيامة، والإنسان إذا لقى مخوفا استقبله بيده، يقى بها وجهه، الذى هو أعز أعضائه، والكافر المغلول لا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه، **قال (ك)** : ويقرع فيقال له، ولأمثاله من الظالمين، ﴿ **ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾، وقوله جلت عظمته ﴿ **كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ** ﴾

يعنى القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من العذاب والنكال، وتشفى المؤمنين منهم، فليحذر المخاطبون من ذلك، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ، والذى أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ؛ ولهذا قال عز وجل: ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخرة أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ** ﴾ إلى قوله ﴿ **لا يَعْلَمُونَ** ﴾.

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾، فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان ﴿ **قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله تعالى وأنزله بذلك ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد ويعلمون بما فيه من الوعد ثم قال: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ** ﴾ أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ﴿ **وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ** ﴾ أي: سالما لرجل أي: خالصا لا يملكه أحد غيره، ﴿ **هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً** ﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا، قال ابن عباس وغيره: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ أي: فلماذا يشركون بالله.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: قوله تعالى ﴿ **أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ معناه يلقى سوء العذاب بوجهه لا يستطيع أن يتقيه بيديه، لأن يديه مغلولتان إلى عنقه، وهو في هذه الحال، يوبخ فيقال له ولأمثاله من المشركين، ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الشرك بالله، والاعتداء على خلق الله، كيف يستوى من هذه حاله مع من يجيء آمنا قد بشر برضوان الله تعالى وكرامته. وقوله تعالى ﴿ **فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ إلى آخره، كل أمة قامت عليها حجة الله بإرسال رسول ونزول كتاب فنبذت كتاب الله وراء ظهورها،

وعصت رسوله، يذيقها الله الخزي في الحياة الدنيا، وما أعد الله لها من العذاب في الآخرة أعظم مما يصيبها في الدنيا.

فائدة ثانية: ما أبلغ هذا المثل الذى ضربه الله للمشركين والموحدين، فالمشركون في هذا الزمان يعبدون كل من يسمى وليا في إصطلاحهم، وعلامته أن تبنى عليه قبة ويقصده المشركون لقضاء حاجاتهم، ويتزلفون له بالذبح والنذر والتمسح بتابوت قبره، والخضوع له والاستغاثة به، والشكوى إليه، وهؤلاء الأولياء مبثوثون في كل مكان، والمشرك يخافهم ويرجوهم، ويكون قلبه موزعا بينهم يحاول أن يرضيهم جميعاً ويخاف غضبهم، وذلك عذاب معجل، أما الموحد فإنه لا يعبأ بوجودهم، فهو آمن مطمئن أنهم لا ينفعون ولا يضرون، ولا يملكون مثقال ذرة، فيكون خوفه ورجاؤه كله لله، قائلاً ﴿ **لَن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾.

الباب السادس

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الآيات: ٣٦- ٣٨

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ وقرأ بعضهم عباده، يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه، وقال الترمذي بسنده، وصححه عن فضالة ابن عبيد الأنصاري ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافا وقنع به ويخوفونك بالذين من دونه، يعني المشركين يخوفون الرسول ﷺ ويتوعدونه التي يدعونها

من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ أي: منيع الجناب لا يضام من استند إلى جنابه، ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به، وأشرك وعاند رسوله ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ يعني المشركين , كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها , ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: لا تستطيع شيئا من الأمر،، وقال صاحب جامع البيان، وهذا بيان أنها لا تنفع ولا تضر، فلا خوف منها: ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ قال (ك) أي: الله كافي عليه توكلت، وعليه فليتوكل المتوكلون، كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: « من أحب أن يكون أقوى فليتوكل على الله تعالى ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ومن أحب أن يكون أكرم على الله فليتق الله عز وجل » .

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: كل من آمن بأن الله كاف عباده وأنه لا شريك له ولا معين له، لابد أن يكتفى به، ولا يسأل غيره شيئاً مما لا يقدر عليه إلا الله، كإنزال المطر، وهداية القلوب، وإعطاء المرأة العقيم أولاداً، وتوسيع الرزق، وشفاء المرض، إلى غير ذلك، ومن عادة المشركين في كل زمان ومكان، إذا رأوا موحداً لا يؤمن بآلهتهم التي يسمونها أولياء، أن يخوفوه من انتقام تلك الآلهة فإذا رأوا آلهتهم عجزت أن تصيبه بضر عمدوا إلى إعانتها

---

(١) سورة هود.

فأذوه، ولكن الله ينصره عليهم، والعاقبة للمتقين، أ هـ.

الباب السابع

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الآيات: ٤٣ - ٤٦

قال (ك) يقول تعالى: ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم: الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك، وهي لا تملك شيئا من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير، قال: قل أي: يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها إليه، ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه** ﴾ ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ أي: هو المتصرف في جميع ذلك ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ أي: يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجزي كلا بعمله، ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ** ﴾ أي: إذا قيل لا إله إلا الله ﴿ **اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة** ﴾ قال مجاهد: اشمأزت انقبضت، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِه** ﴾ أي: من الأنداد والأصنام، قاله مجاهد. ﴿ **إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ أي: يفرحون ويسرون، ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في حبهم الشرك، ونفرتهم

عن التوحيد ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي: ادع أنت الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض، وفطرها أي: جعلها على غير مثال سبق ﴿ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي: السر والعلانية ﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم، قال مسلم في صحيحه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة ﷺ بأي: شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت ﷺ كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وقال الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: « من قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك، لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشرك وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، إلا قال عز وجل لملائكته يوم القيامة: إن عبدي قد عهد إلي عهدا، فأوفوه إياه فيدخله الله الجنة » ، وقال الإمام أحمد بسنده أن عبد الله بن عمرو أخرج قرطاسا وقال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا نقول: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء وإله كل شيء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك والملائكة يشهدون أعوذ بك من الشيطان وشركه وأعوذ بك من أن أقترف على نفسي إثما أو أجره إلى مسلم » قال أبو عبد الرحمن ﷺ كان رسول الله ﷺ يعلمه عبد الله بن عمرو ﷺ أن يقول ذلك حين يريد أن ينام.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: قول الحافظ «ك » في الأصنام ؛ بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هى جمادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير.

إذا سئل عباد الأصنام والأوثان لماذا تعبدون الأصنام وهي تماثيل صنعتموها بأيديكم؟. إذا سئل عباد الأوثان لماذا تعبدون هذه القبور وهذه التوابيت والقباب وقد بنيتموها بأيديكم فأنتم صناعها فكيف يعبد الصانع صنعته ؟ يقولون كلهم نحن نعلم أنها جماد لا تضر ولا تنفع بذاتها، ولكنا من نسبت إليهم وسميت بأسمائهم ينفعون ويضرون، هكذا يقول المتأخرون من المشركين، فيعترفون على أنفسهم بالشرك في الربوبية والعبادة معا، أما المشركون الأولون فإنهم يقولون نحن نعترف بأن الأصنام والأوثان لا تضر ولا تنفع، ومن نسبت إليهم لا يضرون ولا ينفعون، سواء أكانوا من الملائكة أم الأنبياء، أم من الصالحين، أم من الشياطين، ولكن إذا عبدناها تكون تكريما وتشريفاً لمن نسبت إليهم، وسميت بأسمائهم، وهم يشفعون لنا عند الله، وقد نفى الله تعالى هذه الشفاعة وأخبر أنه هو وحده يملك الشفاعة ويهبها من شاء من عباده، ولكنه لا يهبها من عبد غير الله، أو رضى بعبادته غير الله.

فائدة ثانية: قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ** ﴾ إلى آخره، ينطبق كل الانطباق على المشركين في هذا الزمان، لأنك إذا قلت لأحدهم لا تستمد من شيخك، فإن الممد هو الله وحده، بالأرزاق الحسية والمعنوية، ولا تستغث بشيخك ولا غيره، بل ادع الله مخلصا له الدين، تشمئز نفسه، وأكثرهم يغضب غضباً شديداً، فيؤذي من قال له ذلك بالقول، وربما آذاه بالفعل.

فائدة ثالثة: قوله تعالى ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ إلى آخره فسره النبى ﷺ أحسن تفسير، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى حفظ تلك الأدعية المحمدية والابتهال إلى الله تعالى بها.

الباب الثامن

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الآيات: ٦٢- ٦٦

قال (ك) يخبر تعالى، أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته، وقوله عز وجل: ﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ قال بعضهم هي: المفاتيح وقال بعضهم خزائن السموات والأرض، وعلى كلا القولين: أن أزمة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ** ﴾ أي: حججه وبراهينه ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴾ ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهه فنزلت ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ** ﴾ أي: أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك. أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: هذه الآيات جمعت بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، فقوله تعالى ﴿ **الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ إلى ﴿ **الْخَاسِرُونَ** ﴾، دلت على توحيد الربوبية، وقوله تعالى ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي** ﴾ إلى آخره، دلت على توحيد العبادة، وقد وجه الخطاب للنبي ﷺ مع أنه معصوم من كل ذنب تعظيما للأمر وتحذيرًا للأمة من الشرك بالله الذى هو الذنب الأكبر، وقوله تعالى ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ** ﴾ فيه تقديم المعمول الذى يفيد الحصر، فهو كقوله تعالى ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات أ هـ.

سورة غافر

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الآيات: ١٠- ١٤

قال محمد تقى الدين: لم أجد تفسيراً يطابق ما أريده من السهولة على القراء والمستمعين، فسأفسر هذه الآيات الخمس بنفسى، يقول تعالى مخبراً عن أحوال الكفار، إن الذين كفروا ينادون يوم القيامة، ويقال لهم أن بغض الله لكم حين دعيتم إلى الإيمان بالله وحده واتباع رسله أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن وأنتم تذوقون العذاب، فيقولون ﴿ **رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ** ﴾ أى إماتتين ﴿ **وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** ﴾ إحيائتين، فالإماتة الأولى حين كانوا نطفا قبل أن ينفخ فيهم الروح، والإماتة الثانية عند انقضاء آجالهم، والإحياءة الأولى عندما ينفخ الملك الروح في أجسادهم، وهم أجنة في بطون أمهاتهم، والإحياءة الثانية عند البعث من القبور، وقد كانوا ينكرون الإحياءة الثانية، فاعترفوا بها بعدما دخلوا جهنم، وقالوا قد اعترفنا اليوم بما أنكرناه من قبل، فهل إلى الخروج من النار سبيل، فيكون الجواب ذلكم العذاب الذى أنتم فيه بسبب أنكم كنتم في الدنيا إذا دعى الله وحده منفرداً بالربوبية والعبادة ونفى عنه الشريك كفرتم، وأن يشرك به غيره تؤمنوا، ﴿ **فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ** ﴾ وقد حكم عليكم بالخلود في النار.

قال (ك) وقوله جل جلاله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أي: يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة، الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها، ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ وهو المطر الذي يخرج به من الزرع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه، وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ أي: يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها ﴿ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾ أي: من هو يصير منيبًا إلى الله تبارك وتعالى، وقوله عز وجل: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ أي: فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم، وروى مسلم وغيره عن عبد الله بن الزبير قال: «كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»، وقال ابن أبي حاتم: بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » .

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: ما أحسن ما قال الإمام (ك) في تفسير قوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ فإن المطر الذى ينزل من السماء سبب والأرض الطيبة شرط والزرع وتنظيف الأرض مما يضر المزروعات شرط أيضاً، وزوال الموانع التى تمنع بلوغ الثمرة إلى الينع والزرع إلى إدراك الحب شرط آخر، ومع ذلك لا يتم شيئ من ذلك إلا بإذن الله تعالى الذى هو خالق كل شيء.

وفي كـــل شـــيء لـــه آيـــة تـــدل علـــى أنـــه الواحـــد

ولو كان النبات والخضر والفواكه كل ذلك ينمو بطبعه، لما وجدت هذه الفروق الكثيرة بين الثمرات، والخضر، والمقاثي من اختلاف في الحجم، والشكل، واللون فسبحان المنعم العظيم، وقد خاب وخسر من كفر به، اهـ.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾ الآيات ١٨- ٢٠

يوم الأزفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى: ﴿ **أَزِفَتْ الآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا من دُونِ اللَّه كَاشِفَةٌ** ﴾ [(١)]، وقوله تعالى: ﴿ **إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ** ﴾ قال قتادة وغيره: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، ومعنى كاظمين أي: ساكتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** ﴾ [(٢)] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير، وقوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، صغيرها، وكبيرها دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم، أنه يراه، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، وإذا فطنوا غض، وقد اطلع الله من على قلبه، أنه ود أن لو اطلع على فرجها، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَقْضِي**

---

(١) سورة النجم.

(٢) سورة النبأ.

بِالْحَقِّ ﴾ قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وهذا الذي فسر به ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [1]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ أي: من الأصنام والأوثان والأنداد ﴿ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾ أي: لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي: سميع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: كل من وحد الله تعالى وطهر قلبه من الشرك وصار مسلماً حنيفاً يعتقد جازماً، أن الحكم كله لله، والملك كله لله هو الذى يحكم بين عباده، وهو الذى يجزيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة، من عمل خيراً جزاه الله خيراً ومن عمل شراً جزاه الله شراً، ولا يجوز أن يكون الحكم لغيره، فالحلال ما أحله الله سبحانه والحرام ما حرمه، والواجب ما أوجبه، والمستحب ما أحبه، والمباح ما أباحه، ومن جعل الحكم لغيره في الجزاء أو التشريع فقد اتخذ إلها من دون الله، هذا حاصل معنى هذه الآيات أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا

---

(١) سورة النجم

مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ الآيات: ٤١-٥٢

قال (ك) يقول لهم المؤمن ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي: عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله ﷺ، الذي بعثه ﴿ **وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾ أي: على جهل بلا دليل ﴿ **وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ** ﴾ أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه، ﴿ **لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ** ﴾ يقول حقا، وقال السدي: لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ** ﴾ أي: في الدار الآخرة فيجازي كلا بعمله، ولهذا قال: ﴿ **وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ** ﴾ أي: خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل، ﴿ **فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ** ﴾ أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه،

---

(١) سورة الأحقاف.

ونصحتكم ووضحت لكم، وتتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم ﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ أي: وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ أي: هو بصير بهم تعالى وتقدس، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة والقدر النافذ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا** ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، وأما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام، وأما في الآخرة فبالجنة ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** ﴾ وهو الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ أي: أشده ألما وأعظمه نكالا، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ وروى البخاري بسنده عن عائشة أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة، إلا تعوذ من عذاب القبر، وروى البخاري ومسلم بسندهما عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة » ، وقوله تعالى ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ** ﴾ **قال (ك)** يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار، وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم، فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء ﴿ **إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا** ﴾ أي: أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ** ﴾ أي: قسطا تتحملونه عنا، ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا** ﴾ أي: لا نتحمل عنكم شيئاً، كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال ﴿ **إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴾ أي: فقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا، كما قال تعالى: ﴿ **قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ** ﴾ ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا**

مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب لهم، ولا يستمع لدعائهم بل قد قال: ﴿ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [(١)] سألوا الخزنة، وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي: أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ﴿ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا ﴾ أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم براء ثم نخبركم، أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قال: ﴿ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾

قال القاسمي: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ أي: لننصرهم في الدارين، أما في الدنيا فبإهلاك عدوهم واستئصاله عاجلاً، أو بأظفارهم بعدوهم وإظهارهم عليه، وجعل الدولة لهم والعقابة لأتباعهم، وأما في الآخرة، فبالنعيم الأبدى والحبور السرمدي، والأشهاد جمع شاهد وهم: من يشهد على تبليغ الرسل وتكذيبهم ظلماً، أو جمع شهيد كأشراف وشريف.

وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ قال ابن جرير ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون، إن اعتذروا إلا بالباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها، فلا حجة لهم في الآخرة إلا في الاعتصام بالكذب، بأن يقولوا ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ولذا كانت لهم اللعنة، وهي: البعد من رحمة الله وشرها في الدار الآخرة من العذاب الآليم.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: من المعلوم أن دين التوحيد هو دين جميع الأنبياء ومن أتبعهم بإحسان، وقد تقدم أن بنى إسرائيل مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقال جهالهم لموسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ أي: دين الشرك الذى هم عليه يهلكه الله ويهلك من اتبعه، وتقدم أيضا في سورة

(١) سورة المؤمنون.

الأعراف أن أبواقد الليثي وأصحاباً له كانوا حدثاء عهد بشرك فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «الله أكبر أنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » وههنا مؤمن آل فرعون ينادى في قومه ﴿ **يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ** ﴾ فهذه دعوة جميع الرسل ودعوة كل متبع لهم، فأهل الحق ينادون إخوانهم يا قومنا اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا الأوثان لا تذبحوا لها ولا تنذروا لها ولا تقيموا حولها مواسم وأعياداً أو تتخذوها آلهة من دون الله إننا لكم من الناصحين، ونبرأ إلى الله مما أنتم عليه.

فائدة ثانية: معنى لا جرم حقا يعنى أن الحق هو أن ما تدعوننى إليه ﴿ **لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ** ﴾ كما قال تعالى: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ﴾ [١] فكل من دعا غير الله لجلب خير أو دفع شر فهو من الكافرين بنص القرآن ودعاؤه في ضلال.

فائدة ثالثة: قول الحافظ (ك) في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ أى: أتوكل على الله واستيعنه وأقاطعكم وأباعدكم، فمن وحد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسماءه وصفاته واتبع رسوله ﷺ لكنه لا يتبرأ من المشركين ولا يقاطعهم ولا يباعدهم بل يتولاهم ويرغب في صحبتهم ولا ينكر عليهم شركهم يكون غير عامل بقوله تعالى حكاية عن إمام الموحدين إبراهيم الخليل ﷺ ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾ قال الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** ﴾ [٢] فيجب على كل موحد مخلص دينه لله أن يعتزل المشركين وحينئذ يهب الله له خيراً كثيراً ويرى ما يسره في أبنائه وأحفاده فإن يعقوب بن إسحاق

---

(١) سورة الرعد

(٢) سورة مريم.

وإسحاق بن إبراهيم[1] ويهب الله له شيئاً كثيراً من رحمته ويجعل له لسان صدق عند المؤمنين من أهل زمانه ومن بعدهم، وسيأتي إن شاء الله زيادة على هذا في سورة المجادلة وفي سورة الممتحنة.

فائدة رابعة: كل من دعا إلى توحيد الله تعال وإخلاص العبادة له لابد أن يكون يتعرض لمكر أعداء التوحيد ولكن الله وعده بالوقاية من مكرهم وبالنصر عليهم ووعد أعداء التوحيد بسوء العذاب.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الآيات: ٦٤- ٦٦

قال (ك) وقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا** ﴾ أي: جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم، ﴿ **وَالسَّمَاء بِنَاء** ﴾ أي: سقف للعالم محفوظا، ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ أي: فخلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم ﴿ **وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ** ﴾ أي: من المآكل والمشارب في الدنيا فيذكر، أنه خلق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق، وقال تعالى بعد خلق هذه الأشياء: ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أي: فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم، ثم قال تعالى: ﴿ **هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ أي: هو الحي أزلا وأبدا، لم يزل ولا يزال وهو الأول والآخر والظاهر والباطن،

---

(١) أي أكرم الله إبراهيم بإسحاق وأكرم إسحاق بيعقوب وأكرم يعقوب بيوسف.

لا إله إلا هو أي: لا نظير له ولا عديل له ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: موحدين له مقرين، بأنه لا إله إلا هو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى: ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ فقل لا إله إلا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وقوله ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قال (ك) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين، إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: وقوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هو كقوله تعالى في سورة البقرة لإمام الحنفاء إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فمعناها أمرني ربي أن أوحده وأن أسلم نفسي إليه فلا أوجه وجهي إلا له ولا أدعوا بلساني ولا بقلبي غيره، أ هـ.

فائدة: قال محمد تقي الدين: هذه الآيات التي ذكرتها هنا اشتملت على توحيد الربوبية من قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ ثم جاءت الدلالة على توحيد العبادة في قوله تعالى: ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ إلى آخره، وبعد ذلك تجيء آيات توحيد الربوبية مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الآيات

الباب الخامس

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا

كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الآيات: ٧٣- ٧٦

قال (ك) وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ أي: قيل لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله، هل ينصرونكم اليوم ﴿ **قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا** ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعونا ﴿ **بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا** ﴾ أي: جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته: ﴿ **ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [1] ولهذا قال عز وجل: ﴿ **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ** ﴾، وقوله: ﴿ **ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ** ﴾ أي: تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم ﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ أي: فبئس المنزل والمقيل، الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: قوله أين الأصنام يحتاج إلى بيان فإن المشركين ما كانوا يعبدون الأصنام وحدها، بل كانوا يعبدون ثلاثة أنواع من الشركاء:

النوع الأول: جماد منسوب إلى الملائكة أو الأنبياء والصالحين، ولهذا عبدوه.

النوع الثاني: عاقل لا يعقل وهو كل معبود رضي بعبادته أو بعبادة غيره من المخلوقين.

الصنف الثالث: وهو الملائكة والأنبياء والصالحون يعقلون ولا يرضون أن يعبد مع الله أحد ويتبرؤون من المشركين ويكفرون يوم القيامة بشركهم.

فالصنف الأول والثاني مع عابديهم إلى جهنم كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾، وقال تعالى في سورة الصافات ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾

(١) سورة الأنعام

أما الصنف الثالث: فإنهم متبرؤون من كل من عبدهم ويكونون عليهم ضدا ويكفرون بعبادتهم فحينئذ تصيب المشركين الحسرة والندامة حين لا ينفع الندم وهؤلاء الأصناف الثلاثة لا ينفعون عابديهم مثقال ذرة لا في الدنيا ولا في الآخرة، أ هـ.

الباب السادس

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الآيات: ٨٢- ٨٥

قال (ك) يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أثاروا في الأرض وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئا، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله، وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغة لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل، قال مجاهد: قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب، ﴿ **وَحَاقَ بِهِم** ﴾ أي أحاط بهم ﴿ **مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون** ﴾ أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا** ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ** ﴾ أي: وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات، ولا تنفع المعذرة، وهي كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ **آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [1] قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **آلآنَ وَقَدْ**

(١) سورة يونس

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي فلم يقبل الله منه، لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال: ﴿ **وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ وهكذا قال تعالى ههنا: ﴿ **فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ** ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب، أنه لا تقبل توبته ولهذا جاء في الحديث « إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: يولد الإنسان جاهلاً عاجزاً فقيراً ثم يعطيه الله سبحانه العلم والمال والأولاد والجاه.

والعلم قسمان: وكذلك المال والأولاد والجاه، فالعلم الذى يوصل صاحبه إلى الإيمان بالله ورسله وطاعة الله وطاعة رسله والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، هو علم نافع يوصل إلى السعادة في العاجل والآجل، والعلم الذى يدعو صاحبه إلى الكفر بالله وبما جاءت به الرسل ويدعوه إلى الأعمال السيئة ومساوئ الأخلاق كالكبر والاستعلاء على الناس وسوء المعاملة والإعجاب بالنفس، والطغيان والظلم وكفر النعم، فهذا العلم شر على صاحبه من سقم على بدن والجهل خير منه، فكثير من الناس يفتح له في علوم الدنيا المادية فيغتر بها، ويتطاول ويعرض عن ميراث الأنبياء، وهو العلم النافع فيكون علمه وبالا عليه، ويكون زاده إلى النار، فقبح الله العلم الذى يحول بين صاحبه وبين الإيمان بالله تعالى وما جاءت به الرسل.

كنت في مدينة بن «بجرمانية» ويسميها العرب في هذا الزمان جهلاً منهم ألمانيا، وكنت مدعو للعشاء، ومعى شخص آخر عند ممرضة في مستشفى العيون اسمها الزبت، وزوجها هو الأستاذ أندرى، كان أستاذاً بعلم النبات والحيوان في جامعة بن، حتى أحيل على التقاعد وكان عمره في ذلك الوقت يزيد على التسعين، فوقفنا نصلى المغرب والعشاء، فوقف إجلالاً واحتراماً لصلاتنا، بل إجلالاً لله الذى نصلي له مدة الآذان والإقامة وصلاة المغرب والعشاء والوتر ثمانى ركعات، وهو ضعيف جداً، فلما فرغنا من صلاتنا قال لى

باللغة الجرمانية ما معناه أصابتنى هيبة وإجلال لصلاتكما ثم جلسنا وأخبرنى أنه يؤمن بالله وبجميع رسل الله ولم يحضر قط درساً في الدين، وإنما عرف الله تعالى بما رأى من عجيب صنعه في الحيوان وأيقن أن ذلك الصنع المحكم يدل على صانع عليم قدير كامل لا حد لعلمه، ولا لقدرته، وله الحكمة البالغة في كل ما خلقه وسيره وقدره، ونرى المقلدين الجهال من أبناء الشعوب المتخلفة يزعمون أن العلم يمنع صاحبه من الإيمان بالله ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [(١)] انظر كتابى «الطريق إلى الله»[(٢)] المطبوع في بيروت منذ بضع سنين أرجو من الله تعالى أن ييسر طبع أصله وهو الكتاب الكبير المسمى، دواء الشاكين وقامع المشككين، أ هـ

سورة فصلت

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ﴾ الآيات ٦- ٨

قال (ك) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين، إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى، إنما إلهكم إله واحد، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقون، ﴿ **أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ** ﴾ أى: أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل ﴿ **وَاسْتَغْفِرُوهُ** ﴾ أى: لسالف الذنوب ﴿ **وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ** ﴾ أى: دمار لهم وهلاك عليهم ﴿ **الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ﴾

---

(١) سورة الكهف.

(٢) وهذا الكتاب جزء من كتابى(دواء الشاكين) وقد طبع كله في الدار البيضاء وهو موجود يباع، طبعه الشهم النبيل الحاج مصطفى بن هاشم الودغيرى.

قال القاسمي: أي: لا يزكون أنفسهم بطاعة الله، أو لا ينفقون من أموالهم زكاتها، وهذا ما رجحه «ج» ذهاباً إلى أن ذلك هو الأشهر، لا سيما مع ضميمة الإيتاء، وفيه إشارة إلى أن من أخص صفات الكفار منع الزكاة، ليحذر المؤمنين من ارتكابه، وعن قتادة «أن الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك» **قال (ج)** وقد كان أهل الردة، بعد نبى الله، قالوا أما الصلاة فنصلى وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا، قال فقال أبو بكر، والله، لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما، والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه ﴿ **وَهُم بِالآخِرَةِ** ﴾ أى: بإحيائهم بعد مماتهم للمجازاة ﴿ **هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ أى: غير منقطع، أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: الذى يظهر لى أن المراد بالزكاة هنا الصدقة المطلقة، وهى مشروعة من أول الإسلام، قال تعالى في سورة المعارج وهى مكية ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ وقال تعالى في سورة الذاريات ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾، فقد أثبت الله سبحانه وتعالى حقا للفقراء والمساكين في أموال الأغنياء في هاتين السورتين المكيتين، قبل أن يفرض الزكاة وقال تعالى في سورة الليل وهى مكية، ﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ وقال تعالى في سورة الضحى ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** ﴾ وقال تعالى في سورة الماعون: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ أي: يمنعون إعارة ما يستعان به من الأوانى والأدوات، وقال تعالى في سورة القيامة، ﴿ **فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ الآيات.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ الآية: ٩

قال (ك) هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء المقتدر على كل شيء، فقال قل أئنكم لتفكرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً، أي: نظراء وأمثالاً تعبدونها معه ذلك رب العالمين، أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

فصل

قال محمد تقى الدين: كل من صرف من عبادته لمخلوق شيئاً فقد اتخذه نداً وارتكب الشرك الأكبر الذى لا يغفر إلا بالتوبة والتوحيد.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا۟ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا۟ الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الآيات: ١٣ – ١٨

قال (ك) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق، إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين، ﴿ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ [١] أي في القرى المجاورة لبلادهم، بعث الله إليهم الرسل يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا: ﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً ﴾ أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾ أي أيها البشر ﴿ كَافِرُونَ ﴾ أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أي: بغوا وعتوا وعصوا ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ أي اغتروا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي: أفلا يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وأن بطشه شديد، كما قال عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [٢] فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله، فلهذا قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك، وقوله تعالى: ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ أي متتابعات ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ كقوله: ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ أي: ابتدأوا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾، حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال: ﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى ﴾ أي أشد خزيا لهم ﴿ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ ﴾ أي في الآخرة كما لم ينصروا

---

(١) سورة الأحقاف.

(٢) سورة الذاريات.

في الدنيا، ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال وقوله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ قال ابن عباس وغيره بينا لهم ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ وبصرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، أي من التكذيب والجحود ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي من بين أظهرهم لم يمسسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله عز وجل.

فصل

قال محمد تقى الدين: كل من وحد الله واتبع الرسول الذى أرسل إليه من الأولين والآخرين لابد أن تكون عاقبته حميدة ومن أشرك بالله ولم يتبع الرسول الذى أرسل إليه فلابد أن تكون عاقبته سيئة، سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، أ هـ.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآيات: ٣٠-٣٣

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن عمران قال: قرأت عند أبي بكر الصديق ﷺ هذه الاية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ

ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ هم الذين لم يشركوا بالله شيئا، وروى مسلم بسنده عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال «قل أمنت بالله ثم استقم، قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف على فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال هذا » وقوله تعالى ﴿ **تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ** ﴾ قال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث **قال (ك)** وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً، وهو الواقع، قوله تبارك وتعالى ﴿ **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرةِ** ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أي: قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوزكم الصراط، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ** ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** ﴾ أي مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿ **نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ** ﴾ أي: ضيافة وعطاء وأنعاما من ﴿ **غَفُورٍ** ﴾ لذنوبكم ﴿ **رَّحِيمٍ** ﴾ بكم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف، وقال الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » قلنا يا رسول الله، كلنا نكره الموت، قال ﷺ، «ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقى الله تعالى فأحب الله لقاءه » قال وأن الفاجر أو الكافر إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاءه وهذا حديث صحيح، وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه.

وقوله سبحانه ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً** ﴾ الآية.

قال (ك) يقول عز وجل ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا** ﴾ أي: دعا عباد الله إليه ﴿ **إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة

في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك كما قال السدي وغيره، وقوله ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: من المنقادين إلى توحيد الله وطاعته.

فصل

قال محمد تقي الدين، فائدة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ هم الذين حققوا معنى لا إله إلا الله، وعبدوا الله وحده، ولم يتخذوا ربا سواه، معنى ثم استقاموا أي: حققوا معنى محمد رسول الله، فاتبعوا الرسول ﷺ ولم يحيدوا عن سنته مثقال ذرة، ولم يبتدعوا في دين الله، ولا حكموا بغير شرع الله، وأحبوا في الله وأبغضوا في دين الله، ووالوا في الله وعادوا في الله، تتنزل الملائكة عند موتهم ملائكة الرحمة كأن على وجوههم الشمس فتبشرهم وتتولى قبض أرواحهم من ملك الموت فتصعد بها إلى الله تعالى حتى تسمع أن الله قد رضي عنها، كما جاء في الحديث، وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي: دعا إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله وعمل صالحا، أي: عمل بما يدعو إليه ولم يكن من الذين يقولون ما لا يفعلون، فأنت ترى أن تحقيق الشهادتين ذكر في هذه الآيات مرتين، لأنه هو الأساس العظيم والصراط المستقيم من ظفر به سعد في الدنيا والآخره ومن حرمه شقي في الدنيا والآخرة أ هـ.

الباب الخامس

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

الآية ٣٧

قال (ك) يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذى لا نظير له وأنه على ما يشاء قدير، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾، أي: أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يفتران والشمس ونورها، وإشراقها والقمر وضيائه، وتقدير منازله في فلكه واختلاف سيره في سمائه ليعرف بإختلاف سيره وسير الشمس ومقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات

العبادات والمعاملات، ثم لما كانت الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوى والسفلى، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون، أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر أن يشرك به.

فصل

قال **محمد تقى الدين – فائدة:** لقد أجاد الحافظ (ك) في تفسيره هذه الآية وحاصل معناها أن لله آيات تدل على عظمته وعلى أنه إله العالمين، لا يعبد غيره ولا يحكم بشرع غيره، فالموفق العاقل يستدل بتلك الآيات التى من أظهرها الليل والنهار والشمس والقمر ولا يشغله الإعجاب بها عن تعظيم خالقها وتنزيهه وحمده وشكره، والجاهل المغفل هو الذى يشغله الإعجاب بالصنعة وينسى الصانع، ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ ولو فكر الذين يعبدون الشمس والقمر والأنبياء والصالحين وتماثيلهم وقبورهم وهى الأصنام والأوثان لو فكروا في خالقهم وصانعهم وقدروه حق قدره لما عبدوا معه غيره، أ هـ.

الباب السادس

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ الآيتين: ٤٧-٤٨

قال (ك) وقوله جل وعلا: ﴿ **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ أي: لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادة الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل: ﴿ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾، وقال جل جلاله: ﴿ **لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَخْرُجُ**

من ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ أي: الجميع يعلمه، لايعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وقوله جل وعلا: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿ قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ أي أعلمناك ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ أي: ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أي وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أي لا محيد لهم عن عذاب الله.

فصل

قال **محمد تقى الدين – فائدة:** أجمع أهل السنة والجماعة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، ومن اعتقد أن أحداً من المخلوقين يعلم الغيب فقد كفر بالقرآن العظيم، وكذب القرآن والرسول ﷺ وقد تقدم ذلك في مواضع كثيرة، وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ إلى آخر الآية تقدم مثله كذلك ولو كان المشركون في هذا الزمان يؤمنون بالله ورسوله ويعقلون عن الله ورسوله ما اتخذوا من دون الله أولياء يحبونهم كحب الله، بل أكثر، ويعظمونهم كتعظيم الله بل أكثر، ويهتفون بأسمائهم عند القيام والقعود، وعندما يصيبهم أدنى فزع، فهؤلاء هم الذين يوبخهم الله تعالى بقوله، ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ فينظرون يميناً وشمالاً فلا يجدون شيئاً، بل يكون أولياؤهم عليهم ضداً، ويكفرون بعبادتهم ويتبرؤون منهم، فحينئذ يقولون سبحانك ما منا من شهيد، ولكن ذلك لا ينفعهم ولا مناص لهم من عذاب الله، فالحمد لله الذى هدانا لتوحيده واتباع رسوله محمد ﷺ.

سورة الشورى

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ

يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ الآيات: ٦-٩

قال (ك) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء** ﴾ يعني: المشركين، ﴿ **اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ** ﴾ أي: شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدا وسيجزيهم بها أوفر الجزاء ﴿ **وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** ﴾ أي: إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل، وقوله عز وجل ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ الآية قال (ك) يقول تعالى، وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ أي: واضحا جليا بينا ﴿ **لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ وهي مكة ومن حولها أي: من سائر البلاد شرقا وغربا، وسميت مكة أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها، ومن أوجز ذلك وأدله، ما قال الإمام أحمد وغيره بسنده عن عبد الله بن عدي الزهري سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف في سوق مكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » ، وقوله عز وجل: ﴿ **وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ** ﴾ وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد وقوله تعالى: ﴿ **لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ أي: لا شك في وقوعه، وأنه كائن لا محالة وقوله جل وعلا: ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾ كقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ** ﴾ أي: يغبن أهل الجنة أهل النار، وقوله عز وجل ﴿ **وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ أي: إما على الهداية أو على الضلال، ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق، وأضل من يشاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل: ﴿ **وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾

وقوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ﴾

قال (ك) يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، ومخبراً أنه هو الولى الحق الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده، فإنه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيئ قدير.

فصل

قال محمد تقى الدين – فائدة: تكرر هذا المعنى في الآيات المكية كقوله تعالى في سورة الغاشية ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ وكقوله تعالى في هذه السورة ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ الآية، لأن النبى ﷺ لم يؤمر بقتال المشركين في مكة، وإنما أمر بالتبليغ والصبر على الأذى.

فائدة ثانية: قال محمد تقى الدين: قوله فاوت بينهم فأضل من شاء بعدله وهدى من شاء بفضله تقدم أن الله لا يضل إلا من سلك سبيل الضلال ونبذ طريق الهدى واتبع هواه، أما من طلب الهدى فإن الله يهديه، في الحديث القدسى وهو حديث أبى ذر الطويل « يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم»، الحديث، وقد تقدم هذا المعنى بأبسط من هذا.

فائدة ثالثة: قال محمد تقى الدين: ذكر الله تعالى الأولياء في القرآن في مواضع كثيرة، وذم من اتخذهم ونهى عنهم، والمشركون في هذا الزمان يذكرونهم في كل حين ويعطون لأجلهم ويمنعون لأجلهم، ويحبون لأجلهم ويبغضون لأجلهم، ويسألونهم حاجاتهم استقلالاً، قال شاعرهم:

أوليــــاء الإلــــه أنـــــى مـــــريض والـــــدواء لـــــديكم والشـــــفاء

انظـــروا لى بفضـــلكم في علاجـــى وامنحنـــوى بجـــودكم مـــا أشـــاء

وهذه غاية الضلال، فلو قال يا الله ويا أولياء الله امنحونى ما أشاء، لكان مشركا كافراً، فكيف وقد أفردهم بالدعاء، وهذه الآية الكريمة تغير في وجوه المشركين وتنكر عليهم أشد الإنكار، لو كانوا يعقلون.

وقوله تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ نرجو أن يوفقنا الله تعالى ونذكرها في توحيد الاتباع من كتاب سبيل الرشاد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ﴾ إلى قوله سبحانه، ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الآيات: ٣٦-٣٩

قال (ك) يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني، بقوله تعالى: ﴿ **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة، ﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ أي: وثواب الله خير من الدنيا وهو باق سرمدي، فلا تقدموا الفاني على الباقي، ولهذا قال تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الحياة الدنيا ﴿ **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ أي: ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات، ثم قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ** ﴾ قال صاحب اللسان، الفواحش: القبائح، من القول والفعل، والمراد هنا كبائر الذنوب والإثم ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ أي: سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمات الله، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ** ﴾ أي: اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره، ﴿ **وَأَقَامُوا الصَّلاةَ** ﴾ وهي أعظم العبادات لله عز جل ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾ أي: لا يبرمون أمراً،

حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ الآية ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها، ليطيب بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب ﷺ الوفاة، حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ﷺ فاجتمع رأي الصحابة كلهم ﷺ على تقديم عثمان عليهم ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب، وقوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته: ﴿ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام، وكذلك عفوه ﷺ عن غورث بن الحارث، الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده صلتا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله ﷺ السيف من يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره و أمر هذا الرجل وعفا عنه، وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه السلام، ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفوه ﷺ عن المرأة اليهودية ـ وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري التي سمت الذراع يوم خيبر، فأخبره الذراع بذلك، فدعاها فاعترفت فقال ﷺ: « ما حملك على ذلك ؟ » قالت: أردت إن كنت نبيا لم يضرك، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء ﷺ قتلها به، أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: محل الشاهد هنا في هذه الآيات قوله تعالى ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: لا يعتمدون بقلوبهم في جلب الخير ودفع الشر إلا على الله تعالى، مع اتصافهم بالصفات المذكورة، ولو توكلوا على غير الله تعالى لبطل ما كانوا يعملون.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ الآية، ٤٦.

قال (ك) ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاء يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾ أي: ليس له خلاص أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [1] والظالمون ما لهم من أولياء ينقذونهم من عذاب الله وإن كانوا يزعمون في أساطيرهم وحكاياتهم الباطلة أن هناك أهل النوبة من أوليائهم، وهم: الحرس المكلفون بانقاذ من استغاث بهم، وهم: في ذلك كاذبون، فإنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله كما تقدم في سورة النمل، أ هـ.

سورة الزخرف

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ

(١) سورة البقرة.

ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الآيات: من ١٩ إلى ٢٨

قال (ك) وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا** ﴾ أي اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال: ﴿ **أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ** ﴾ أي شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا ﴿ **سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ** ﴾ أي بذلك ﴿ **وَيُسْأَلُونَ** ﴾ عن ذلك يوم القيامة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ﴿ **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم** ﴾ أي: لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله، فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ: «أحدها » جعلهم لله تعالى ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيراً، « الثاني » دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، « الثالث » عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء، « الرابع » احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الإحتجاج جهلا كبيرا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ وقال جل وعلا في هذه الاية بعد أن ذكر حجتهم هذه: ﴿ **مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ** ﴾ أي: بصحة ما قالوه واحتجوا به ﴿ **إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** ﴾ أي: يكذبون ويتقولون، وقوله تبارك وتعالى ﴿ **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ** ﴾ يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم

غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل شركهم ﴿ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ أي فيما هم فيه ليس الأمر ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين ههنا وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ وقولهم: ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم ﴾ أي وراءهم ﴿ مُّهْتَدُونَ ﴾ دعوى منهم بلا دليل ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم ﴿ ذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ وهكذا قال ههنا: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ ثم قال عز وجل: ﴿ قُلْ ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ أي: لو علموا وتيقنوا صحة ما جئتم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله، قال الله تعالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي لا إله إلا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي إليها.

فائدة: - قال محمد تقي الدين: شرح الحافظ (ك) بأن عبادة أولئك المشركين للملائكة كانت بواسطة تماثيل جعلوها لهم وسموها بأسمائهم كما يفعل عباد القبور حين يشيدون القباب، ويصنعون التوابيت على القبور، ويجعلون للتابوت كسوة كالكعبة، ويعلقون

المصابيح والثريات، ويزخرفون الوثن بأنواع الزخرفة، ويحكون للناس حكايات يختلقونها، مضمنها أن ذلك الوثن جاءه ناس قد عميت أبصارهم فرجعوا يبصرون، وجاءه ناس قد استولى شلل على أجسادهم فرجعوا يمشون، وجاءه ناس مجانين فرجعت إليهم عقولهم، وبهذه الحكايات ينشرون الشرك في الناس قاتلهم الله.

فائدة ثانية: احتج المشركون بالقدر في قديم الزمان وحديثه، وقد ذكر الله تعالى احتجاجهم وأنكر ذلك عليهم، وسماه تكذيبا في سورة الأنعام ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ** ﴾ **قال (ك)** هذه مناظرة ذكرها الله تعالى، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره، بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك، ولهذا قالوا ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ كما في قوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم** ﴾ الآية وكذلك الآية التى في النحل مثل هذا سواء قال الله تعالى ﴿ **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم** ﴾ أي: بهذه الشبهة ضل من كان قبل هؤلاء وهى حجة داحضة باطلة، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه دمر عليهم ونصر عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام ﴿ **قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ** ﴾ أي: بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿ **فَتُخْرِجُوهُ** ﴾ أي: فتظهروه هنا، وتبينوه وتبرزوه ﴿ **إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ** ﴾ أي: الوهم والخيال، والمراد بالظن ههنا الاعتقاد الفاسد ﴿ **وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ** ﴾ تكذبون على الله فيما أدعيتموه، قال على بن أبى طحة عن ابن عباس ﴿ **لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا** ﴾ وقال كذلك كذب الذين من قبلهم، ثم قال ﴿ **وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ** ﴾ فإنهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى فأخبرهم الله انها لا تقربهم فقوله ﴿ **وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ** ﴾ يقول تعالى لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ، قل لهم يا محمد ﴿ **فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ** ﴾ أي: له الحكمة التامة والحجة البالغة

في هداية من هدى وإضلال من ضل ﴿ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين.

فصل

قال محمد تقى الدين: قد أجاد الحافظ (ك) رحمه الله في الرد على المحتجين بالقدر ومما يزيد كلامه وضوحا أن يقال قال الله تعالى في سورة الدهر، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾. وقال تعالى في سورة الشمس ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ وقال تعالى في سورة البلد ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ أي: طريق الخير وطريق الشر وسبب الاحتجاج بالقدر الجهل بإرادةو الله تعالى، وعدم التمييز بين الإرادة القدرية والإرادة الشرعين، فإن الله تعالى قدر كل شيء بمعنى أنه عالم بما سيختاره عباده، وأن بعضهم سيختار طريق الخير، وهو الإيمان بالله وطاعته واتباع رسله، وبعضهم سيختار طريق الشر، وهو: الكفر بالله ومعصيته ورد ما جاءت به رسله، فمن اختار منهم طريق الخير والهدى هداه الله ووفقه، قال تعالى في سورة محمد ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ ﴾ وقال تعالى في سورة التغابن ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾، وقال النبى ﷺ في حديث أبى ذر الطويل فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال « يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم » فكل من استهدى الله هداه بيقين، وهو الذى لا يخلف الميعاد، وقال تعالى فيمن اختار طريق الشر في سورة البقرة ﴿ يُضِلُّ بِهِ ﴾ أي: بالمثل أو بالقرآن كثيراً ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وقال تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ فإذا عرض الحق على الإنسان لأول مرة وكان سليم القلب من اتباع الهوى فإنه يستعمل فكره فيرى الحق حقا فيؤمن به ويهتدى فيزيده الله هدى، وإذا عرض عليه الحق فمنعه الهوى من النظر فيه والتفكير بقلب سليم، فكذب به أتباعا لهواه أضله الله وختم على قلبه فلا يستطيع أحد أن يهديه، وقال تعالى في سورة الصف ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ فلو لم يزيغوا لهداهم الله، وقال تعالى في سورة فصلت ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

والإرادة الثانية: إرادة شرعية، وهي: في معنى الرضا، فلا يريد الله تعالى بهذه الإرادة الشرعية إلا ما شرعه لعباده، قال تعالى في سورة الزمر، ﴿ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ وقال تعالى في سورة الأعراف إخباراً عن الكفار ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال تعالى فيها أيضاً، ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أ هـ.

قال محمد تقى الدين: فلو لم يتخذوا الشياطين أولياء من دون الله لما حقت عليهم الضلالة، والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، فمن احتج بالقدر على استمراره في الكفر أو في المعاصى، فهو: جاهل بحقيقة إرادة الله تعالى، أو مغالط مكذب، كما تقدم في آيات الأنعام، ولنضرب لذلك مثلاً ولله المثل الأعلى، جماعة من الناس قصدوا رجلاً غنياً وقالوا له نحن نحسن التجارة ونربح فيها، ونخرج من هذا الفقر المؤلم، ولنا عليك حق، فلو أقرضت كل واحد منا شيئاً يتخذه رأس مال لكنت سبباً في إنقاذنا من ألم الفقر دون أن تخسر شيئاً، فإننا نأخذ الربح ونرد لك رأس المال، وهذا الرجل الغنى يعلم أن بعضهم صادق فيما ادعاه، وبعضهم كاذب يدعى ما لا يقدر عليه، فأعطى كل واحد منهم مقداراً معلوماً من المال، وضرب لهم أجل خمس سنين مثلاً، وبعد مضى الأجل استرد منهم رأس المال فأما الذين كانوا صاديقين فإنهم ردوا للمقرض قرضه، وبقى لهم خير كثير، يكفيهم أن يعيشوا عيشا رغداً، وأما الكاذبون فلم يجد عندهم شيئاً لا رأس مال ولا ربحا، وهذا المثل نفسه يصلح رداً على الاشتراكية الشيوعية، وللرد على الشيوعيين مقام آخر، والله أعلم.

وبعد ذلك أقول، لو أن الله تعالى أجبر الناس على الهدى ومنعهم من الكفر والمعاصى بحيث أن من كفر أو هم بالكفر أو المعاصى يصيب لسانه وجوارحه شلل، فلا يتلكم ولا

يتحرك حتى يتوب ويعزم على ترك الكفر، والمعصية لبطل الثواب والعقاب، ولما كانت دار عذاب ولا كرامة، وصار الناس أمة واحد سواسية، لا فضل لأحد على أحد وأصبحوا كالآلات، أو كالشمس والقمر، بدون إرادة ولا اختيار، يحركهم غيرهم فيتحركون، فلا يستحقون ثواباً ولا عقاباً، ولا يوصفون بإحسان ولا إساءة، وهذا ما لم يرده الله تعالى فله الحكمة البالغة، أ هـ.

فائدة ثالثة: قول الحافظ (ك) أ ي: من قبل شركهم تفسير لما يعود عليه الضمير، في قوله تعالى من قبله، وعندى فيه نظر، والذى يظهر أن يعود على القرآن وإن لم يتقدم له ذكر، فهو كقوله تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ وقد تقدم ذكر القرآن، إلا أنه بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الأحقاف، ﴿ **ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ ثم نظرت في البيضاوي فوجدت كلامه مطابقاً لما رأيته، والكمال لله أ هـ.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الآيات: ٤٣-٤٥

قال (ك) يقول عز وجل ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم المقيم، ثم قال جل جلاله: ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ** ﴾ قيل: معناه لشرف لك ولقومك، قال ابن عباس وغيره وأورد الترمذي والبخاري بسندهما عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » ومعناه أنه شرف لهم من حيث إنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين

الأولين ومن شابههم وتابعهم، وقيل معناه ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ أي لتذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾، وكقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ أي: عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله جلت عظمته: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ قال مجاهد في قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ: «وسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: – الآيتان الأوليان من أدلة توحيد الاتباع، فإن الله أمر محمداً ﷺ أن يتمسك بالقرآن، وأن يتخذه سراجاً منيراً ومنارا يهتدى به هو وأمته، كما قال تعالى في سورة الأعراف ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ قال تعالى في سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ وقال تعالى في سورة التغابن ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ونرى اليوم العرب وسائر المسلمين يتخبطون في الظلمات لأعراضهم عن هذا النور واتخاذهم القرآن مهجوراً، ولن يخرجوا من ظلماتهم إلا بالرجوع إليه، والاستضاءة به، واتخاذه إماماً وحكما، والتمسك بسنة الرسول، التى تبينه وتشرحه، والتفسير الثاني هو الراجح، وهو أن القرآن تذكير للنبى – ولقومه ولجميع العالمين، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من سورة الذاريات وقال تعالى في سورة الأنبياء ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ وسياتى تحقيق توحيد الاتباع في القسم الذى بعد هذا إن شاء الله.

فائدة أخرى: قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ الآية، ومعناها أن كل رسول أرسله الله جاء بتوحيد الله تعالى وإنكار عبادة غيره، كائناً من كان، وهذا مبين في التوراة والأناجيل، أتم تبيين، انظر البراهين الإنجيلية لمؤلف هذا الكتاب، أ هـ.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ الآيتين ٦٣-٦٤

قال (ك) ﴿ **وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ** ﴾ أي بالنبوة ﴿ **وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ** ﴾ قال ابن جرير: يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية، وهذا الذي قاله حسن جيد، ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا بمعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال:

تـــراك أمكنـــــة إذا لم أرضهــــا ... أو يعتلــق بعــض النفــوس حمامهــا

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس، قال ج: إنما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها، وهذا الذي قاله محتمل وقوله عز وجل: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ أي فيما أمركم به، وأطيعونى فيما جئتكم به ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ أي: أنا وأنتم عبيد له فقراء مشتركون في عبادته وحده لا شريك له ﴿ **هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ أي: هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده، اهـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: – فائدة، قوله تعالى ﴿ **وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ** ﴾ ليس بعض ههنا بمعنى كل لأن عيسى بن مريم عليه السلام لم يجيء بنسخ شريعة موسى كلها كما جاء محمد ﷺ، بنسخ جميع الشرائع التى قبله، وإنما جاء بنسخ بعضها كالعمل يوم السبت، إذا كان فيه خير وفي تركه شر، كإنقاذ الغريق، وعلاج المريض، وإعانه المحتاج،

ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

فائدة ثانية: قول عيسى عليه السلام ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ الآية، انظر أيضا البراهين الإنجليلية فقد جاء فيها أن سائلاً سأل عيسى عليه السلام عن الوصية الأولى من الوصايا العشر، التي في التوراة فأجاب قائلاً، اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، أ هـ من الصفحة ١٤.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الآيات: ٨١-٨٧

في تفسير الجلالين ما نصه، ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ فرضا ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى فانتفت عبادته.

فصل

قال محمد تقي الدين: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: تنزه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما عما يصفه به الجاهلون المشركون،

من كونه له ولد، وتنزه وتقدس عن كل نقص، فذرهم، أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في غيهم حتى يجيئهم اليوم الذى كانوا يوعدونه، وهو يوم القيامة الذى تجزي فيه كل نفس بما كسبت، ويعاقب من نسب لله ولداً أو اتخذ معه شريكاً، ثم قال تعالى وهو الذي في السماء إله، أي: هو معبود أهل السماء وأهل الأرض بحق وهو الحكيم في أفعاله وفي شرعه وقدره العليم الذى لا تخفى عليه خافية، ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ أي: تعالى وتقدس الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما، وكل من سواه مملوك، ﴿ وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾، أي: ساعة القيامة لا يعلمها إلا هو، وإليه ترجعون يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾، ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ولو كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين، ﴿ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾، أي: وحد الله تعالى وهم يعلمون أى: يعتقدون تنزيه الله تعالى عن الشرك وسائر النقائص، فإن الله يهب من شاء منهم الشفاعة في من شاء من المستحقين للعذاب والمعذبين، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ يا محمد أي: المشركين من أهل مكة وغيرهم من خلقهم أنفسهم، ليقولن خلقنا الله ولم يشاركه في خلقنا أحد فأنى يؤفكون أي: كيف يصرفون عن توحيده في عبادته أ هـ.

سورة الدخان

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾ الآيتين: ٧، ٨

قال (ك) أي الذي أنزل القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيها ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ أي إن كنتم متحققين ثم قال تعالى: ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ وهذه الاية كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ ﴾ الآية

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: ذكر الله التوحيد في مواضع من كتابه العزيز، وأنكر على المشركين عبادتهم لغيره، واحتج عليهم بأنه هو وحده الذى يحيى ويميت، وكل ما سواه فإنه سبقه العدم، فأوجده الله تعالى ووهبه الحياة، وهو الذى يميت كل نفس ويذيقها الموت، فكيف يعبد من يحتاج إلى موجد يوجده، وحياته بيد ذلك الموجد يأخذها متى شاء، لا جرم أنه لا يعبد ذلك الفانى الذى يحي ويميت، إلا من مات قلبه فنسألك اللهم أن تحيى قلوبنا، وأن تزيدنا إيماناً بك وبنبيك محمد ﷺ وبما جاء به، ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ الآيات: ٤٠-٤٢

قال (ك) ﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ وهو يوم القيامة، يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين وقوله عز وجل: ﴿ **مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ أي يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم أي: لا ينفع قريب قريبا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ** ﴾، وكقوله جلت عظمته: ﴿ **وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ** ﴾ أي: لا يسأل أخا له عن حاله، وهو يراه عيانا وقوله جل وعلا: ﴿ **وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ أي: لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال: ﴿ **إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ** ﴾ أي لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ أي هو عزيز ذو رحمة واسعة، أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: (فائدة) : كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ناطقان مصرحان بأن

القرابة وحدها، ولو كانت للأنبياء والمرسلين لا تنفع ولا تشفع بل أقارب الأنبياء إذا عصوهم وخالفوا طريقهم هم أشد الناس عذاباً وخزياً أنظر الفائدة الخامسة من الباب الأول من سورة الشعراء.

سورة الجاثية

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآيتين: ٢٢-٢٣

قال (ك) ﴿ **وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ** ﴾ أي: بالعدل ﴿ **وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ أي: إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه، وعن مالك فيما روي عنه من التفسير لا يهوي شيئا إلا عبده وقوله: ﴿ **وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ يحتمل قولين: أحدهما وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك والآخر وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس ﴿ **وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً** ﴾ أي: فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئا يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ كقوله تعالى: ﴿ **مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين، فائدة: التحسين والتقبيح فيما ينسب إلى الله من الصفات، وما ينفى عنه لا يكون إلا من طريق الشرع، أي: الكتاب والسنة، فما استحسنه الله تعالى

ورسوله ﷺ، فهو الحسن، وإن لم تستحسنه عقول بعض الناس، وما استقبحه الله تعالى ورسوله، فهو القبيح وإن استحسنته عقول بعض الناس، مثال ذلك شفاعة النبى ﷺ في خروج الموحدين من النار، أخبر بها الرسول ﷺ، واستحسنها، وهى في نفسها حسنة، واستقبحتها عقول المعتزلة فهم مخطئون في ذلك، وملومون عليه، ومثل ذلك إيجابهم على الله أن يعذب المذنبين، واستقباحهم عفو الله عنهم، وهم في ذلك مخطئون، والكريم إذا وعد أنجز وإذا أوعد عفا، فتلك صفة كما قال الشاعر:

وإنـــى إذا أوعدتـــه أو وعدتـــه لمخلـف إيعـادى ومنجـز موعـدى

قاله الشاعر يفتخر بأنه كريم حليم، إذا وعد لا يخلف وعده، وأما إذا أوعد بالعقاب فإنه يعفوا ويصفح، قال تعالى في سورة فاطر ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ وإذا عفا عنهم وأخر عقابهم فهو سبحانه جدير أن يعفو عنهم يوم القيامة أيضاً، كما قال تعالى ﴿ **يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** ﴾ وكذلك الاستحسان في الشريعة قال به بعض الفقهاء، وهو أن يحكم بوجوب شيئ أو تحريمه أو كراهيته أو استحبابه أو إباحته بالاستحسان العقلى، قالوا في تعريفه هو حجة تنقدح في ذهن المجتهد ولا يستطيع التعبير عنها، وجمهور علماء الأصول ينكرون هذا الاستحسان، ويحصرون الحجة في الكتاب والسنة والإجماع والقياس على خلاف بينهم فيه، أ هـ.

فائدة ثانية: قال محمد تقى الدين: من اتبع هواه في عبادة غير الله أو تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو رد شيئاً مما جاء به رسول الله كالذين يقولون في هذا الزمان بتطور أصول الدين، والاجتهاد مع وجود النص والإجماع، كرفض الصيام في رمضان، بدعوى أنه لا يوافق العصر الحاضر، وتحليل الربا بدعوى أنه ضرورى في هذا العصر إذا تركته دولة، قلت أموالها وضعف اقتصادها وضاع حقها في المعاملات الدولية، فإنها لابد أن تعطى وتأخذ، فإذا أخذت فلا مناص من دفع الربا، وإذا أعطت بلا ربا تكون هى الخاسرة، فنقول أن هناك طريقاً آخر وهى أن تكون مستقلة غنية قوية لا تأخذ الربا ولا تعطيه، وحينئذ لابد أن تخضع لها الدول الأجنبية وتقبل شرطها، ﴿ **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ ولنضرب مثلا

بالدولة السعودية فإنها لا تتعامل بالربا وهى أغنى الدول، والحاصل من اتبع هواه في الشرك بالله أو تغيير حكم شرعى أو رد ما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر فرداً كان أو جماعة، أما من اتبع هواه في ارتكاب المحرمات، وهو يعترف أنه مذنب ويؤمل التوبة فهذا فاسق لا يخرج من الإسلام، ولا يخلد في النار بسبب التوحيد والإيمان والمحافظة على الصلاة في أوقاتها الذى معه، أ هـ.

سورة الأحقاف

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الآيات: ٤-٦

قال (ك) قال تعالى: ﴿ **قُلْ** ﴾ أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿ **أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ** ﴾ أي أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿ **أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ** ﴾ أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الارض وما يملكون من قطمير إن الملك والتصرف كله لله عز وجل، فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم إلى هذا ؟ من دعاكم إليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال: ﴿ **ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا** ﴾ أي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿ **أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ** ﴾ أي: علم مأثور عن الأنبياء السابقين يشهد لكم بصحة ما أنتم عليه من الشرك في عبادة الله.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ**

﴿ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ أي: لا أضل ممن يدعو أندادا وأصناما ويطلب منهم ما لا يستطيعونه ﴿ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يبطشون، لأنهم فقراء عاجزون مربوبون، تحت تصرف الله تعالى وقهره، وتماثيلهم وآثارهم أشد عجزاً.

وقوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ كقوله عز وجل، ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [1] أي: سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم.

فصل

قال محمد تقى الدين: وتقدم تفسير قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ أ هـ.

فائدة: قال محمد تقى الدين: الكفار في هذا الزمان أنواع:

النوع الاول: يقرون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء، وبالكتب المنزلة على رسل الله أو بعضها كاليهود والنصارى، إلا أنهم يعبدون غير الله، بدعوى أن الله وهب بعض عباده شيئاً من صفاته كالتصرف في خلقه بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والنصر والهزيمة والخصب والجذب، وإطالة الأعمار وتقصيرها، والإفقار والإغناء، وهذه عقيدة المشركين المتأخرين.

النوع الثانى: المشركون على عهد النبى ﷺ من العرب وهؤلاء كانوا لا يشركون بالله في الربوبية والملك والتصرف، وأما العبادة فكانوا في وقت الشدائد يوحدون الله تعالى، ولا يدعون معه أحداً، وفي وقت الرخاء يتخذون معه آلهة زاعمين أنهم يشفعون لهم عند الله في قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ومشركوا هذا الزمان يوافقونهم على ذلك، غير أنهم لا يوحدون الله أصلاً، لا في الشدة ولا في الرخاء، فشركهم أغلظ، وجهلهم أكثر، أ هـ.

---

(١) سورة مريم.

النوع الثالث: يعتقدون أن الله خالق كل شيئ ولكنهم لا يؤمنون بالرسالة ويزعمون أن العقل يغنى عن إرسال الأنبياء في معرفة الخالق ومن هؤلاء توماس بين مؤلف كتاب «عصر العقل » The age of reason.

النوع الرابع: الواقفون Iguostic وهؤلاء يقولون أنهم لا يثبتون لهذا العالم ربا وهو الله تعالى، ولا ينفونه، لأنهم يزعمون أنه لم يقم عندهم دليل على الإثبات ولا على النفى، ومن هؤلاء Ougesol الأمريكى، وله مقالات بالانكلزية مشهورة.

ويلزم أهل النوع الثالث أن الله سبحانه مع اعترافهم بكمال قدرته وكمال علمه خلق الخلق وأهملهم ووكلهم إلى عقولهم، التى لا تكاد تتفق على شيئ، وهذا يتنافى مع كمال القدرة والحكمة والرحمة، قال تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾، من سورة القيامة، وقال تعالى في آخر سورة المؤمنين ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ ومتى رأيتم ملكا قوياً حكيماً رحيماً من المخلوقين يهمل رعيته ولا يعلمهم ما يأتون وما يذرون، فما فائدة ملكه لهم فكيف بملك الملوك خالق السموات والأرض يترك عباده بلا رسل ولا كتب، ولا شرع، ولا يثيب محسنا على إحسانه، ولا يعاقب مسيئاً على إساءته، هذا يتنافى مع صفات الكمال، أ هـ.

أما أهل القسم الرابع: فهم أضل وأجهل، قال تعالى في سورة الأعراف ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾، وقال تعالى في سورة يونس ﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ والقرآن مشحون بمثل هذه الإرشادات وما يعلقها إلا العالمون، أ هـ.

والنوع الخامس: يصرحون بأنه لا رب لهذا العالم ولا خالق ولا متصرف فيه ولا مدبر لشؤونه، فيلزمهم أن السفينة تصنع نفسها وتسير في البحر بلا ربان ولا ملاحين ويلزمهم أن القطار يصنع نفسه ويصنع السكة التى يسير عليها أو تصنع نفسها، ويحمل الناس والبضائع، وإذا رأى إنساناً أو حيواناً صفر له وبطأ سيره، وإذ راى ما يستوجب الوقوف وقف، وإذا وصل إلى محطة وصل بعد أن يختار موقفه، ويتوجه إليه بنفسه، حتى لا يتصادم مع القطر الآخرى، وينتظر النازلين حتى ينزلوا والراكبين حتى يركبوا، وإذا جاء وقت التحرك عرفه،

واستأتف سيره، ويلزمهم أن الأطعمة في المعدة تتحول إلى دم من تلقاء نفسها، ثم إلى تعويض ما فقد من اللحم والعظام والأعصاب والغضاريف والأمعاء وما يحتوى عليه البطن والدماغ، كل ذلك بلا خالق ولا مدبر، ويلزمهم أن الشمس خلقت نفسها وهى تسير بإرادتها، وأن الأرض خلقت نفسها والتزمت أن لا تبعد عن الشمس بعداً يهلك ما عليها من حيوان ونبات بالبرد، ولا تقرب من الشمس قرباً يهلك ما عليها بالاحتراق، بل تبقى بينها وبين الشمس مسافة معلومة تمكن ما عليها من حيوان ونبات من الحياة، لا جرم أن هذه الفروض لا يستطيع العقل البشرى أن يعتقدها، لأنها في غاية الاستحالة، انظر كتابى دواء الشاكين، وقد طبع باسم الطريق إلى الله وقد طبع برمته وهو يباع طبعه المحسن الكبير الحاج مصطفى الودغيرى.

الباب الثانى

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآيات: ٢١-٢٥

قال (ك) يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ، في تكذيب من كذبه من قومه ﴿ **وَاذْكُرْ أَخَا عَاد** ﴾ وهو هود عليه الصلاة والسلام، بعثه الله عز وجل إلى عاد الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل، عن على بن أبى طالب الأحقاف واد بحضرموت، وقوله تعالى ﴿ **وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه** ﴾ يعنى وقد أرسل الله تعالى إلى من حول

بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين وقال البيضاوي: من بين يديه ومن خلفه، قبل هود وبعده.

قال محمد تقى الدين: ويظهر أن قول البيضاوي هو الصواب، ثم **قال (ك)** ﴿ **أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ أي: الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأنى أنى أبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوماً تجهلون، أي: لا تعقلون ولا تفهمون، قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ** ﴾ أي: لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا أنه عارض مطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر قال الله تعالى ﴿ **بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ أي: هو العذاب الذى قلتم ﴿ **فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ ﴿ **تُدَمِّرُ** ﴾ أي: تخرب كل شيء من بلادهم مما شأنه الخراب بأمر ربها، أي: بإذن الله لها في ذلك كقوله سبحانه وتعالى ﴿ **مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ** ﴾ أي: كالشيء البالى، ولهذا قال عز وجل ﴿ **فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ** ﴾ أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم يبق لهم باقية كذلك نجزى القوم المجرمين، أي: هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا، أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: عاد الأولى ليس لها اسم سوى عاد وعاد الثانية لها اسم آخر وهو ثمود.

والأحقاف اسمها في هذا الزمان حضرموت واسمها أيضا جنوب اليمن ومقر الحكم فيها عدن، نسأل الله أن يطهرها من الشيوعية.

وقول الحافظ (ك) ﴿ **مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ** ﴾ معناه من حوله من البلاد ظهر لى لأول وهلة أن المراد بقوله تعالى من بين يديه ما قبله من الزمان والمراد بقوله تعالى ومن خلفه ما بعده من الزمان ثم راجعت كل التفاسير التى عندى وهى خمسة فوجدتها موافقة لما ذكرته ومخالفة لتفسير (ك) والكمال لله.

وقول (ك) أي ﴿ **تُدَمِّرُ** ﴾ أي: تخرب كل شيء من بلادهم مما شأنه الخراب يريد أن كل شيء عام أريد به الخصوص أي: كل شيء من بلاد عاد لا من بلاد غيرهم، قوله مما شأنه

الخراب كبنى آدم والأشجار، أما الجبال فلم تخربها لأنها لم ترسل إليها وهذا كقوله تعالى في ملكة سبأ، ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: مما يكون عند الملوك.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الآيتين: ٢٧-٢٨

قال (ك) : ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى** ﴾ يعني أهل مكة، وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها، كعاد وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود، وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، كذلك سبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضا وقوله عز وجل: ﴿ **وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ** ﴾ أي بيناها وأوضحناها ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٢٧) **فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً** ﴾ فهل لا نصروهم عند احتياجهم إليهم ﴿ **بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ** ﴾ أي: بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم ﴿ **وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ** ﴾ أي: كذبهم ﴿ **وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ أي وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم أ هـ.

فصل

قل محمد تقى الدين: فائدة: عباد الأوثان في هذا الزمان كلما رأوا قبة عظموها وتعلقت قلوبهم بصاحبها المنسوبة إليه، فيشدون إليه الرحال ويتقربون لها، فإذا قيل لهم لماذا ذهبتم إلى صاحب القبة، أليس الله بكاف عبده، يقولون نحن نعلم أن الذى يعطى هو الله، وصاحب القبة لا يملك شيئاً ولكننا قصدناه لنقرأ عليه شيئاً من القرآن، وندعو له بالرحمة، فقلنا لهم أما الدعاء فإن الله يسمعة وأنتم في بيوتكم، ولماذا خصصتموه بالدعاء من دون سائر الأموات، ومنهم والدوكم فذهابكم إلى قبره وتخصيصكم له بالدعاء يدل على أنكم قصدتموه، وخضتم له لتتملقوا وتقدموا له رشوة ليتوسط لكم في قضاء حاجاتكم عند الله،

أو ليقضيها بنفسه، وهذا هو الشرك بالله الذى لا يغفره الله، وأما قراءة القرآن، فلو كانت تنفع غير قارئه لكان والدوكم أولى بها، على أنها لا تنفع إلا قارئها إذا قرأها لوجه الله، وعمل بها وتقبلها الله منه، وبرهان ذلك أن قراءة النبى ﷺ متقبلة قطعا، وكل حرف منها يساوى قراءة العالم بأسره، وكان بالمؤمنين رحيماً، وكان يعتنى كثيراً بزيارة القبور والدعاء لأصحاب القبور، ويعلم أصحابه الدعاء الذى يدعون به إذا زاروا القبور كما يعلمهم السورة من القرآن ولم يقرا شيئاً من القرآن على ميت ولا أمر أصحابه بذلك، أأنتم أعلم أم رسول الله ﷺ، وفي الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبرين يعذبان أن يعذب صاحباهما، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة، ثم أمر بجريدة خضراء فأتى بها فشقها نصفين، فغرز أحدهما على أحد القبرين، وغرز الثانى على القبر الثانى، فقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » ولم يقرأ عليهما حرفًا من القرآن، ولا أمر أصاحبه بالقراءة عليهما، وهذا دليل قاطع على أن قراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات لم يشرعها الله ولا رسوله، بل هى بدعة وضلالة، ولا يجنى صاحبها منها إلا الوبال، وقول النبى ﷺ: وما يعذبان في كبير، ليس معناه أن ذينك الذنبين ليسا من الكبائر، بل معنى كبير هنا ثقيل، كما قال تعالى في الصلاة ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [1] أى: ثقيلة وشاقة فكذلك الاستتار من البول والنميمة، لا يشق على المسلم أن يتركهما، فإذا كان معه ادنى شيئ من الإيمان فإن إيمانه يمنعه من ارتكابهما والله أعلم.

سورة القتال

الباب الأول

قولة تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ الآية: ١٩

---

(١) سورة البقرة.

قال (ك) وقوله عز وجل: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمرا بعلم ذلك ولهذا عطف عليه قوله عز وجل: ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يقول: « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي » وفي الصحيح أنه كان يقول في آخر الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله إلا أنت » وفي الصحيح أنه قال: « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة « .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾ أي يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾ أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: يجب على كل مسلم أن يعلم معنى لا إله إلا الله، ويعتقده بقلبه، ويقولها بلسانه، ويعمل بمقتضاها، وإلا فليس من أهلها ولو قالها في كل يوم ألف مرة، فإن أهل الردة الذين قاتلهم أبو بكر ومعه جميع الصحابة، وسبى ذريتهم، وغنم أموالهم، كانوا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصلون ويقرأون القرآن ويحجون ويصومون، فلم تنفعهم، لأنهم لم يعملوا بمقتضاها، لما امتنعوا من دفع الزكاة إلى أبى بكر الصديق ومعناها أن يشهد قائلها على نفسه قولا واعتقاداً وعملاً أنه لا يعبد إلا الله ويتبرأ من عبادة غيره، ويحب في ذلك ويبغض فيه ويوالى ويعادى عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل لا إله إلا الله، أ هـ.

سورة الفتح

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الآية ٢٦

قال (ك) وقوله عز وجل: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ وذلك حين أبوا أن يكتبوا ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾، قال « لا إله إلا الله » ﴿ **وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر، أ هـ.

فصل

قال **محمد تقى الدين، فائدة،** قوله وذلك حين أبو أن يكتبوا ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، بيان ذلك أن النبى ﷺ، توجه إلى مكة ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين العمرة بعدما رأى الرسول في المنام أنه دخل مكة ومعه أصحابه آمنين، لم يلقوا حرباً، فما وصل إلى الحديبية، هى موضع قريب من مكة غضب أهل مكة وخرجوا إليه بالسلاح، فأخبرهم النبى ﷺ، أنه لم يجئ لقتالهم، وإنما جاء معتمراً، فمنعوه من دخول مكة، وبعد مفاوضات طويلة، اتفق معهم على الصلح، وهذا الصلح هو الفتح المبين الذى ذكره الله تعالى بقوله ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ فلما أرادوا أن يكتبوا معاهدة الصلح، قال النبى ﷺ، لكاتبه اكتب ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل لا نعرف ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ولا نعترف أنك رسول الله، ولو اعترفنا لك بذلك ما صددناك

عن بيته، اكتب باسمك اللهم، واكتب اسمك واسم أبيك، هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، فحلم عليه النبى ﷺ، وكتب كما يريد سهيل بن عمرو، لأن الإسلام يربح بالسلم ما لا يربح بالحرب، لأنه دين العقل والفطرة، إذا لم يبدل ولم يغير، فكل من فكر فيه بعقله قبله، ودخل فيه إلا من منعه اتباع الهوى واستكبر وكان من الكافرين.

سورة ق

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) ﴾ الآيات ٢٤- ٢٦

هذا خطاب من الله تعالى للملكين السائق وهو الذى يسوق المشرك إلى العرض، والشاهد وهو الذى يشهد عليه بما كان يقترفه في الدنيا، **قال (ك)** ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾ أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك ﴿ **مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ** ﴾ أي: لا يؤدى ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة، ﴿ **مُعْتَدٍ** ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه ويتجاوز فيه الحد، وقال قتادة معتد في منطقة وسيره وأمره، ﴿ **مُّرِيبٍ** ﴾ أي: شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره ﴿ **الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ أي: أشرك بالله فعبد معه غيره، ﴿ **فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** ﴾.

وقال الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدري عن النبى ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة، بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير نفس، فتنطوى عليهم، فتقذفهم في غمرات جهنم » .

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة قوله تعالى ﴿ **فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** ﴾ توكيد لما تقدم، وكل من عبد غير الله من أهل العالم العلوى والعالم السفلى وإن زعم أنه يتبرك به، فقد اتخذ

مع الله إلها آخر، انظر الباب الثامن من سورة الأعراف.

سورة الذاريات

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ ﴾ الآيات ٤٧ - ٥١

قال (ك) يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿ **وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا** ﴾ أي: جعلناها سقفا محفوظا رفيعا ﴿ **بِأَيْدٍ** ﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس وغيره ﴿ **وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿ **وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا** ﴾ أي: جعلناها فراشا للمخلوقات ﴿ **فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ** ﴾ أي وجعلناها مهادا لأهلها ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ** ﴾ أي: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنبات، ولهذا قال تعالى: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** ﴾ أي الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه ﴿ **إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ أي: لا تشركوا به شيئا ﴿ **إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: من لم يفر إلى الله فقد فر من الله، ومن فر من الله يدركه لا محالة، فإنه لا يفوته هاربه ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ**

(١) سورة العنكبوت

وَلا نَصِيرٍ ﴾ اللهم اجعلنا ممن فر إليك يا رب العالمين، فآويته ونصرته وأسعدته في دنياه وآخراه.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾
الآيات ٥٦- ٥٨

قال (ك) يقول جل جلاله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ أي: إنما خلقتهم لامرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، روى ح، د، ت، ن، عن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾، ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم.

فصل

قال محمد تقي الدين: جعل الله سعادة البشر وسائر المخلوقين من العقلاء في عبادته وحده لا شريك له، وجعل شقاء من شقي منهم في الشرك به والكفر به وبرسله، وارتكاب معصيته، وجعلهم فريقين فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، نسأل الله أن يجعلنا ممن وحده واتبع رسوله، والعبادة لا تقبل إلا بالتوحيد، وقد تقدم بيان ذلك وسيأتي إن شاء الله، أ هـ.

سورة الطور

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ ﴾ الآيتين: ٣٥-٣٦

قال (ك) هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألهية فقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ أي أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم أي لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا قال البخاري بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ كاد قلبي أن يطير، ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ أي أهم خلقوا السموات والأرض ؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك، أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: إن الذين يقولون، أن العالم مخلوق من غير خالق، وموجود بغير موجد، وصنعة متقنة بلا صانع، فئة قليلة من البشر، وهم أضل من البقر، ولا يحاولون إقناع الناس بالحجة والبرهان العقلى، بل يشهرون السيف في وجوه العوام، ويقهرونهم بالنار والحديد، ويحرمون عليهم التفكير بعقولهم، حتى يجعلوهم بباغاوات، يمدحون ما لا يعلمون، ويذمون ما لا يعلمون، وكل عاقل لا يريد أن يخادع نفسه، ولا أن يخادع الناس لا يستطيع أن يتصور فضلاً عن أن يصدق أن هذا العالم موجود بلا صانع، وأن صانعه الطبيعة الصماء البكماء العمياء، التى ليس لها علم ولا إرادة، ولا اختيار، ولما رجعت إلى المغرب بقصد الاستقرار فيه بعد الثورة الأولى في العراق، وما ارتكبه الشيوعيون هناك من الغشم وإراقة الدماء، بدون تمييز، دعتنى إدارة مجلة دعوة الحق التى نشر مقالات فيها لإنقاذ الشباب، وبعض الكهول مما وقعوا فيه من الخبط في العقائد فعمدت إلى كتاب «الإنسان لا يقوم بنفسه » Man doesnot –stand alone تأليف رئيس المجمع العلمى في الولاية المتحدة سابقا، الاستاذ الدكتور كريسي موريسن، وترجمته بالعربية، وشرحته وعلقت عليه، ونشرته في أربع وعشرين مقالة في دعوة الحق، وسأذكر هنا منه دليلاً واحداً بدأ به المصنف مقدمة كتابه، وأحيل القارئ على مطالعة هذا الكتاب، أصله الانكليزى، أو ترجمتى له،

وقد طبع في بيروت باسم الطريق إلى الله[١] ودونك المثال.

قال المؤلف المذكور في أول الكتاب، افترض إنك أخذت عشرة أفلس، وكتبت على كل واحد رقما مبتدأ من واحد إلى عشرة، ثم وضعت الأفلس العشرة في كيس، ثم هزت الكيس هزاً عنيفاً حتى اختلطت الأفلس بعضها ببعض، ثم أردت أن تخرج تلك الأفلس على أن تصادف يدك عند إدخالها الكيس في المرة الأولى، الفلس المرقوم بواحد، وفي المرة الثانية الفلس المرقوم برقم اثنين، وفي الثالثة الفلس المرقوم برقم ثلاثة، وهكذا إلا آخرها على الترتيب، فكم يكون حظك من النجاح في المرة الأولى أن تصادف الفلس المرقم برقم واحد، يكون عشرة في المائة، وفي المرة الثانية الفلس المرقم برقم اثنين، على التوالى يكون واحداً في المائة، فإن أردت أن تدخل يدك في الكيس ثلاث مرات متوالية، وتصادف المرة الأولى الفلس المرقوم برقم واحد، وفي المرة الثانية الفلس المرقوم برقم اثنين وفي المرة الثالثة الفلس المرقوم برقم ثلاثة، فإن حظك من النجاح يكون واحداً فى ألف، وإن أردت أن تصادف الأول والثانى والثالث والرابع على التوالى، فإن حظك من النجاح يكون واحداً من عشرة آلاف، وقس على ذلك إلى العاشر، فإن حظك من النجاح أن تصادف يدك الفلس المرقوم برقم واحد، إلى الفلس المرقوم برقم عشرة، على التوالى يبلغ رقماً لا يتصوره العقل، وهو واحد من عشر ملايين.

والغرض من ضرب هذا المثل السهل الإدراك أن نبين مقدار استحالة قول من يزعم أن هذا العالم تم خلقه وتدبيره بالمصادفة، فإن هناك شروطاً لازمة لوجود الحياة على أرضنا هذه، وهذه الشروط لا يمكن أبداً من الوجهة الحسابية أن توجد كلها بالنسب المطلوبة بالمصادفة المجردة على أي: أرض في أى زمان، لذلك يتحتم أن يكون وراء الطبيعة كائن عالم مدبر، إذا علمت ذلك، وهو حق، تعلم يقينا أن خلق هذا العالم مقصود ومقرر قبل وجوده تقديراً دقيقاً.

(١) الطريق إلى الله هو جزء منه وقد طبع برمته في الدار البيضاء ونسخه موجودة تباع.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الآية: ٤٣

قال (ك) ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

فصل

قال محمد تقي الدين: تقدم في مواضع أخرى أن معنى إله معبود، ولذلك كان مفتاح الإسلام ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ فقائلها بالصدق يشهد على نفسه ويعاهد ربه أنه لا يعبد إلا الله، ولكن أكثر من يقولها في هذا الزمان لا يعرفون معناها ولا يفركمون فيه، ولا يبحثون عنه، فتكون أقوالهم وعقائدهم وأفعالهم مضادة للا إله إلا الله، ويكونون أعداءها وهم لا يشعرون، فالمغربى حين يقول « يا فكاك الوحائل يا مناع الرحايل، يا غياث أصحابه في الضيقات، يا مولاى عبد القادر الجيلاني » معناه يا من ينقذ من استغاث به في الشدائد ويغيث من التجأ إليه عند الضيق يا مولاى يا عبد القادر الجيلانى، فهذا يهدم لا إله إلا الله ويقضى عليها قضاء تامًا، لأن تلك الصفات التى جعلها أولئك الجهال لعبد من عباد الله هى خاصة بالله تعالى، فمن جعلها لغيره فقد كفر به، انظر الباب الثالث من سورة النمل.

سورة النجم

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية ٢٢

قال (ك) : يقول تعالى مقرعا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ** ﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، وقال البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿ **اللاَّتَ وَالْعُزَّى** ﴾ «كان اللات رجلا يلت السويق للحاج»، **قال (ج)** : وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والمدينة والطائف كانت قريش يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » ، وروى (خ) بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » ، فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية، وروى (ن) بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي: بئس ما قلت ! قلت هجرا فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: « قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفث عن شمالك ثلاثا، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد » وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وروى البخاري عن عائشة نحوه، وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها، قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده: فكانت لقريش ولبني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يـا عـزى كفرانـك لا سـبحانك إنـي رأيـت الله قـد أهانـك

ثم قال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى ﴾ أي أتجعلون له ولدا وتجعلون ولده أنثى وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ أي جورا باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة، التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها وقال تعالى منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ أي من تلقاء أنفسكم ﴿ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ أي من حجة ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم، الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ﴿ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاءهم به ولا انقادوا له، ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾ أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له، وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ﴾ أي إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا والآخرة فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: الحلف بغير الله من الشرك، قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك » ، رواه «أ » «ت » عن ابن عمر واسناده حسن، وقال النبي ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » ومتى فشا ظلام الشرك في قوم وغاب عنهم نور التوحيد كثر فيهم الحلف بغير الله، فإذا تاب الواحد منهم من الشرك تبقى فيه عادة الحلف بغير الله، ويجرى على لسانه دون أن يقصده، فمن وقع له مثل ذلك فكفارته أن يقول لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويجتهد أن لا يعود إلى ذلك، فإن كان صادقاً لا تمر عليه إلا مدة قليلة حتى

تزول عنه تلك العادة، ويتعود الحلف بالله وحده، كما وقع لأصحاب رسول الله ﷺ، وكذلك الذى اعتاد أن يهتف باسم شيخ عند قيامه وقعوده، وعند ما يصيبه فزع إذا تاب من الشرك يعود نفسه ترك ذلك، وإذا جرى لسانه بذلك بدون قصد يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك الذى اعتاد أن يقول لولا الله وفلان لوقع كذا وكذا إذا تاب من الشرك يعود نفسه أن يقول لولا الله ثم فلان، أ هـ.

وقول النبى ﷺ: « من قال لصاحبه تعال أقامرك دون أن يقصد القمار يتصدق بما يسر الله له فتكون تلك الصدقة كفارة لذلك القول وزجراً عن العود لمثله » وقولهم قلت هجراً، الهجر الكلام القبيح.

فائدة ثانية: قال محمد تقى الدين: من سوء حظنا في هذا الزمان إننا نرى أوثانا لها بيوت وأفنية يذبح لها ويطاف بها، وتقبل ويتمسح بها بقصد التبرك أكثر مما كان عند العرب، ونحن عاجزون عن هدمها، لأن عبادها لا يزال عددهم كثيراً، ولكننا نستطيع القضاء عليها إذا وفقنا الله تعالى بدعوة الناس إلى هجرها والكفر بها، فيطول عليها الزمان فتتهدم من تلقاء نفسها، ويستريح الناس من شرها.

سورة المجادلة

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الآية ٢٢

قال (ك) : يقول تعالى ﴿ لا تَجدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ أي: لا يوادون المحادين

ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى: ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾ (١) الآية، وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة ﷺ: ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وقيل في، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿ أَوْ أَبْنَاءهُمْ ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم، قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر: لا رأى ما رأى يا رسول الله هل تمكنني من فلان قريب لعمر فأقتله وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم أنه ليس في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها و، قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أي: من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي: ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أي: قواهم، وقوله تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم و، قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: هؤلاء حزب الله أي: عباد الله وأهل كرامته و، قوله تعالى:

(١) آل عمران.

﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والاخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان، ثم قال: ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته إلي ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ » قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: أن تحقيق التوحيد الذى دلت عليه لا إله إلا الله عزيز الوجود كالكبريت الأحمر، وله شروط:

أولها: أن يوحد العبد ربه في ربوبيته وألوهيته، وهى: العبادة، فلا يجعل من عبادته لغير الله مثقال ذرة أو أقل من ذلك.

ثانيهما: أن يكفر بعبادة غير الله ولو كانت للأنبياء والملائكة.

الثالث: أن يتبرأ من المشركين بصريح العبارة، فإن لم يقدر فبقلبه مع اجتهاده في الهجرة إلى بلد يمكنه فيه التصريح بذلك.

الرابع: أن يعادى المشركين في الدين.

الخامس: أن يحب الموحدين ويواليهم ويتعاون معهم في إعلاء كلمة الحق، وهذه الشروط الخمسة لا تقبل منه إلا إذا ضم إليها شهادة أن محمداً رسول الله ولها شروط:

أولها: أن يقول بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثانيها: أن يعرف معنى الشهادتين.

ثالثها: أن يعرف الضرورى مما جاء به الرسول ﷺ، وهو كل ما فرض الله عليه في الإسلام.

رابعها: أن لا يرد شيئاً مما جاء به النبى ﷺ.

خامسهاً: أن يرد كل نزاع مع غيره إلى كتاب الله وسنة رسوله.

سادسها: أن يرضى بحكم الكتاب والسنة، ولو كان فيه قتله وقتل أعز الناس عنده.

سابعها: أن لا يجد في ذلك حرجاً أو كراهية في نفسه، والله الموفق.

سورة الحشر

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآيات: ٢٢-٢٤

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وأنه عالم الغيب والشهادة أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات و، قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والاخرة ورحيمها، ثم قال تعالى: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ** ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى: ﴿ **الْقُدُّوسُ** ﴾ معناها: الطاهر، و قوله تعالى: ﴿ **الْمُؤْمِنُ** ﴾ أي: الذي آمن من شاء من عباده من الخوف، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **الْمُهَيْمِنُ** ﴾، أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله ﴿ **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **الْعَزِيزُ** ﴾ أي: الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى: ﴿ **الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ** ﴾ أي: الذي لا يليق الجبروت إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم، وفي الصحيح: « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته » ، ﴿ **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ الخلق التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل.

قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت بعض القوم يخلق، ثم لا يفري

أي: أنت تنفذ ما خلقت أي: قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع أن ينفذ ما يريد وقوله تعالى: ﴿ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ أي: إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ﴾ لهذا قال المصور أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، وقوله تعالى: ﴿ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾، في الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ، أن لله تعالى تسعة وتسعين أسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر، وذكر الترمذي الأسماء التسعة والتسعين.

فصل

قال محمد تقى الدين: وقد نظمها العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالى في قصيدة يقول في أولها:

إذا نابني خطب وضاق به صدرى تلافاه لطف الله من حيث لا أدرى

ولا سيما أن جئته متوسلاً بأسمائه الحسنى المعظمة القدر

فيا الله يا رحمان إنى لذو فقر وأنت رحيم مالك الخلق والأمر

بقدسك قدوس سلام ومؤمن مهيمن قدسنى لدى السر والجهر

عزيز وجبار ويا متكبر ويا خالق الخلق اكفنى أزمة الدهر

ويا بارئ مالى سواك مصور وغفار يا قهار جبراً لذى كسر

وهى مشهورة موجودة في المغرب، وقد ذكرتها بتمامها في آخر القسم الثالث من هذا الكتاب، وكذلك القصيدة الضمياطية تشتمل على أسماء الله الحسنى والتوسل بها

إلى الله تعالى، ولكل صفة خاصة بها فالقصيدة الهلالية أقل دعاء وأفصح لفظا وكل بيت منها يشتمل على أربعة أسماء أو أكثر، وأما الضمياطية فألفاظها ركيكة ونظمها غير جيد، إلا أن كل بيت منها لا يزيد على اسمين والباقي كله دعاء أولها بعد المقدمة.

مـــن الله أرجـــو أمـــن قلـــب تـــوجلا فبـــالأمن يـــا رحمـــان لا تبـــق مـــوجلا

وكـــن يـــا رحـــيم راحمـــا ضـــعف قـــوتى ويـــا مالـــك كـــم لى مـــلاذا ومـــوئلاً

ومن العجيب عند المغاربة وما أكثر عجائبهم أنهم يعتقدون أن من قرأها وأكثر قراءتها يصاب بالجنون لأن لكل بيت منها خاصية، وخداما من الجن يقضون حاجة من دعا به، ولكن قل من يتغلب عليهم فيستجيبون له ويخدمونه، وأكثر من يحاول التغلب عليهم يهزم ويصاب بالجنون، حتى أن سكان الجزائر إذا رأوا شخصاً من حفاظ القرآن لم تعجبهم حاله يقولون هذا مضميط، يعنون أنه فقد عقله بكثرة قراءة الضمياطية، والمغاربة ليسوا كاذبين فيما زعموا، فإن من قرأها للسحر واستخدام الجن يصاب بالجنون والوسوسة وتجيئه خيالات تفتنه وتفسد عقله.

أما من قرأها لله وتوسل إليه سبحانه بالأسماء الحسنى التى تضمنتها فإنه يرى خيراً كثيراً، والتوسل الصحيح المطابق لأدعية الكتاب والسنة الصحيحة إنما يكون بأسماء الله وصفاته، كما تقدم وكقول النبى ﷺ، «أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك » إلى آخره وهو دعاء مشهور دعا به النبى ﷺ عند رجوعه من الطائف، وأوله. «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى » .

وبالأعمال الصالحة كما في حديث أصحاب الغار الذين توسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأفضل أعماله وهو في البخاري.

وأما التوسل بالأشخاص والإقسام بهم على الله تعالى فهو بدعة، أنظر كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وأما حديث الأعمى الذى يتشبث به المخالف فلا حجة فيه لأن النبى ﷺ، دعا له وشفع له عند الله، يضاف إلى ذلك أن الحديث ضعيف، انظر كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، للشيخ بشير السهسوانى الهندي رحمه الله، وقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ

السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ فلا يرام جنابه ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في شرعه وقدره

سورة الممتحنة

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ الآيات: ١ - ٦

قال (ك) كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة، قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضا، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال « اللهم عم عليهم خبرنا » ، فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته، رواه الجماعة إلا ابن ماجه بسندهم عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة قلنا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا ؟ قال: لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ: إنه صدقكم » ، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: « إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾ ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب مما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد، وقال الإمام أحمد بسنده عن حذيفة قال: ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً قال: « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا لهم إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » ، و قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم، وعدم موالاتهم، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم من ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي ﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم، وقوله تعالى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالوكم بالمقال والفعال ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: ويحرصون أن لا تنالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كامنة ظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ تهييج على عداوتهم أيضا، وقوله تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ ﴾ عند الله إذا أراد الله بكم سوءا ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم، فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا من نبي من الأنبياء قال الإمام أحمد بسنده عن أنس أن رجلا قال:

يا رسول الله أين أبي ؟ قال « في النار » فلما قفى دعاه فقال « إن أبي وأباك في النار » ، وقوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ إلى آخره، **قال (ك)** يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكفار وعداوتهم ومجانبتهم والتبرؤ منهم ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ ﴾ تبرأنا منكم ﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: بدينكم وطريقكم ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم، فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ أي: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان ﴿ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لابائهم الذين ماتوا على الشرك، ويستغفرون لهم، ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة أي: في الاستغفار للمشركين، ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أي: توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير أي: المعاد في الدار الاخرة ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ معناه لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق

ما أصابهم هذا، وقوله تعالى: ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ ﴾ أي: الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك، ثم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ وهذا تأكيد لما تقدم، ومستثنى منه، ما تقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هي الأولى بعينها وقوله تعالى: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد و، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ والغني هو الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء، وليس كمثله شيء سبحانه الله الواحد القهار، والحميد المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: قصة حاطب بن أبى بلتعة تدل على بعد نظر النبى ﷺ، وسعة حلمه وكرمه، فإنه غفر لهذا الرجل هذه الخطيئة مع شدة خطرها، لأنها سيئة واحدة تقابلها حسنات كثيرة، وأعظمها كونه من أهل بدر قال الشاعر وأجاد:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

على أن الله سبحانه كفا نبيه والمؤمنين شر هذه الخطيئة، فإنه أطلع نبيه عليها فأرسل الفرسان الثلاثة، وجاؤوا بالكتاب، فبقى أهل مكة في غفلة حتى أخذوا على غرة، والنبى ﷺ، أحلم الناس وأحزمهم، والجمع بين الحلم والحزم هو الكمال.

فائدة ثانية: قال محمد تقى الدين: من والى العدو، فهو عدو قال الشاعر:

تحب عدوى ثم تزعم أننى صديقك أن الحب عنك لعازب

ولا يتم توحيد أحد ولا يكون مخلصا دينه إله حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويوالى لله ويعادى لله، ولا يداهن أحداً من المشركين، بل يعلن لهم عداوته لدينهم وتبرؤه منه وقد وضح الله ذلك بقوله ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ ﴾ أى اقتداء في إبراهيم والذين معه ﴿ إِذْ قَالُوا

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فمن أقر أهل الشرك على شركهم فهو مشرك، وإن كان يعتقد بطلان الشرك وصحة التوحيد، ألا ترى أن الله سبحانه سمى علماء اليهود مؤمنين بالطاغوت، لما استحسنوا ما عليه المشركون حين ذهبوا إلى مكة ليحرضوا أهلها على قتال النبي ﷺ، فسألهم أهل مكة أينا أهدى سبيلاً نحن أم محمد، فقال علماء اليهود أنتم أهدى سبيلاً، فأنزل الله تعالى فيهم من سورة النساء ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ ولم يكن اليهود يؤمنون بطاغوت أهل مكة، ولكن لما أقروهم على ذلك سماهم الله مؤمنين به، هذا في الموالاة في الدين، وأما المعاملة في أمور الدنيا كالبيع والشراء ونحوه فجائزة، ومعاملة المعاهدين بالعدل والبر جائزة، لقوله تعالى في هذه السورة ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وقال تعالى في المائدة ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الآيتان: ١٢، ١٣

قال (ك) قال البخاري بسنده عن عائشة «أن رسول الله ﷺ » كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴾ قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ، قد بايعتك كلاما ولا مصافحة والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط، ما يبايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك، وروت «ت » و«ح » و «ن » عن أميمة بنت رقية قالت «أتيت النبى ﷺ في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً، الآية، وقال فيما استطعتن وأطقتن، قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا قال إنى لا أصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة».

قال محمد تقى الدين: وقد ثبت في الحديث «أن النبى ﷺ » ، أخذ العهد على النساء زيادة على ما في القرآن أن لا يخن ولا يغششن أزواجهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وفسر النبى ﷺ، غش المرأة زوجها أن تأخذ من مال زوجها وتحابى به غيرها.

وعن هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان « أنها قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه، فقال رسول الله ﷺ، خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك، «م » وقوله تعالى ﴿ **وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ** ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما يفعله بعض الجاهلات من النساء تمنع نفسها بدواء أو غيره لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** ﴾ أى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، ويشهد لهذا الحديث الذى رواه أبو داود عن أبى هريرة «أنه سمع رسول الله ﷺ » يقول: حين نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه، وفضحه على رؤس الأولين والآخرين.

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ** ﴾

قال (ك) ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ يعنى اليهود

والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿ **كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ** ﴾ أي: كما يئس الكفار الأحياء من قرابتهم الذين في القبور، أن يجتمعوا بهم بعد ذلك، لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً فقد انقطع رجاؤهم منهم فيها يعتقدونه، أ هـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: جعل الحافظ (ك) قتل الولد بعد الولادة كقتله وهو جنين في بطن أمه، وبقى لنا أن نعرف ما حكم قتله وهو نطفة، والجواب والله أعلم أن إفساد النطفة إن كان للمحافظة على صحة الوالدة أو حفظ حياتها أو على صحة الأولاد كأن تكون مغايلة تلد في كل سنة ولداً وليس لها من يعينها على تربيتهم فيجوز لها أن تشرب دواء منع الحمل [1] حتى ترضع ولدها سنتين، وبعد ذلك يحرم عليها أن تشربه، أما من يفعل ذلك لضيق المعيشة فهو فاسق آثم، لا يؤمن بأن الله لا يخلق مخلوقاً إلا وقد اعد له رزقه، وقد ألفت في ذلك جزءاً سميته الكواكب الدرية في حكم تحديد الذرية والسلامة من الأمراض المعدية، وأبطلت كل حجة يحتج بها المخالفون، وحسبهم دليلاً على بطلان مذهبهم ما رواه مسلم والخمسة عن جذامة بنت أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ، في ناس وهو يقول: « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً»، ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الوأد الخفي، وهو الموءودة الصغرى»، أ هـ.

قال **محمد تقي الدين،** والوأد الجلي هو دفن البنت وهي حية، وكانت العرب تفعل ذلك خشية أن تكبر وتزني فيلحقهم عارها.

وتأمل تقديم عدم الشرك بالله على السرقة والزنا وقتل النفس والبهتان تزدد يقينا أن التوحيد هو كل شيء، وبدونه لا يقبل شيء، وأن الشرك هو الذنب الأكبر الذي لا يغفر.

---

(١) رجعت عن هذا وأنا أعتقد أنه لا يجوز لها شرب الدواء لهذا الغرض.

فائدة ثانية: تأمل نهى الله تعالى عن موالاة الكفار في الآيات الأولى من هذه السورة ثم ختمه السورة بذلك تعلم أن من لم يتبرأ من الشرك وأهله لا يكون موحداً.

سورة الصف

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الآيات ٧- ٩

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ** ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾ أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ أ هـ، وقد تقدم الكلام على هاتين الايتين في سورة براءة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم في هذا الزمان، أصناف: **أولهم** المرتدون الذين كفروا بالله تقليداً لدعاية كاذبة خاطئة وهذه الدعاية شائعة في البلدان التى كان أهلها متمسكين بالإسلام في الأزمنة الغابرة في آسيا وإفريقيا، وحاصلها أن الإسلام إن كان صالحاً فى الزمن الماصى لترقية الشعوب وأخذ نصيبها من القوة المادية وتحصيل المعيشة السعيدة، والسايدة الكاملة، فإنه في هذا الزمان لا يتفق مع الأخذ بأسباب

الحضارة والرقى، فكل أمة تمسكت به تبقى متأخرة تسير إلى الوراء، ولا تكاد تدرك شيئاً من الحضارة العصرية، فإذا قيل لهم وما دليلكم على هذا، يزعمون أن الأوربيين تركوا دينهم وتقدموا، فلا يمكن أن نتقدم إلا إذا سلكنا سبيلهم، فنقول لهم أولا نحن لا نسلم أبداً أن الأوربيين تركوا دينهم، فإنهم لا يزالون متمسكين به، ولا نكلفكم إن تذهبوا إلى بلادهم لتعلموا أنكم كاذبون، بل نرشدكم إلى أدلة في بلادكم، فعدوا الإرساليات والكنائس التى في بلادكم للطوائف المختلفة من النصارى تجدوها كثيرة، فيها رجال ونساء قد تغربوا عن أوطانهم وتحملوا الشدائد والأخطار في سبيل نشر دينهم، وقد سمعتم عدد من قتل منهم في كونكو، ولا حاجة بكم إلى أن تبحثوا عن جهودكم في البلاد الأخرى، فحسبكم ما يصنعون في بلادكم، وما أسسوه من الوسائل الطبية والتعليمية، ولكنكم تكذبون وتغالطون وتقلدون، ثم انظروا إلى الحرب القائمة في أرلندا بين الكاثولكيين والبروتستانيتين منذ سنين ولا سبب لها إلا الاختلاف في الدين.

على أن دينهم وإن كان لا يصلح للحضارة فإن ديننا ليس كدينهم، والعالم كله يشهد بعظمة الحضارة التى أسسها المسلمون في العصور التى كان الإسلام فيها قوياً عزيزاً، وحسبكم أن الإسلام في أواخر زمانه تصارع مع الصليب في الحروب الصليبية مدة مائة وتسعين سنة، فانهزم الصليبيون أمامه مع كثرة عددهم وعددهم، وسيقول المقلدون لأعداء الإسلام هذا بكاء على الأطلال، أرونا ما صنع الإسلام في هذا الزمان، أقول لهم كما قلت من قبل أوجدوا لى إسلاماً ـ أعطكم كل ما تريدون من قوة وعظمة وتقدم في جميع الميادين، فهل تريدون من المسلمين أن يقوموا من قبورهم ليدافعوا عنكم ويبنوا لكم حضارة جديدة ؟ وقد جربتم الكفر التقليدى مئات السنين، فجربوا الإسلام سنة واحدة إن كنتم صادقين.

وثانيهم: المدعون للإسلام بألسنتهم مع عدم تطبيقه لا عقيدة ولا عبادة ولا حكما فهؤلاء يدعون الإسلام بأقوال مجردة.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها ... بينات أبناؤها أدعياء

وثالثهم: الأعداء الخارجيون وهم المتعصبون من النصارى في أوربة وأمريكة، والمتعصبون من الوثنيين في الهند وغيرها من الأمم الوثنية، ونحن نسمع المذابح التى تجرى

على المسلمين في أنحاء الهند وفي فلبين وفي أريتريا.

رابعهم: علماء السوء، الذين باعوا دينهم بدين غيرهم، وكتموا الحق وغشوا شعوبهم جريا وراء الحطام، فضيعوا الدين ولم يدركوا الدنيا، وهذه الأصناف تبذل جهودها لإطفاء ما بقى من نور الإسلام، وليس الإسلام بملوم، لأنه قد أسعد من تمسك به وخلف كنوزاً عظيمة من الآثار والعلم والمعرفة التى لا يجحدها إلا من يجحد الشمس المشرقة في يوم الصحو ومضى حميدا.

تلـــك آثارنـــا تـــدل علينـــا فـــانظروا بعـــدنا إلى الآثـــار

سورة التغابن

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الآية: ١٣

قال (ك) يخبر تعالى أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره، وقال تعالى: **﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾** فالأول خبر عن التوحيد ومنعاه معنى الطلب أي: وحدوا الآلهية له وأخلصوها له وتوكلوا عليه كما قال تعالى: رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا.

فصل

قال محمد تقى الدين فائدة: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ تدل على التوحيد بأنواعه ومن أعظم ثمرة التوحيد التوكل على الله في جلب الخير ودفع الشر، ومن توكل على مخلوق وكله الله إليه، فتأمل قول النبى ﷺ: « من تعلق شيئاً وكل إليه »، أتفهم هذا المعنى، فإن من تعلق تميمة أو حلقة من صفر يريد بذلك الشفاء منمرض واقع والتحصن به دفعا لوقوعه فقد أشرك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد ما نصه باب ما جاء في الرقى والتمائم في الصحيح عن أبى بشير الإنصارى « أنه كان مع رسول الله في بعض

أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت » وعن ابن مسعود قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه «أ » و «د » ، وعن عبد الله بن حكيم مرفوعاً « من تعلق شيئاً وكل إليه » ، رواه «أ » و «ت » عن سعيد بن جبير قال: « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع، وله عن إبراهيم قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن، وعن عمران بن حصين، «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من الواهنة،، فقال انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً » رواه «أ » والواهنة، قال أبو السعادات، الواهنة عرق يأخذ من المنكب، وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ في العضد، وهي: تأخذ الرجال دون النساء نهى عنها، لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم وفيه اعتبار للمقاصد.

سورة الطلاق

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ ﴾ الآية ٢

قال (ك) ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله، وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو علي الاية ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ حتى فرغ من الآية ثم قال: « يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم، قال فجعل يتلوها ويرددها علي حتى نعست ثم قال: يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من مكة ؟ قلت إلى السعة والدعة، إلى الشام والأرض المقدسة، قال وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام ؟ قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي قال: أو خير من ذلك، قلت: أو خير من ذلك ؟ قال: تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً»، وفي المسند عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ، «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب »

فصل

قال محمد تقى الدين: التقوى امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، وأعظم ما أمر الله به توحيده، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك به، فلو امتثل الإنسان جميع الأوامر إلا التوحيد، واجتنب جميع النواهي إلا الشرك، لكان من الخاسرين، وقد تقدمت الأدلة على ذلك.

سورة القلم

الباب الأول

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الآيات: ٤١ - ٤٣

قال (ك) ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء** ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ** ﴾ لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع، وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ يعنى: يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام، وقد روى البخاري ومسلم بسندهما عن أبى سعيد الخدرى قال: «سمعت النبى ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا، وقوله تعالى: ﴿ **خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ** ﴾ أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه لما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب عز وجل، فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكفار والمنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر على قفاه عكس السجود، كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون.

فصل

قال محمد تقى الدين: يلبس إبليس على المشركين في الدنيا ويلعب بهم، فيزعمون أن شركاءهم وأولياءهم يقضون حاجاتهم حين يستغيثون بهم، ولكن الله تعالى يفضحهم يوم القيامة، ويظهر كذبهم، فيقول لهم: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ فلا يجدون شيئاً، ويجللهم الخزى والعار، ويتبرأ منهم إبليس، فيندمون، ولات ساعة مندم وحديث «يكشف الله عن ساقه تلقاه الصحابة والتابعون بالقبول والتسليم مع تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين » ورده الجهمية المعطلون فيخشى عليهم أن يدعوا إلى السجود فلا يستطيعون.

سورة نوح

الباب الأول

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا

﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الآيات من ١ – ٢٥

قال (ك) يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى ﴿ **أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ أي بين النذارة ظاهر الأمر واضحه ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ** ﴾ أي: اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ﴿ **وَأَطِيعُونِ** ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿ **يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ** ﴾ أي: إذا فعلتم ما آمركم به، وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم.

قال (ج) من ههنا بمعنى عن، تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم، ﴿ **وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ أي يمد في أعماركم، ويدرأ عنكم العذاب الذى إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم، وقد يستدل بهذه الآية من يقول أن الطاعة والبر وصلة الرحم يزداد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث، «صلة الرحم تزيد في العمر » ، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر تعالى يكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذى قد قهر كل شيء، العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات، وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي** ﴾ «إلى قوله تعالى » ﴿ **لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا** ﴾.

قال (ك) يخبر تعالى عن عبده ورسوله، عن نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لاقى من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاما، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال: ﴿ **رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا** ﴾ أي لم أترك دعاءهم في ليل ونهار امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك ﴿ **فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا** ﴾ أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ** ﴾ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ ﴿ **وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ** ﴾ أي: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول ﴿ **وَأَصَرُّوا** ﴾ أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع ﴿ **وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** ﴾ أي استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا** ﴾ أي جهرت بين الناس ﴿ **ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ** ﴾ أي كلاما ظاهرا بصوت عال ﴿ **وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾ أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجح فيهم ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾ أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ولهذا قال: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴾ أي متواصلة الأمطار، وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الاية ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴾ ثم قال: فقد طلبت الغيث بمخارج السماء التي يستنزل بها المطر، وقوله تعالى: ﴿ **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿ **مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾ أي: لا تعظمون الله حق عظمتة أي لا تخافون من بأسه ونقمته ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ قيل معناه

من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ أي: واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع، وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ أي: فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما نموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها وقدر للقمر منازل وبروجا، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ هذا اسم مصدر والإتيان به ههنا أحسن ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ أي إذا متم ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية فهو الخالق الرزاق، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عديل ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ إلى قوله ﴿ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴾، قال (ك) يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام إنه أنهى إليه وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء أنه من البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ أي عظيماً باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق كما يقولون لهم يوم القيامة ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، قال البخاري بسنده عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب تعبد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل

وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا** ﴾ يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً** ﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿ **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به.

وقوله تعالى ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا** ﴾

قال (ك) يقول تعالى: ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ** ﴾ وقرىء خطاياهم ﴿ **أُغْرِقُوا** ﴾ أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿ **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** ﴾ أي: نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿ **فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا** ﴾ أي: لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله.

فصل

قال محمد تقي الدين: فائدة: قوله وقد يستدل بها على زيادة العمر، كما جاء في الحديث، «صلة الرحم تزيد في العمر» الذي عليه المحققون، وبه نطق كتاب الله، أن العمر الذي قدره الله تعالى لكل إنسان لا يزيد ولا ينقص، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا** ﴾، وفي الحديث الصحيح أن الله تعالى يأمر الملك أن يكتب رزق الإنسان وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وفق ما علمه الله تعالى في الأزل والبداء مستحيل على الله تعالى وكل ما جاء

بخلاف هذا وجب تأويله، ورده إلى هذا الأصل، فمعنى الزيادة في العمر أن الله يبارك في عمر الإنسان الذى يعمل الصالحات حتى يعمل في المدة القصيرة ما لا يعمله غيره في المدة الطويلة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

فائدة ثانية: قال محمد تقى الدين: ويمددكم بأموال وبنين كل أمة عم فيها العدل والرحمة فنصرت المظلوم وأكرمت اليتيم وأطعمت المسكين وآمنت الضعيف وسع الله رزقها ونصرها على أعدائها، كما قال النبى ﷺ: وإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم، وهذه قاعدة لا تختلف، وسنة لا تتبدل في كل زمان ومكان، فانظروا إلى أمم زمننا تروا كل أمة يعم فيها العدل والمساواة في الحقوق والواجبات تروها مرزوقة منصورة عزيزة الجانب، سواء كانت في الشرق أم في الغرب، مع اختلاف عقائدها، فإن الله تعالى إنما يعذب الأمم في الحياة الدنيا وفي الآخرة على قدر ما بلغها من العلم، وأقيم عليها من الحجج، أما السعادة الكبرى التى تكون في العاجل والآجل فهى خاصة بمن آمن بالله ورسله واتبع من أناب.

فائدة ثالثة: الغلو في قبور الصالحين ومجالسهم وآثارهم يصيرها أوثانا تعبد من دون الله، وهذا الغلو هو أصل عبادة الأوثان والأصنام، روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار « أن رسول الله ﷺ قال **اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » .

قال محمد تقى الدين: يجب علينا أن ننظر في العلاقة التى بين أول الحديث وآخره ما هى فإن مقتضى ظاهر اللفظ أن يقال، اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم عبدوا قبور أنبيائهم واتخذوها أوثاناً فلما قال النبى ﷺ، بدلاً من ذلك اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، علمنا أن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، أي: تحرى الصلاة عندها والدعاء وبناء المساجد حولها أو إلى جانبها يفضى إلى اتخاذها أوثاناً، كما فعل قوم نوح، والآن ينبغى أن ننظر هل استجاب الله دعاء رسوله وحفظ قبره من عبادة المشركين له واتخاذه وثناً أم لا، والجواب: أن الله استجاب دعاءه وصانه بثلاثة جدران، الأول جدار بيت عائشة، الثانى الجؤجؤ المثلث الذى بناه التابعون حتى لا يستطيع الجهال أن يستقبلوا قبر النبى ﷺ، في صلاتهم بعدما أدخل اوليد بن عبد الملك الحجرة النبوية في المسجد ظلما منه

وعدوانا واتباعا لهواه، والجدار الثالث هو البناء المربع الذى بناه بعض الملوك بعد ذلك وإلى ذلك أشار ابن القيم في نونيته بقوله:

ولقد نهانا أن نصير قبره وثنا حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لا يجعل القبر الذى قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

قال النبى ﷺ، من حديث أبى هريرة: « لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » «د » .

وقال سعيد بن منصور في سننه عن الحسن بن الحسن بن على قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا قبرى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء » أنظر شرح النونية وفتح المجيد.

سورة الجن

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ الآيات ١-٦

قال (ك) يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ أي: يهدي إلى السداد والنجاح ﴿ **فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا**

أَحَدًا ﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا** ﴾ أي: عظمته وأمره وقدرته ﴿ **مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا** ﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد أي قالت الجن: تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** ﴾ سفيهنا يعنون إبليس، ﴿ **شَطَطًا** ﴾ أي جورا،، وقوله تعالى ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾ أي: ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمته وخفارته فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم، وقال السدي كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضر أنا فيه، أو مالى أو ولدى، أو ماشيتى، فإذا عاذبهم من دون الله رهقتهم الجن الأدنى عند ذلك.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة، المراد بالجور الذى قاله إبليس أن الله ظلمه حين أمره بالسجود لآدم مع أن إبليس مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، والنار بزعمه أفضل من الطين.

قال محمد تقى الدين: العوذ طلب الحماية ولم يزل الجهال في كل زمان ومكان يخافون الجن ويتملقون لهم دفعا لشرهم، وفي هذا الزمان يعتقد الجهال من المنتمين إلى الإسلام في الشرق والغرب أن الشخص إذا بنى بيتاً جديداً يجب عليه أن يذبح ذبيحة للجن الذين يسكنون في ذلك المكان، ليكفوا عن آذاه، ويأخذ شيئاً من تلك الذبيحة ويطبخه في ماء بلا

ملح ويرش ذلك الماء في جوانب البيت، ولما بنيت بيتا في بغداد وانتهى رئيس البنائين من بنائه قال لى ينبغى أن تسيل عليه الدم قبل أن تسكنه، قلت ولماذا ؟ قال لى ليكف سكان هذه الأرض عن أذاك، فقلت وهل يسكن هذا البيت غيرى مع أهل بيتي، فقال لى نحن نعتقد أن الجن يسكنون تحت الأرض، فقلت لا تظن أنى أبخل عليك وعلى البنائين والعملة بذبيحة وطعام، ولكنى أريد أن أثبت لك أنه لا سلطان للجن على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانهم على الذين يتولونهم، بالذبح والخوف والتعوذ بهم من دون الله، ولذلك سأسكن هذا البيت، وأتحدى الجن أن يجهدوا جهدهم في إلحاق الضرر بى وبأهل بيتى، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وبعد أن أسكن شهراً كاملاً ويظهر له ولأمثاله أن الجن لا يستطيعون أن يؤذوا من يوحد الله حينئذ أذبح ذبيحة وأدعوه مع أصحابه للغذاء، وكذلك فعلت، فلما مضى الشهر الأول، وتبين له فساد اعتقاده دعوته للغداء، وكذلك وقع لى في مكناس حين أردت أن أشترى هذا البيت الذى أسكن فيه الآن، قالت لى المرأة التى كانت هناك، أن سكان هذا البيت طيبون، لا يضرون أحداً، فقلت لها وهل يسكن فيه غيركم، فقالت أقصد الذين تحت الأرض، فضربت الأرض بقدمى فقلت لها إن سمحتم لى بالسكنى معكم فأنا لا أسمح لهم أن يدخلوا بيتى لا فوق الأرض ولا تحت الأرض، فهل يدفعون معى شيئاً من الثمن أو يستأجرون جزءاً من البيت ؟ ! فضحكت المرأة وتعجبت من كلامى، وكان في بلد مغربى لا أسمه سترا على من سأحكى عنه فقيه قاض من كبار القضاة كانت ابنته مريضة فدعا لها ساحراً ليخرج منها الجن ويكتب لها تعويذاً، «حجابا » ليكف عنها أذى الجن فكان يخلو بها في غرفة واحدة ليلاونهارا، وهذا العمل لا يرضى به إلا ديوث جاهل، وكان هذا الفقيه السفيه إذا أراد أن يدخل الحمام يستأجره ساعتين ليلاً ويستخدم شاباً أعمى يناوله الماء ويغسل جسمه ولا يرى عورته، ومن شدة خوفه من الجن كان يناوله الماء ويغسل جسمه ولا يرى عورته، ومن شدة خوفه من الجن كان يتملق لهم عند دخول الحمام ويقول يا سادتى نسألكم الضيافة لوجه الله، ونسألكم أن لا تؤذونا جزاكم الله خيراً، وحاشاكم أن تؤذوا من يستجير بكم، فكان الأعمى يسمع ذلك ويفهمه فإذا جلس الشيخ وشعر بحرارة الحمام واستراح ينصب له الاسطال سطلا فوق سطل حتى

تصير كالبرج، ثم يأخذ السطل الأسفل فتسقط الأسطال وتحدث دويا عظيماً فيصرخ الشيخ.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الآيات ١٤- ٢٢

قال (ك) ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ** ﴾ أي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق والناكب عنه بخلاف المقسط فإنه العادل ﴿ **فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** ﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾ أي وقودا تسعر بهم، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: « أرجحهما » وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿ **لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا** ﴾ أي كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ** ﴾ وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿ **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** ﴾ أي لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم: لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** ﴾ أي: عذابا شاقا شديدا موجعا مؤلما،

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾

قال (ك) يقول تعالى آمراً عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد، ولا يشرك به، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿ وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل، ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أي لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أي: ملجأ أ هـ.

فصل

قال محمد تقى الدين: في هذا الكلام خمسة أمور، الأول أن كل أمة وحدت الله واتبعت رسوله بالاعتقاد والقول والعمل يوسع الله رزقها ويجعل يدها هى العليا، فإذا ارتدت وأشركت بالله وخالفت رسوله يضيق الله عليها الرزق ويعذبها عذاباً أليما في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ الثانى: أن المسجد الحرام الذى كان موجوداً في زمان نزول هذه الآية كان مجتمعا لعبادة الأوثان، وإنما بنى ليعبد الله فيه، وحده لا شريك له، وبذلك يكون عامراً، وهكذا كل مسجد بنى أو يبنى إلى يوم القيامة عمارته التوحيد واتباع السنة، وإن كان من قصب، وخرابة الشرك والبدعة وإن كان من ذهب، فقد جاء في الحديث النهى عن زخرفة المساجد، وجاء فيه أن المسلمين المنحرفين سيزخرفونها كما زخرفتها اليهود والنصارى وفي ذلك خرابها.

الثالث: أن أول داع إلى الإسلام تلبد عليه أعداء الإسلام وتألبوا عليه، وهكذا كل داع يدعو إلى اتباعه في زمان غربة الإسلام.

الرابع: أن النبى ﷺ أمره الله تعالى أن لا يدعو إلا الله ولا يشرك به أحداً، وهو أمر كل من اتبعه إلى قيام الساعة.

الخامس: أن الله تعالى أمره أن يعلن أنه وإن كان أفضل خلق الله لا يملك للناس ضراً ولا نفعاً، أ هـ.

سورة المزمل

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ ﴾ الآيات ٩-١١

قال (ك) ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب لا إله إلا هو، كما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ وكقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ آيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه.

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ يقول آمرا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه أن يهجرهم هجرا جميلا وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ أي رويدا كما قال تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة، الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث جامعة مانعة،

جمعت بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

فقوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ يدل على توحيد الربوبية فرب المشرق والمغرب هو رب الشمس التى تطلع من المشرق وتغرب في المغرب بالنسبة إلى جميع أهل الأرض حتى الأراضى القطبية التى يستمر فيها النهار ثلاثة أشهر عجمية والليل مثل ذلك، لها شرق ومغرب، هذا في الإجمال وفي التفصيل لها مشارق ومغارب، كما قال ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ في سورة المعارج فإن الشمس تطلع في كل يوم من مكان، ولكنها لا تخرج عن المشرق وتغرب في كل يوم مكان، ولكنها لا تخرج عن المغرب فباعتبار التزامها لجهة واحدة في طلوعها وغروبها نقول لها مشرق ومغرب، ولما كانت الشمس هى أعظم الكواكب في عالمنا هذا القريب المنظور، وهى سبب حياة الحيوان والنبات، نبه الله سبحانه أهل العقول والبصائر أن يستدلوا بمشارقها ومغاربها على أنه رب كل شئ ومالك كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، ولذلك يجب على جميع العقلاء أن يعبدوه وحده ويتوكلوا عليه وحده.

فائدة ثانية: النعمة بفتح النون سعة العيش ورغدة والتمتع بزهرة الحياة الدنيا، والنعمة بكسر النون أعم من ذلك، فكل واحد من الناس قد أنعم الله عليه بنعم بكسر النون منها نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، فهاتان النعمتان لا يخلو منهما أحد من الناس، وأما النعمة بالفتح فهى خاصة بأهل الجاه والمال، وهؤلاء الرؤساء المتبوعون عليهم من الواجبات ما ليس على غيرهم، فإن استقاموا استقام أتباعهم، وإن انحرفوا انحرف أتباعهم أول ما دعوت في صعيد مصر إلى توحيد الله تعالى واتباع سنة رسوله ﷺ، ونبذ البدع والمحدثات، ألقيت ستة دروس في آخر الدرس السادس منها استجاب لى شيخ البلد، وهو الشيخ يوسف عبد العال رحمه الله رحمة واسعة وبارك في ابنه الشيخ محمد، أعنى بلد الريدمون في مديرية أسيوط، فتبعه أهل البلد كلهم ولا يزالون كذلك إلى يومنا هذا، وقد مضى عليها أربع وخمسون سنة، لم تستطع فتنة الاشتراكية أن تنال من عقيدتهم مثقال ذرة فلما زرتهم قبل ثلاث سنين، وجدت شيخ البلد منهم كما كان الأمر قبل أربع وخمسين سنة، ووجدت وكيل الحزب منهم، وإذا رسخت عقيدة التوحيد في القلوب لا يستطيع أحد ان يزلزلها.

سورة المدثر

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ الآيات ١: ٥

المدثر: معناه المتلفف بالثياب

قال (ك) روى (ق) بسندهما عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى فقال في حديثه «فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جائنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض، فخشيت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلى فقلت زملونى زملونى فدثرونى، فأنزل الله تعالى، يا أيها المدثر، قم فأنذر » إلى، فاهجر، وقوله تعالى: ﴿ **قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾ أى: شمر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بأول النبوة، ﴿ **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** ﴾ **أي: عظم وقوله،** ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ قال لا تلبسها على معصية، ولا على غدرة، ثم قال، أما سمعت قول غيلان بن مسلمة الثقفى.

فـــانى بحمـــد الله لا ثـــوب فـــاجر لبســـت ولا مـــن غـــدرة أتقنـــع

قال الشاعر:

إذا المـرء لم يـدنس مـن اللـؤم عرضـه فكـــل رداء يرتديـــه جميـــل

والمراد طهر نفسك وقلبك، ﴿ **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ عن ابن عباس، الرجز الأصنام.

قال محمد تقى الدين: ويؤيده قوله تعالى في سورة الحج ﴿ **اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** ﴾ وقد كان النبى ﷺ طاهر النفس والعرض والخلق، هاجراً للأصنام، فالأمر هنا للزيادة والاستمرار، كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** ﴾ أى زد في تقوى الله واستمر عليها، وكما تقول للضيف، كل وهو يأكل، هكذا قال علماء النحو وهو صحيح، وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ﴾ عن ابن عباس معناه لا تعط

العطية تلتمس أكثر منها، وقال الحسن لا تمنن بعملك على ربك تستكثره واختاره «ج» وقوله تعالى ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: بعدما أنزل على النبى ﷺ أول سورة العلق، في غار حراء حيث كان يتعبد صار نبيا، ولم يكن رسولاً، إذ لم يأمره الله تعالى بالتبليغ ولا بالإنذار ولا بالصدع بما يؤمر وفتر الوحى أى توقف، وبعد فترة الوحى نزل أول سورة المدثر، كما في حديث جابر ثم حمى الوحى وتتابع أ هـ.

سورة الدهر

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الآيات ٧-٩

قال (ك) وقوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾ أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، روى البخاري عن عائشة ﵂ « أن رسول الله ﷺ قال: من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » ، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله، قال الأعشى:

فبانــــت وقـــد أثـــرت في الفـــؤا د صـــدعا علـــى نأيهـــا مســـتطيرا

يعني ممتدا فاشيا، وقوله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ الضمير عائد على الطعام أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، كقوله تعالى: ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ وكقوله تعالى ﴿ **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ وروى البيهقي بسنده عن نافع قال،

مرض ابن عمر فاشتهى عنبا، أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية يعنى امرأته فاشترت عنقواً بدرهم، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به سأل السائل، فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر، فاشترت عنقوداً فاتبع الرسول السائل فلما دخل سأل، السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيراً أبداً، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به، وفي الصحيح «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر » في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ أما: المسكين واليتيم فقد تقم بيانهما وصفتهما، وأما الأسير، فهو الكافر الذى يأسره المسلمون في الحرب ويشهد لذلك أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء أي: يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** ﴾ أي: رجاء ثواب الله ورضاه، ﴿ **لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا** ﴾ أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها، ولا أن تشكرونا عند الناس.

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: النذر هو التزام شيئ من عبادة الله لم يكن لازما من قبل، إذا حصل المشروط، كأن يقول الناذر لله على أن أذبح لله شاه وأطعم الفقراء، أن شفى مريضى أو رجع غائبى بسلامة أو نجحت في الامتحان أو وضعت الحبلى حملها بسلامة إلى غير ذلك من الأغراض، أو ينذر صوماً أو حجا أو عمرة أو صدقة فإن ذلك عبادة لله يجب الوفاء به، فإن نذر شيئاً مما يعبد الله تعالى به كالذبح والصدقة لغير الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين وغير الصالحين فلا يجوز الوفاء به، ويجب على الناذر أن يتوب إلى الله ويعود إلى الإسلام، ولهذا ذكرت هذه الآية.

فائدة ثانية: ثناء الله تعالى وترغيب رسوله ﷺ في إكرام الأسير الكافر الذى كان بالأمس يقاتل المسلمين يسفك دماءهم، ولا يزال حريصا على قتلهم إلا أنه عاجز مغلوب على أمره، من أعظم الأدلة على فضل الإسلام على جميع الشرائع والقوانين الوضعية،

فإننا لم نر قانونا لدولة يحث على إكرام الأسير بل العكس رأينا الحلفاء لما انتصروا في الحرب العالمية الأخيرة يهينون الأسرى ويحاكمونهم محاكمة كاذبة خاطئة ظالمة وحشية، كمحاكمة الهر للفار فيزعمون أنهم ارتكبوا جرائم في الحرب، ولا يرون فظاعة هذه الجريمة التى يرتكبونها بقتل الأسرى الذين لا يملكون أى وسيلة يدافعون بها عن أنفسهم، فهم كما قال الانجيل، يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع المعترض في عين نفسه.

فهذه القوانين التى تستندون إليها بقتل أساراكم من وضعها ؟ فهل اتفقتم على وضعها مع أعدائكم قبل أن تقدموا على الحرب، أرأيتم لو انتصر عليكم أعداؤكم أكنتم ترضون بمثل هذه المحاكمة، أنتم واضعوا القانون، وأنتم الخصوم، وأنتم الحكام، كما قال الشاعر:

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وقال البوصيرى:

ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

فهؤلاء الحلفاء المتعسفون فداء لصلاح الدين الأيوبى الذى لما سمع أن عدوه رشارد الملقب بقلب الأسد قد جرح بعث إليه طبيبه الخاص فعالجه حتى برأ، ورشارد هذا هو ملك بريطانية، وقائد جيشها في الحروب الصليبية، فكانت هذه المعاملة التى تجاوزت الحد في الكرم والحكمة والمروءة والشهامة سببا لكراهية الملك الانجليزى الاستمرار في محاربة ولى نعمته، فلله در صلاح الدين الأيوبى، تجاوز إكرام الأسرى إلى إكرام المحاربين عند عجزهم وحاجتهم، وهذه الحكاية قرأتها في مختصر تاريخ أوربة، وهو مقرر لتلاميذ المدارس الثانوية الانجليزية، والكتاب طبع بالانجليزية.

أولئك أبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

سورة البينة

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ جَزَآؤُهُمۡ ۝٧ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ الآيات ٥-٨

قال (ك) وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ كقوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون** ﴾ ولهذا قال ﴿ **حُنَفَاء** ﴾ أي متحنفين عن الشرك إلى التوحيد، كقوله: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام بما أغنى عن أعادته، ههنا، ﴿ **وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ** ﴾ وهى أشرف عبادات البدن، ويؤتوا الزكاة، وهى الإحسان إلى الفقراء والمحاويج، ﴿ **وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ أي: أن الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة، وقد استدل كثير من الأئمة كالزهرى والشافعى بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ الخ.

قال (ك) يخبر تعالى في مآل الفجار من كفار أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة، وأنبياء الله المرسلة أنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها أي: ماكثين فيها لا يحولون فيها ولا يزولون، ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** ﴾ أي: من شر الخليقة، التى براها الله وذرأها، ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار والذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله: ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ قال تعالى: ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾: أي: يوم القيامة ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ أى بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ ﴿ **رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتو،

من النعيم المقيم، ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ فيما منحهم من الفضل العظيم، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ أي: هذا الجزاء حاصل لمن اتقى الله حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فهو يراه وقال الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال «رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: رجل في ثلة من غنم يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة، ألا أخبركم بشر البرية، قالوا بلى، قال، الذى يسأل بالله ولا يعطى به » .

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: قوله وقد استدل كثير من الأئمة الخ. اعلم أن أهل السنة كلهم متفقون على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، تزيد الأعمال بزيادته وتنقص بنقصانه، إلا أبا حنيفة ومن تبعه فإنهم يقولون أن الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب، والعمل لازم له، لكنه غير داخل فيه، والماتريدية منهم يقولون أن الإيمان هو الاعتقاد وحده، ولا يزيد ولا ينقص، وعامتهم يقولون أن إيمانهم كإيمان أبى بكر الصديق بل كإيمان الأنبياء والملائكة، وقد رجع أبو حنيفة رحمه عن القول بعدم دخول العمل في الإيمان، انظر قصته مع حماد بن زيد في شرح الطحاوية لكن مقلديه في الفروع المتعصبين لمذهبه أبوا أن يرجعوا أ هـ.

فائدة ثانية: فهم من حديث أبى هريرة أن أفضل الناس من جاهد في سبيل الله، والهيعة، الفزع الذى يحصل بغزو العدو بلاد الإسلام، فإن لم يكن هنالك سبيل إلى الجهاد ووقعت الفتنة بين المسلمين وصار بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضاً، فأفضل المسلمين هو الذى يهرب من الفتن ولو لم يجد إلا أن يسكن وحده ومعه غنيمة يعيش بلبنها ويفر بدينه من الفتن، وأصل هذا الحديث في الصحيحين، ولفظه «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنيمة يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن أ هـ.

سورة قريش

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾

قال (ك) أي: فيوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرماً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أي: هو رب البيت وهو الذى أطعمهم من جوع، ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا، وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: معنى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾، فليفردوه بالعبادة ولا يعبدوا معه أحداً لا ملكا ولا نبياً ولا صالحاً ولا تمثالا ولا قبة تنسب لأحد منهم، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له خالياً من الشرك، وسيزداد ذلك وضوحاً في سورة الكافرون إن شاء الله.

سورة الكافرون

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾

«ما جاء في فضلها »

١- في صحيح مسلم عن جابر « أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وقل هو الله أحد في ركعتى الطواف » .

٢- وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة «أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتى الفجر » .

٣- قال «أ » بسنده عن عبد الله بن عمر قال: «رمقت النبى ﷺ أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد » وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن.

٤- وقال الإمام أحمد بسنده عن الحارث بن جبلة قال: «قلت يا رسول الله علمنى شيئاً أقوله عند منامى قال، أخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون، فإنها براءة من الشرك » .

قال (ك) هذه السورة سورة البراءة من العمل الذى يعمله المشركون، وهى آمرة بالإخلاص فيه فقوله: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش، وقيل أنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنه، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال لا أعبد ما تعبدون يعنى من الأنداد والأصنام ﴿ **وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ وهو الله وحده لا شريك له، فما ههنا بمعنى من، قال: ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ**

مَّا عَبَدتُّمْ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي: ولا أعبد عبادتكم أي: لا أسلكها ولا أقتدى بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿ **وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته ـ بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ [1] فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لابد له من معبود يعبده، وعباده يسلكها إليه، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أي، لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن الله بها، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ لكم دينكم ولى دين، كما قال تعالى ﴿ **وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ وقال: ﴿ **لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ** ﴾

فصل

قال محمد تقى الدين: فائدة: التكرار الواقع في هذه السورة بليغ، والغرض منه التوكيد، كقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ وكقوله: ﴿ **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾ وكقول النبى ﷺ حين استأذنه عكرمة بن أبى جهل في انكاح على ابن أبى طالب أخته « لا آذن ثم لا آذن » وهذه طريقة معروفة في اللغة العربية وفي سائر اللغات السامية، وهذه السورة يجب على كل مسلم أن يعتقد ما دلت عليه ويعمل به فيتبرأ من جميع المشركين ولا يتحقق توحيد إلا بذلك، وقد تقدم هذا المعنى في مواضع من هذا الكتاب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله أ هـ.

وكان الفراغ منه يوم الجمعة سابع عشر صفر سنة ١٣٩٥ بدار السفلى الصالح الحاج محمد الفلالى بمدينة فاس، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وبمحبتنا واتباعنا لحبيبه وخليله محمد ﷺ أن يعيننا ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ويختم لنا بالحسنى، أ هـ.

---

(١) سورة النجم.

خاتمة رزقنا الله حسنها

في تحذير النبى ﷺ أمته الغلو في قبور الأنبياء والصالحين، قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ما نصه، في الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت، وقال ابن القيم ـ قال غير واحد من السلف، لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « لا تطرونى كما أطرت النصارى بن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا، عبد الله ورسوله أخرجاه. قال: رسول الله ﷺ، إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ولمسلم عن ابن مسعود «أن رسول الله ﷺ قال هلك المتنطعون » .

باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

في الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور فقال أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله، فهؤلاء جمعوا بين فتنة القبور وفتنة التماثيل، ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك، لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً » أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت وهو يقول: «إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل فإن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا إلا وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فغنى أنهاكم عن ذلك، فقد نهى عنه في آخر حياته ثم أنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك وأن لم يبن مسجد

وهو معنى قولها، خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا، أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد، ورواه أبو حاتم في صحيحه.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله، روى مالك، في الموطأ، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولاتجعلوا قبرى عبداً، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم»، رواه أبو داوود بإسناد حسن ورواته ثقات، وعن على بن الحسن أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبرى عيدا، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا على فإن تسليمكم يبلغنى أين كنتم»، رواه في المختارة.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾، عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب

لدخلتموه قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال فمن ؟، أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا، رواه البرقانى في صحيحه وزاد، وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان وأنه سيكون في أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى، ولا تزال طائفة من أمتنى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى.

تفسير ما تقدم نقله من كتاب التوحيد

سأنقل هنا شرح ما تقدم نقله من كتاب التوحيد أنقل ذلك من فتح المجيد للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

قوله عليه الصلاة والسلام لا تطرونى كما أطرت النصارى بن مريم، الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، قاله أبو السعادات، وقال غيره أي لا تمدحونى بالباطل ولا تجاوزوا الحد في مدحى قوله، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله، أي لا تمدحونى فتغلوا في مدحى كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادعوا فيه الألوهية وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفونى بذلك كما وصفنى ربى فقولوا عبد الله ورسوله، فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه وناقضوه أعظم مناقضة ضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعرا ونثرا ما يطول عده، وصنفوا فيه مصنفات، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك

مصنفا رده شيخ الإسلام ورده موجود بحمد الله ويقول أنه يعلم مفاتيح الغيب التى لا يعلمها إلا الله وذكر عنهم أشياء من هذا النمط نعوذ بالله من عمى البصيرة، وقد اشتهر في نظم البوصيرى قوله.

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

وما بعده من الأبيات التى مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الأضرار لغير الله، فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبى ﷺ وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذى بعثه الله به في قالب تنقيصه وهؤلاء المشركون المنتقصون الناقصون أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهى وفرطوا في متابعته فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه والاهتداء بهديه واتباع سنته والدعوة إلى دينه الذى دعا إليه ونصرته وموالاة من عمل به معاداة من خالفه فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علما وعملا، وارتكبوا ما نهى الله ورسوله عنه، فالله المستعان.

«الثانى » قوله وقال رسول الله ﷺ إياكم والغلو، فإنما ! أهلك من كان قبلكم الغلو، هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر رواية، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس قال قال: رسول الله ﷺ غداة جمع، هلم القط لى، فلقطت له حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال نعم بامثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين.

قال شيخ الإسلام هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمى الجمار، وهو داخل فيه، مثل الرمى بالحجارة الكبرى بناء على أنه أبلغ من الصغرى، ثم علله بما يقتضى مجانبة هدى من كان قبلنا إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك.

الثالث، قوله ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: هلك المتنطعون قالها ثلاثا قال الخطابيى، المتنطع: المتعمق في الشيئ المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام

الداخلين فيما لا تبلغه عقولهم، ومن التنطع: - الامتناع عن المباح مطلقاً كالذى يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن أن هذا من الزهد المستحب، قال الشيخ تقى الدين: فهذا جاهل ضال، أ هـ.

قوله «قالها ثلاثا » أى قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، قوله: باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده.

أى: الرجل الصالح، فإن عبادته من الشرك الأكبر، وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة، لأنها تؤدى إلى الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب.

الرابع: قوله في الصحيح « أن أم سلمة » هى هند بنت أبى أمية المخزومية تزوجها رسول الله ﷺ بعد أبى سلمة سنة أربع وقيل ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبى سلمة إلى الحبشة ماتت سنة ثنتين وستين.

قوله: «ذكرت لرسول الله ﷺ وفي الصحيحين « أن أم حبيبة وأن سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ «والكنيسة » بفتح الكاف وكسر النون، معبد النصارى قوله «أولئك » بكسر الكاف خطاب للمرأة، قوله « إذا مات فيهم الرجل الصالح » هذا – والله أعلم، شك من بعض رواة الحديث، هل قال النبى ﷺ هذا أو هذا ؟ ففيه التحرى في الرواية قوله صوروا فيه تلك الصور » الإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التى في الكنيسة قوله أولئك شرار الخلق عند الله، هذا يقتضى تحريم بناء المساجد على القبور وقد لعن ﷺ من فعل ذلك كما سيأتى.

قوله: فهؤلاء جمعوا بين فتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل، هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ذكره المصنف رحمه الله تنبيها على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل، فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد، قال شيخ الإسلام رحمه الله وهذه العلة التى لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هى التى أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك فإن النفوس قد أشركت بتمثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحوه ذلك فإن الشرك بقبر الرجل الذى

يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا نجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد فلاجل هذه المفسدة حسم النبى ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاتة كما يقصد بصلاته بركة المسجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها! لانها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصدوا ما قصده المشركون سداً للذريعة وأما إذا قصد الرجل الصلاة عن القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه، واتباع دين لم يأذن به الله فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أن الصلاة عند القبور منهى عنها، وأنه ﷺ لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وقد تواترت النصوص عن النبى ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه وقد صرح عامة الطوائف بالنهى عن بناء المساجد عليها، متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة والذى ينبغى أن تحمل عليه كراهة التحريم ذلك، إحسانا للظن بالعلماء وإن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهى عنه أ هـ.

الخامس: قوله «ولهما » أي البخارى ومسلم وهو يغنى عن قوله في آخره أخرجاه، قوله « لما نزل » بضم النون وكسر الزاى، أى نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام.

قوله «طفق » بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح وبه جاء القرآن ومعناه جعل قوله «خميصة » بالمعجمة والصاد المهملة – كساء له أعلام، قوله « فإذا اغتم بها كشفها أى عن وجه.

قوله «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يبين أن من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى قوله «يحذر ما صنعوا » الظاهر أن هذا من كلام عائشة لأنها فهمت من قول النبى ﷺ ذلك تحذير أمته من هذا الصنيع الذى كانت

تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلى الشرك ومن غربة الإسلام أن هذا الذى لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أمته قد فعله الخلق الكثير من متأخرى هذه الأمة واعتقدوه قربة من القربات وهو من أعظم السيئات والمنكرات وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله، قال: القرطبى في معنى هذا الحديث وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، أ هـ إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ نكره في سياق النفى تعم كل مشرك.

قوله « ولولا ذلك » أى ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبى ﷺ مسجداً لأبرز قبره وجعل مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع، قوله « غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً » ، روى بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذى خشى ذلك ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذى قبض فيه وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيماً بما أبدى وأعاد من النهى والتحذير منه ولعن فاعله قال القرطبي، ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبى ﷺ فأغلقوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره «انتهى » .

السادس: قوله عن «جندب بن عبد الله » أى ابن سفيان البجلى، وينسب إلى جده، صحابى مشهور مات بعد الستين.

قوله « إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل » أى امتنع عما لا يجوز لى أن أفعله والخلة فوق المحبة والخليل هو المحبوب غاية الحب مشتق من الخلة، بفتح الخاء، وهى تخلل المودة في القلب، كما قال الشاعر:

قـد تخللـت مسـلك الـروح منـى وبـذا سمـى الخليـل خليـلاً

هذا هو الصحيح في معناه، كما ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير، قوله «فإن الله اتخذنى خليلاً » فيه بيان أن الخلة فوق المحبة قال ابن القيم رحمه الله وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة وأن إبراهيم خليل الله ومحمداً حبيب الله، فمن جهلهم فإن المحبة عمة والخلة خاصة وهى نهاية المحبة وقد أخبر النبى ﷺ أن الله قد اتخذه خليلاً ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وغيرهم وأيضا فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الطاهرين وخلته خاصة بالخليلين، قوله « ولو كنت متخذ خليلا لاتخذ أبا بكر خليلاً، فيه بيان أن الصديق أفضل الصحابة، وفيه الرد على الرافضة وعلى الجهمية وهما شر أهل البدع وأخرجهم بعض السلف من الثلاث وسبعين فرقة، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد، قاله المصنف رحمه الله وهو كما قال بلا ريب.

وفيه إشارة إلى خلافة أبى بكر، لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من غيره وقد استخلفه في الصلاة بالناس، وغضب ﷺ لما قيل يصلى بهم عمر وذلك في مرضه الذى توفى فيه ﷺ واسم أبى بكر عبد الله بن عثمان الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة.

قولا « ألا » حرف استفتاح، وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، الحديث » قال: الخطابى، وإنكار النبى ﷺ صنيعهم هذا مخرج على وجهين، أحدهما – أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً.

الثانى: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء والأول هو الشرك الجلى، والثانى الخفى، فلذلك استحقوا اللعن قوله «فقد نهى عنه في آخر حياته » أى كما في حديث جندب، وهذا من كلام شيخ الإسلام، وكذا ما بعده قوله «ثم أنه لعن، وهو في السياق من فعله، كما في حديث عائشة »

قلت: فكيف يسوغ بعد هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تعظم القبور ويبنى عليها ويصلى عندها وإليها هذا أعظم مشاقة ومحادة ولرسوله ﷺ لو كانوا يعقلون.

وقوله: «الصلاة عندها من ذلك وإن لم ين مسجد » أي: من اتخاذها مساجد الملعون فاعله وهذا يقتضى تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

السابع: وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام » رواه أحمد وأهل السنن وصححه ابن حبان والحاكم، قال ابن القيم رحمه الله وبالجملة، فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله ﷺ، مقاصده جزم جزما لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهى بصيغته صيغة « لا تفعلوا » وصيغة « إنى أنهاكم عن ذلك » ليس لاجل النجاسة بل هو لاجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم من لا إله إلا الله، فإن هذا وأمثاله من النبى ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك، ويغشاه، وتجريد له، وغضب لربه أن يعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لامره وارتكابا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم لها أشد تعظيما وأشد فيهم غلوا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله، من هذا الباب دخل الشيطان على عباد يغوث ويعوق ونسر، ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وانزالهم منازلهم التى أنزلهم الله إياها من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم، قوله «فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً » ، أى: لما علموا من تشديده في ذلك وتغليظه النهى عنه ولعن من فعله، قوله « وكل موضع قصدت فالصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً » أي: وإن لم ين مسجد، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، يعنى وإن لم يقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يصلى فأوقع الصلاة عنده من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجداً قوله: كما قال: جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً أى: فسمى الأرض مسجداً تجوز الصلاة في كل بقعة منها، إلا ما استثنى من المواضع التى لا تجوز الصلاة فيها كالمقبرة ونحوها، قال البغوى في شرح السنة،

أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس، أ هـ.

الثامن: قوله « ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا، أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » قوله «إن من شرار الناس » بكسر الشين، جمع شرير، قوله «من تدركهم الساعة وهم احياء » أي: مقدماتها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع، قوله « والذين يتخذون القبور مساجد » معطوف على خبر «إن » في محل نصب على نية تكرار العامل أي: وأن من أشرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، أي: بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها، وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من اليهود والنصارى، وأن النبى ﷺ، لعنهم على ذلك تحذيراً للأمة أن يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم مثل اليهود والنصارى فما رفع أكثر بذلك رأسا، بل اعتقدوا أن هذا الأمر قربة إلى الله، وهو مما يبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته ومغفرته والعجب أن أكثر من يدعى العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله، فلقد اشتدت غربة الإسلام وعاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

قال شيخ الإسلام أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عنه متابعة للأحاديث الصحيحة وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى بتحريمه، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه، ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلى أن قال وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، أو الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين.

وقال ابن القيم رحمه الله يجب هدم هذه القباب التى بنيت على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ، وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم ابن الجميزى والظهير الترمينى وغيرهما وقال القاضى ابن كج ولا يجوز أن تجصص القبور،

ولا أن يبنى عليها قباب، والوصية بها باطلة، وقال الأذرعي وأما بطلان الوصية ببناء الأبنية وانفاق الأموال الكثيرة فلا ريب في تحريمه، وقال القرطبي في حديث جابر نهى أن يجصص القبر أو يبنى عليه، وبظاهر هذا الحديث قال مالك وكره البناء والجص على القبور، وقد أجازه غيره وهذا الحديث حجة عليه، وقال ابن رشد كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة وهى من بدع أهل الطول أحدثوه أراده الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه، وقال الزيلعي في شرح الكنز، ويكره أن يبنى على القبر، وذكر قاضى خان، أنه لا يجصص القبر ولا يبنى عليه لما روى عن النبى ﷺ أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر، والمراد بالكراهة، عند الحنيفية رحمهم الله، كراهة التحريم، وقد ذكرا بن نجيم في شرح الكنز، وقال الشافعي رحمه الله، أكره أن يعظم مخلوق،، حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس، وكلام الشافعة رحمه الله يبين أن مراده بالكراهة، كراهة التحريم.

قال الشاررح رحمه الله وجزم النووى رحمه الله في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقا وذكر في شرح مسلم نحوه أيضاً، وقال ابو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابية صاحب المصنفات الكبار، كالمغنى والكافى وغيرها، رحمة الله تعالى: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور، لأن النبى ﷺ قال لعن الله اليهود والنصارى الحديث، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنان تعظيم الأموات واتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها انتهى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أما المقبرة فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة انقلبت تربتها أو لم تنقلب، ولا فرق بين أن يكون بينه وبينها حائل أو لا، لعموم الاسم وعموم العلة، ولأن النبى ﷺ، لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنجس، وبالجملة، فمن علل النهى عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة فهو بعيد عن مقصود النبى ﷺ، ثم لا يخلو أن يكون القبر بني عليه مسجد فلا يصلي في هذا المسجد سواء خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب، لأن النبي ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، وخص قبور الأنبياء لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم

واتخاذها أشد، وكذلك إن لمن يكن بنى عليه مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التى كان النهى عن الصلاة عند القبور من أجلها، فإن كل مكان صلى فيه يسمى مسجداً كما قال ﷺ جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، وإن كان موضع قبر أو قبرين، وقد تقدم عن على أنه قال لا أصلى في حمام ولا عند قبر، فعلى هذا ينبغى أن يكون النهى متناولاً تحريم القبر وفنائه ولا تجوز الصلاة في مسجد بنى في مقبرة سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور، أو كان مكشوفاً ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك لاحتمل عدة أوراق، فتبين بهذا أن العلماء رحمهم الله بينوا أن علة النهى ما يؤدى إليه ذلك من الغلو فيها وعبادتها من دون الله كما هو الواقع، والله المستعان.

وقد حدث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثر في أبواب العلم بالله اضطرابهم وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابهم فقيدوا نصوص الكتاب والنسة بقيود واهنت الانقياد وغيروا بها ما قصده الرسول ﷺ بالنهى وأراده، فقال بعضهم النهى عن البناء على القبور يختص بالمقبرة المسبلة والنهى عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الموتى وهذا كله باطل من وجوه، منها أنه من القول على الله بلا علم فهو حرام بنص الكتاب ومنها أنما قالوه لا يقتصى لعن فاعله والتغليظ عليه وما المانع له أن يقول من صلى في بقعة نجسه فعليه لعنة الله ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبى ﷺ لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها على من يجئ بعده ﷺ، وبعد القرون المفضلة والأئمة وهذا باطل قطعا وعقلا وشرعا لما يلزم عليه من أن الرسول ﷺ، عجز عن البيان أو قصر في البلاغ وهذا من أبطل الباطل فإن النبى ﷺ، بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل واحد، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم، ويقال أيضا هذا اللعن والتغليظ الشديد إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم فلو كانت هذه هى العلة لكانت منتفية في قبور الأنبياء لكون اجسادهم طرية، لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم فإذا كان النهى عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص علم أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نقلت أقوالهم، والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، قوله «باب ما جاء أن

الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله »

التاسع: روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ، قال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد أشتد غضب الله على قوم اتخذو قبور أنبيائهم مساجد.

هذا الحديث رواه مالك مرسلا والبزار – موصلا.

قوله «رواه مالك في الموطأ » هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو الأصبحى أبو عبد الله المدنى إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وأحد المتقنين للحديث، حتى قال البخارى، أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين، وقال الواقدى، بلغ تسعين سنة قوله « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » قد استجاب الله دعاءه، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجـــاب رب العـــالمين دعـــاءه وأحاطـــه بثلاثـــة الجـــدران

حتـــى غـــدت أرجـــاؤه بدعائـــه في عـــزة وحمايـــة وصـــيان

ودل الحديث على أن قبر النبى ﷺ، لو عبد لكان وثنا لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس، فلا يوصل إليه، ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التى عليها وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود، «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير، تجرى على الناس يتخذونها سنة إذا غيرت قيل غيرت السنة » أ هـ.

ولخوف الفتنة نهى عمر عن تتبع آثار النبى ﷺ، قال ابن وضاح سمعت عيسى بن يونس يقول « أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبى ﷺ، فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة.

وقال المعرور بن سويد صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبى ﷺ، فهم يصلون فيه، فقال إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا، فمن أدركته الصلاة في المساجد فليصل ومن لا فليمض

ولا يتعمدها » .

وفى مغازى ابن اسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبى خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبى العالية، ما كان فيه ؟ قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فماذا صنعتم بالرجل ؟ قال حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه، قلت وما يرجعون منه ؟ قال كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، فقلت من كنتم تظنون الرجل، قال رجل يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات، قال منذ ثلاثمائة سنة، قلت ما كان تغير منه شيئ، قال إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض.

قال ابن القيم رح، ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، قال شيخ الإسلام رحمه الله وهو إنكار منهم لذلك فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلى عندها أو ليدعو أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله فيها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة لم يشرع تخصيصها به، لا نوعا ولا عينا إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها، كمن يزورها ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السنة، وأما تحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا هو المنهى عنه، أ هـ ملخصا، قوله « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها، وأن ذلك من الكبائر، وللطبري من أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبى ﷺ وعلل ذلك بقوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد الحديث، كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر، لئلا يقع التشبه بفعل أولئك، سدا للذريعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله ومالك قد أدرك التابعين وهم أعلم الناس بهذه المسألة، فدل ذلك على أنه لم يكن معروفاً عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي ﷺ إلى أن قال، وقد ذكروا في أسباب كراهته لأن يقول زرت قبر النبي ﷺ، لأن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريدون به الزيارة البدعية وهو قصد الميت لسؤاله ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع بإتفاق الأئمة، وكره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف الصلاة والسلام عليه فإن ذلك مما أمر الله به، أما لفظ الزيارة في عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى، ألا ترى إلى قوله فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، مع زيارته لقبر أمه، فإن هذا يتناول قبور الكفار، فلا يفهم من ذلك، زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع بخلاف ما إذا كان المزور معظما في الدين كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيراً ما يعنى بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية فلهذا كره مالك ذلك في هذا وإن لم يكره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة، أ هـ. وفيه أن النبي ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه ذكره المصنف رحمه الله وقوله «عن سفيان» الظاهر أنه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفى ثقة حافظ ففيه إمام عابد كان مجتهدا وله أتباع يتفقهون على مذهبه، مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة، قوله « عن مجاهد » هو ابن جبر بالجيم والموحدة أبو الحجاج المخزومى مولاهم المكى ثقة إمام في التفسير، أخذ عن ابن عباس وغيره مات سنة أربع ومائة، قاله يحى القطان، وقال ابن حبان مات سنة اثنين أوثلاث ومائة وهو ساجد، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر.

قلت وفي الباب حديث أبى هريرة وحديث حسان بن ثابت أما حديث أبى هريرة، فرواه أحمد والترمذي وصححه.

قلت ويكون الإذن في زيارة القبور مخصوصا بالرجال، خص بقوله لعن الله زوارات القبور، الحديث، فيكون من العام المخصوص، قوله «والسرج » قال ابو محمد المقدسى لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعا للمال في غير ما فائدة وإفراطا في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام.

قوله « رواه أهل السنن » يعنى أبا داود والترمذي وابن ماجه فقط.

قوله «باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

الجناب هو الجانب والمراد حمايته عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قوله « وقول الله تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، إلى آخره، قلت فاقتضت هذه الأوصاف التى وصف بها رسول الله ﷺ، في حق أمته أن أنذرهم وحذرهم الشرك الذى هو أعظم الذنوب وبين لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها كما تقدم، وكما سيأتى في أحاديث.

العاشر: قوله « عن أبى هريرة قال قال: رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا»، قال شيخ الإسلام أى لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحرى العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً » وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعا « لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذى يسمع سورة البقرة تقرأ فيه »

قوله « ولا تجعلوا قبرى عيدا » قال شيخ الإسلام رحمه الله، العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك » وقال ابن القيم رح: العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة أو الاعتياد، فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذى يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها، كما كان المسجدالحرم ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيه عيدا وكان للمشركين أعياداً زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر.

قوله «صلوا فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم، قال شيخ الإسلام رحمه الله يشير بذلك إلى

أن ما ينالى منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبرى وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً.

قوله « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً » تقدم في كلام شيخ الإسلام في معنى الحديث قبله أ هـ.

قوله « وعن على بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعوا فنهاه وقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ، قال « لا تتخذوا قبرى عيدا » ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا على فإن تسليمكم يبلغنى أين كنتم، رواه في المختارة.

هذا الحديث والذى قبله جيدان حسنا الإسنادين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط، أ هـ.

الحادى عشر: قوله « على بن الحسين » أي: ابن على بن أبى طالب المعروف بزين العابدين، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم، وقال الزهرى ما رأيت قرشيا أفضل منه مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته، حفظ عن النبى ﷺ واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة.

قوله أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة بضم الفاء وسكون الراء وهى الكوة في الجدار والخوخة عندها.

قوله «فيدخل فيها فيدعو فنهاه » هذا يدل على النهى عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها » .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ما علمت أحداً رخص فيه، لأن ذلك من اتخاذه عيدا، ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلى منهى عنه، لأن ذلك لم يشرع وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبى ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها وكان الصحابة والتابعون رضى الله عنهم يأتون إلى مسجد النبى ﷺ، فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا

أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم عنه في قوله « لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى»، فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب، إذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك إلى أن بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم ويناهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبى ﷺ ليلة المعراج والمقصود أن الصحابة لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف وإنما كان بعضهم يأتى من خارج فيسلم إذا قدم من سفره كما كان ابن عمر يفعله، قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبى ﷺ، فقال السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف، قال عبيد الله ما نعلم احداً من أصحاب النبى ﷺ، فعل ذلك إلا ابن عمر، وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة، وفي المبسوط، قال مالك لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ، ولكن يسلم ويمضى ونص أحمد أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبرها.

وبالجملة، فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر وتنازعوا هل يستقبله عند السلام عليه أم لا ؟

وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره وإلى غيره من القبور والمشاهد، لأن ذلك من اتخاذها أعياداً بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها، وهذه هى المسألة التى أفتى بها شيخ الإسلام رحمه الله – أعنى من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ونقل اختلاف العلماء، فمن مبيح لذلك كالغزالى وأبى محمد المقدسى ومن مانع لذلك كابن بطة، وابن عقيل وأبى محمد الجونى، والقاضى عياض، وهو قول الجمهور نص عليه مالك ولم يخالفه احد من الأئمة وهو الصواب، لما في الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى ﷺ، قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»، فدخل في النهى شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيا، وإما أن يكون نفيا، وجاء في رواية بصيغة النهى، فتعين أن يكون للنهى، ولهذا فهم منه الصحابة المنع، كما في الموطأ والمسند والسنن، عن بصرة بن أبى بصرة الغفارى أنه قال لأبى هريرة، وقد أقبل من الطور لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت سمعت رسول الله ﷺ، يقول « لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»، وروى الإمام أحمد وعمر بن شبة في أخبار المدينة بإسناد جيد عن قزعة قال «أتيت ابن عمر فقلت أنى أريد الطور، فقال إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى، فدع عنك الطور ولا تأته » فابن عمر وبصرة بن أبى بصرة جعلا الطور مما نهى عن شد الرحال إليه.

لأن اللفظ الذى ذكر فيه النهى عن شدها إلى غير الثلاثة مما يقصد به القربة فعلم أن المستثنى منه عام في المساجد وغيرها، وان النهى ليس خاصاً بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدها إلى الطور مستدلين بهذا الحديث والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة، فإن الله سماه «الوادى المقدس، والبقعة المباركة » وكلم كليمه موسى عليه السلام هناك، وهذا هو الذى عليه الأئمة الأربعة وجمهور العلماء ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبا لابن الأخنائى فيما اعترض به على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وأخذ به العلماء وقياس الأولى، لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.

وأما النهى عن زيارة غير المساجد الثلاثة فغاية ما فيها، أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال ولا مزية تدعو إليه وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادى في كتاب الصارم المنكى في رده على السبكى » ، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبى ﷺ، وذلكر هو وشيخ الإسلام رحمهما الله تعالى أنه لا يصح منها حديث عن النبى ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه مع أنها لا تدل على محل النزاع، إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال فيحمل على الزيارة الشرعية التى ليس فيها شرك ولا بدعة، قوله «رواه في المختارة » المختارة كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين.

ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن الواحد المقدسى الحافظ ضياء الدين الحنبلى أحد الأعلام، قال الذهبى، أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والاتقان فالله يرحمه ويرضى عنه، وقال شيخ الإسلام، تصحيحه في مختاراته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب، مات سنة ٦٤٣.

باب، قوله ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾

قال (ك) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ أي: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا ؟ وهم أنتم الذين متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله تعالى: ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ أي: أبعده من رحمته ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ أي: غضبا لا يرضى بعده أبدا ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ روى سفيان الثورى عن ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ، عن القردة والخنازير، أهى مما مسخ الله ؟ فقال إن الله لا يهلك قوماً أو قال أن الله لم يمسخ قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عقبا، وأن القردة والخنازير كانت قبل ذلك وقد رواه مسلم وقوله تعالى: ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، وقرئت قراءات أخرى يرجع معناها كلها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذى هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وقد وجدت فيكم جميع أنواع عبادة الطاغوت، ولهذا قال ﴿ أُوْلَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً ﴾ أي: مما تظنون بنا، ﴿ وَأَضَلُّ

عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرق الأخرى مشاركة، أ هـ، كقوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾.

قوله وقول الله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله، لأن النبى ﷺ قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد » أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

الثاني عشر: قوله عن ابى سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ أخرجاه، وهذاسياق مسلم قوله «سنن » بفتح المهملة أى طريق من كان قبلكم، قال المهلب الفتح أولى، قوله «حذو القذة بالقذة » بنصب «حذو » على المصدر والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم، أى لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة وقد وقع كما أخبر وهو علم من أعلام النبوة، قوله « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وفي حديث آخر « حتى لو كان فيهم من يأتى أمه علانية لكان في أمتى من يفعل ذلك » أراد ﷺ أن أمته لا تدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لا تترك منه شيئاً ولهذا قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى أ هـ.

قلت فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة كما في حديث ثوبان الآتى قريباً، قوله « قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ هو برفع «اليهود » خبر مبتدأ محذوف، أي: أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم ؟ ويجوز النصب بفعل محذوف، تقديره تعنى اليهود قوله «قال فمن؟ » استفهام إنكارى أى فمن هم غير أولئك ؟

الثالث عشر: قوله ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا

من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال يا محمد إذا قضيت قضاء لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا»، رواه البرقانى في صحيحه وزاد، وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان وأنه سيكون في أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى، هذا الحديث رواه أبو داود في سننه وابن ماجة بالزيادة التى ذكرها المصنف.

قوله « عن ثوبان » هو مولى النبى ﷺ صحبه ولازمه ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين، قوله زوى لي الأرض، قال التوربشتى، زويت الشيئ، جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها حتى أطلع عليه إطلاعه على القريب وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآه ينظره، قال الطيبى أى: جمعها لى حتى أبصرت ما تملكه أمتى من أقصى المشارق والمغارب منها.

قوله « وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها»، قال القرطبي هذا الخبر وجد مخبره كما قال وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم، الذى هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان، والنهر وكثير من السند والهند والصغد ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه.

قال محمد تقى الدين: هذا خطأ فإن طنجة هى أول عمارة المغرب وآخرها نهاية شنقيط عند حدود السنيغال، وكيف يرتكبه القرطبى وبلده قرطبة طال ما كان مع المغرب دولة واحدة وليس بين قرطبة وطنجة إلا نحو مائتي ميل وكان القرطبى متبحراً في علوم كثيرة، ولكنه في تخطيط البلدان أبدى غاية الضعف والكمال لله أ هـ.

قوله «زوى لى منها » يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وأن يكون مبنياً للمفعول.

قوله وأعطيت الكنزين، الأحمر والأبيض، قال القرطبي يعنى به كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما، وقد قال ﷺ: «والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة ووجد ذلك في خلافة عمر، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر، والأبيض والأحمر، منصوبان على البدل.

قوله « وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة » هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله «بعامة » بالباء، وهى رواية صحيحة في صحيح مسلم وفي بعضها بحذفها، قال القرطبي وكأنها زائدة لأن «عامة » صفة السنة، والسنة الجدب الذى يكون به الهلاك العام ويسمى الجدب والقحط سنة ويجمع على سنين كما قال ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِين** ﴾ أي الجدب المتوالى.

قوله « من سوى أنفسهم » أى من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل، وفي زماننا هذا، نسأل الله العفو والعافية، قوله «فيستبيح بيضتهم»، قال الجوهرى، بيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيكون معنى الحديث، إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهى جوانبها وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وإن قلوا.

قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا، والظاهر أن «حتى » عاطفة أو تكون لانتهاء الغاية.

قال محمد تقى الدين: «بل هى لانتهاء الغاية يقينا » وقد سلط بعضهم على بعض كما هو الواقع وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم، قوله وأن ربى قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، قال بعضهم أى إذا حكمت حكما مبرماً نافذاً فإنه لا يرد بشيئ ولا يقدر أحد على رده كما قال النبى ﷺ ولا راد لما قضيت.

قوله رواه البرقاني في صحيحه، هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائه، قال الخطيب كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفا بالفقه، كثير التصانيف صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثورى وحديث شعبة وطائفة، وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه.

وروى في سننه أيضا عن أبى هريرة قال قال: رسول الله ﷺ، يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح ويكثر الهرج قيل يا رسول الله ما هو ؟ قال القتل القتل، قال وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، أى: الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا** ﴾، وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه من كان له حاجة فليأت إلى قبرى فإنى أقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب ونحو هذا، وهذا هو الضلال البعيد، يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم.

ومن هذا الضرب من يدعى أنه يصل مع الله إلى حال تسقط فيها عنه التكاليف ويدعى أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج، ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله، فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله.

وعن أبى الدرداء قال قال: رسول الله ﷺ: «أن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون»، رواه أبو داود الطيالسى وعن ثوبان، أن رسول الله ﷺ: «قال إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين» رواه الترمذى، وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم، الذى هو سبيل المؤمنين، فكل من أحدث حدثاً ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، فهو ملعون وحدثه مردود، كما قال النبى ﷺ: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»، وقال « من أحدث في أمرنا

ما ليس منه فهو رد»، وقال « كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة » وهذه أحاديث صحيحة، ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿ **اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾، ونظائرها في القرآن كثيرة.

وعن زياد بن حدير قال قال لى عمر « هل تعرف ما يهدم الإسلام » ؟ قلت لا، قال يهدمه، زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين رواه الدارمى.

وقال يزيد بن عمير كان معاذ بن جبل لا يجلس مجلساً للذكر إلا ويقول الله حكم قسط هلك المرتابون وفيه فاحذروا زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، قلت لمعاذ، وما يدرينى رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة والمنافق قد يقول كلمة الحق ؟ فقال اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التى يقال ما هذه ؟ ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نوراً، رواه أبو داود وغيره قوله « وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة » وكذلك وقع فإن السيف لما وقع بقتل عثمان لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين»، «الحى » واحد الأحياء وهى القبائل وفي رواية ابى داود «حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين، والمعنى يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك.

قوله « حتى تعبد فئام من أمتى الأوثان» «الفئام » بكسر الفاء مهموز الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات وفي رواية أبى داود « وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان » وهذا هو شاهد الترجمة ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيد هو أعظم مطلوب والشرك هو أعظم الذنوب، وفي معنى هذا الحديث ما في الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس

على ذى الخلصة، قال وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون في الجاهلية»، وروى ابن حبان عن معمر قال، إن عليه الآن بيتا مبيناً مغلقاً، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، وكذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور والتى اتخذت أوثانا تعبد من دون الله، والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، أو أعظم شركاً عندها وبها فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

قلت فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله فما بعده أعظم فساداً كما هو الواقع، وقال الحافظ وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله ﷺ فخرج مسليمة الكذاب باليمامة والأسود العنسى باليمن وفي خلافة أبى بكر طليحة ابن خويلد في بنى أسد بن خزيمة وسجاح في بنى تميم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبى ﷺ وقتل مسليمة في خلافة أبى بكر قتله وحشى قاتل حمزة يوم أحد، وشاركه في قتل مسليمة يوم اليمامة رجل من الأنصار، وتاب طليحة ومات على الإسلام في زمن عمر، نقل أن سجاح تابت أيضاً، ثم خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه فأحبه الناس ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه، ومنهم الحارث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج في خلافة بنى العباس جماعة، وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم تنشأ دعوته عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدالة شبهة كمن وصفنا، وقد أهلك الله تعالى

من وقع له منهم ذلك وبقى منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر.

قوله « وأنا خاتم النبيين»، قال الحسن، الخاتم، الذى ختم به يعنى أنه آخر النبيين كما قال تعالى ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ وإنما ينزل عيسى بن مريم في آخر الزمان حاكماً بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته فهو كأحد أمته بل هو أفضل هذه الأمة قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما مقسطاً فليكسرن الصليب ويقتلن الخنزير وليضعن الجزية»، قوله « ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم » قال يزيد بن هارون، واحمد بن حنبل، إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم.

قال ابن المبارك وعلى بن المدينى، وأحمد بن سنان، والبخاري وغيرهم أنهم أهل الحديث » ، قال النووى: يجوز أن تكون الطائفة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولا فأول، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله.، أ هـ. مخلصًا مع زيادة فيه، قاله الحافظ.

قال القرطبي وفيه دليل على أن الإجماع حجة لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخلت فيهم الطائفة المنصورة.

قال المصنف رحمه الله وفيه الآية العظيمة، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، قلت واحتج به الإمام على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

هذا ما قصدت إثباته في كتاب التوحيد وشرحه رحمة الله على من الفهما والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
سورة الكهف - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « نحن نقص عليك نبأهم »	٥
حديث يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها، الخ	٧
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك » الخ	٨
حديث نهى الله رسوله عن طرد الفقراء الخ	٩
زيادة بيان من كلام المؤلف	١٠
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما » الخ	١١
لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة	١٣
زيادة بيان من كلام المؤلف	١٤
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى: « أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا » الخ	١٤
حديث أبى هريرة « ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » الخ	١٥
زيادة بيان من كلام المؤلف	١٦
الرد على أصحاب الطرائق	١٦
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى الخ »	١٨
حديث: من يعمل بإخلاص ويحب مدح الناس	١٨
سورة مريم - الباب الأول: تفسير قوله « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً » الخ	١٨
زيادة بيان من كلام المؤلف	٢٠
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً »	٢٠
حديث يوسف نبي الله بن نبي الله الخ والكريم بن الكريم الخ	٢٣

زيادة بيان من كلام المؤلف	٢٣
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « واتخذوا من دون الله آلهة » الخ	٢٧
زيادة بيان من كلام المؤلف	٢٧
سورة طه – الباب الأول: تفسير قوله « طه ما أنزلنا عليك » الخ	٢٨
حديث « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »	٢٨
الحديث القدسي « إني لم أجعل علمي وحكمتي » إلى آخره	٢٨
حديث « إن لله تسعة وتسعين اسما » الخ	٢٩
حديث « اللهم إني عبدك وابن عبدك » الخ	٣٠
فوائد من كلام المؤلف	٣٠
حديث « عجباً للمؤمن »	٣٠
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » الخ	٣٢
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « فأخرج لهم عجلاً جسداً » الخ	٣٢
سورة الأنبياء – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون » الخ	٣٥
زيادة بيان من كلام المؤلف	٣٧
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « قل من يكلأكم بالليل والنهار من الرحمن »	٣٨
قصة عمار عن المشركين في بلده	٣٩
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « ولقد آتينا إبراهيم رشده » الخ	٤٠
حديث « ما بعث الله عالما إلا شابا » الخ	٤٢
حديث « إن إبراهيم لم يكذب غير ثلاث »	٤٣
حديث « حسبنا الله ونعم الوكيل »	٤٤
فوائد من كلام المؤلف	٤٤
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « وأيوب إذ نادى ربه » الخ	٤٦
حديث « أشد الناس بلاء وحديث يبتلى الرجل عل قدر دينه » الخ	٤٦

زيادة بيان من كلام المؤلف	٤٦
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « وذا النون إذ ذهب مغاضباً » الخ	٤٧
حديث دعوة ذي النون	٤٩
زيادة بيان من كلام المؤلف	٤٩
الباب السادس: تفسير قوله تعالى « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وأنتم لها واردون » الخ	٤٩
حديث يجمع الله الناس يوم القيامة	٥١
الباب السابع: تفسير قوله تعالى « قل إنما يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد » الخ	٥١
سورة الحج - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » الخ	٥٢
حديث أول من بنى البيت	٥٢
فوائد من كلام المؤلف	٥٣
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « ومن يعظم حرمات الله » الخ	٥٣
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الخ	٥٥
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق » الخ	٥٨
زيادة بيان من كلام المؤلف	٥٨
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطان » الخ	٥٨
حديث « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فيلخلقوا » الخ	٦٠
فوائد من كلام المؤلف	٦٠
سورة المؤمنون - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه » الخ	٦١

حجة المشركين في هذا الزمان هي حجة أسلافهم، إنكار بناء القباب على القبور عبادتها	٦٢
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » الخ سنة الله مع رسله ومن اتبعهم أن ينصرهم ويجعل لهم العاقبة	٦٢
الباب الثالث: « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » الخ وتفسيرها	٦٣
دين الأنبياء في الأصول واحد	٦٣
اغترار المشركين بكثرة الأموال والأولاد	٦٤
حديث ابن مسعود « إن الله قسم بين أخلاقكم »	٦٤
قول الحسن البصري أن المؤمن جمع إحسانا وشفقة	٦٥
الآيات الكونية والآيات الشرعية	٦٥
سؤال عائشة عن تفسير « الذين يأتون ما أتوا »	٦٥
فوائد من كلام المؤلف	٦٥
مثل ألماني في اعتبار الخواتم	٦٦
بيان معنى « إن الله لا يمحو السيء بالسيء »	٦٦
تكريم النبي ﷺ بعائشة وأبيها وبطلان مذهب الروافض وقصة في بيان غلو الرافض	٦٦
بيان كذب الضريح المنسوب إلى الحسين في كربلاء وفي القاهرة	٦٦
محاربة الرافضة لمن يسمى أبا بكر أو عمر أو عائشة	٦٦
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « ما اتخذ الله من ولد » ودليل التمانع وعبادة جهال المغاربة لكل شيء يزعمون أن فيه بركة حتى وصلوا إلى عبادة الحمير وذكر الوثن المسمى بلالا حمارة	٦٧
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « ومن يدع مع الله إلهاً آخر » إلخ	٦٨
من دعا غير الله فقد اتخذه إلها والدليل على ذلك	٦٨
اعتراض المؤلف على الحافظ (ك) في مسألة نحوية	٦٩

سورة الفرقان – الباب الأول: في تفسير قوله تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » الخ	٦٩
حديث « بعثت إلى الأحمر والأسود »	٧٠
حديث « أعطيت خمساً »	٧٠
حديث « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء »	٧١
فائدتان من كلام المؤلف	٧١
الباب الثاني: ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الخ	٧١
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « وإذا رأوك أن يتخذونك » الخ	٧٣
كلام للمؤلف في بيان عبادة الأوثان	٧٤
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم » الخ	٧٤
حديث سجود سلمان للنبي ونهيه عن ذلك	٧٦
وجوب رد نزاع إلى النبى ﷺ	٧٦
كلام للمؤلف في بيان فساد عقول المشركين وطلبهم المطر من الأوثان	٧٧
الباب الخامس: من تفسير قوله تعالى « والذين لا يدعون مع الله إلها »	٧٨
حديث ابن مسعود « أي الذنب الأكبر »	٧٨
حديث الترهيب من الزنا بامرأة الجار وسرقته	٧٨
سورة الشعراء – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « واتل عليهم نبأ إبراهيم »	٧٩
تحدى الرسول وأتباعه الصادقين لآلهة المشركين	٨٠
حديث « اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين »	٨١
حديث شفاعة إبراهيم في أبيه وعدم قبولها	٨٢
فوائد من كلام المؤلف	٨٤
التبرؤ من الشرك وأهله شرط في صحة التوحيد	٨٥
غفلة المعبودين عن عابديهم	٨٥
المشركون في هذا الزمان أغلظ كفراً من السابقين	٨٥

ذكر خروج المؤلف من الطريقة التجانية وتخويف المشركين له	٨٥
ما ينسب إلى التجانى من تخويف من ترك طريقته	٨٥
تخويف أهل تطوان له من انتقام السعيدى	٨٦
دواء طبيعي للربو	٨٦
ضمان الدجاجلة المغفلين والرد عليهم	٨٦
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « فلا تدع مع الله إلها آخر » الخ	٨٧
حديث « لا يسمع بي يهودي ولا نصراني » الخ	٨٧
أحاديث سبب نزول « وأنذر عشيرتك الأقربين »	٨٨
فوائد من كلام المؤلف	٨٨
سورة النمل - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « إني وجدت امرأة تملكهم » الخ	٨٩
كلام للمؤلف في الشمس وفوائدها	٩٠
الاحتجاج على المعطلة الجاحدين	٩٠
تقدير عمر الشمس تخمينا	٩٠
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « قيل لها ادخلي الصرح » الخ	٩١
اتهام (ك) بالإسرائيليات ورده	٩١
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « قل الحمد لله وسلام على عباده » الخ	٩٣
حديث « لا تحقرن من المعروف شيئاً » الحد وهو طويل	٩٧
قصة صاحب البغل	٩٧
حديث عائشة « من زعم أنه يعلم ما في غد » الخ	٩٩
قول قتادة « إنما جعل الله هذه النجوم الثلاث »	٩٩
فوائد من كلام المؤلف	١٠٠
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة »	١٠١
حديث ابن عباس « إن هذا البلد حرمه الله »	١٠١

حديث أبي هريرة « يأيها الناس لا يغترن أحدكم بالله »... الخ	١٠٢
فصل من كلام المؤلف في معنى الآيات	١٠٢
سورة القصص – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ويوم يناديهم » الخ	١٠٣
فصل من كلام المؤلف	١٠٧
تقسيم المعبودين إلى أقسام	١٠٧
خوف السلف على أنفسهم من النفاق	١٠٨
النهار والليل في الأراضي القطبية	١٠٨
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « ولا يصدنك عن آيات الله » الخ	١٠٩
حديث أبي هريرة « أصدق كلمة قالها الشاعر »	١٠٩
فصل من كلام المؤلف في بيان المعنى	١١٠
سورة العنكبوت – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ووصينا الإنسان » الخ	١١٠
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١١١
قول عبد الرحمن بن أبي بكر إنك هدفت لي	١١١
بيان خطأ الكتاب في هذا الزمان في استعمال هدف واستهدف بمعنى قصد	١١١
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله » الخ	١١١
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١١٢
الباب الثالث: وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا الخ	١١٢
حديث أم هانئ يجمع الله الأولين والآخرين الخ	١١٣
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١١٣
حديث « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد »	١١٣
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله » الخ	١١٤
أثر عمرو بن مرة في الأسف على عدم فهم القرآن	١١٤
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١١٤
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « يا عبادي الذين آمنوا » الخ	١١٥

حديث الزبير « البلاد بلاد الله » الخ	١١٥
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان حتى تجيء الهجرة على الموحد	١١٥
سورة الروم – الباب الأول: تفسير قوله « ويوم تقوم الساعة » الخ	١١٦
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١١٦
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « ضرب الله لكم مثلاً من أنفسكم » الخ	١١٦
كلام للمؤلف في التشنيع على المشركين	١١٧
حديث « كل مولود يولد على الفطرة »	١١٨
حديث الفرقة الناجية	١١٩
فصل من كلام المؤلف	١٢٠
مناظرة بين امرأتين	١٢٠
قصة أبي عبد الله البغدادي	١٢١
من البدع التفرق في الدين على مذاهب وطرائق	١٢٢
الباب الثالث: في تفسير قوله تعالى « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » الخ	١٢٣
فائدتان من كلام المؤلف	١٢٤
سورة لقمان – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « وإذ قال لقمان لابنه » الخ	١٢٤
حديث معاذ بن جبل	١٢٥
قصة سعد بن مالك مع أمه	١٢٦
فصل من كلام المؤلف	١٢٦
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن » الخ	١٢٧
فصل من كلام المؤلف	١٢٧
حديث « قل آمنت بالله ثم استقم »	١٢٨
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار » الخ	١٢٨
حديث ابن عباس في جريان الشمس	١٢٩

فصل من كلام المؤلف	١٣٠
سورة السجدة - الباب الأول: « الله الذي خلق السموات والأرض » الخ	١٣٠
فصل من كلام المؤلف	١٣١
إنكار عقيدة اتخاذ الأولياء	١٣١
سورة الأحزاب - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « وتوكل على الله » الآية	١٣١
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١٣٢
الباب الثاني: في تفسير قوله تعالى « الذين يبلغون رسالات ربى » الخ	١٣٢
حديث أبى سعيد في تغيير المنكر	١٣٣
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١٣٣
الباب الثالث: في تفسير قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة » الخ	١٣٣
فصل من كلام المؤلف في زيادة البيان	١٣٥
حديث حذيفة	١٣٥
حديث عبد الله بن عمرو في الأمانة	١٣٥
حديث « من حلف بالأمانة فليس منا »	١٣٥
فوائد من كلام المؤلف	١٣٥
سورة سبأ - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « قل ادعوا الذين زعمتم » إلى آخره	١٣٦
فصل من كلام المؤلف	١٣٧
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن »	١٣٨
فصل من كلام المؤلف	١٣٩
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « يوم نحشرهم جميعاً » الخ	١٤٠
فصل من كلام المؤلف	١٤١
سورة فاطر - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « يولج الليل في النهار » الخ	١٤٢
فصل من كلام المؤلف	١٤٣

الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « قل أرأيتم شركاءكم » الخ	١٤٤
فصل من كلام المؤلف	١٤٤
سورة يس – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى » الخ	١٤٥
فصل من كلام المؤلف	١٤٦
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم » الخ	١٤٦
فصل من كلام المؤلف	١٤٦
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون »	١٤٧
فصل من كلام المؤلف	١٤٧
سورة الصافات – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « والصافات صفا » الخ	١٤٨
فصل من كلام المؤلف	١٤٩
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « احشروا الذين ظلموا » الخ	١٤٩
فصل من كلام المؤلف	١٥٠
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « وإن من شيعته لإبراهيم » الخ	١٥٢
تفسير المؤلف لهذه الآيات	١٥٣
فصل من كلام المؤلف	١٥٣
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « وإن إلياس لمن المرسلين » الخ	١٥٤
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً » الخ	١٥٤
فصل من كلام المؤلف	١٥٥
سورة ص – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ص والقرآن ذي الذكر » الخ	١٥٦
ذكر سبب نزول هذه الآيات	١٥٧
فوائد من كلام المؤلف	١٥٨
لا إله إلا الله سيف قاطع في يد من وحد الله	١٥٩
حال العرب في هذا الزمان	١٥٩

سورة الزمر – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « تنزيل الكتاب من الله »	١٦٠
فصل من كلام المؤلف	١٦٢
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « خلقكم من نفس واحدة » الخ	١٦٢
فصل من كلام المؤلف	١٦٣
دليل على وحدة جنس الإنسان	١٦٣
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « وإذا مس الإنسان ضر » الخ	١٦٤
فصل من كلام المؤلف	١٦٥
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « قل إنما أمرت أن أعبد الله » الخ	١٦٥
فصل من كلام المؤلف	١٦٧
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب » الخ	١٦٧
فائدتان من كلام المؤلف	١٦٨
الباب السادس: تفسير قوله تعالى « أليس الله بكاف عبده »	١٦٩
حديث « من أحب أن يكون أقوى الناس »	١٧٠
فصل من كلام المؤلف	١٧٠
الباب السابع: تفسير قوله تعالى « أم اتخذوا من دون الله شفعاء »	١٧١
دعاء استفتاح النبي ﷺ لصلاة الليل	١٧٢
حديث ايداع الشهادتين عند الله	١٧٢
دعاء نبوي يقال عند النوم	١٧٢
فصل من كلام المؤلف	١٧٢
الباب الثامن: تفسير قوله تعالى « الله خالق كل شيء » الخ	١٧٣
فصل من كلام المؤلف	١٧٤
سورة المؤمن – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « إن الذين كفروا ينادون »	١٧٥
ما كان يقوله النبي ﷺ دبر كل صلاة	١٧٦
حديث « ادعوا الله وأنتم مؤمنون » الخ	١٧٦

فصل من كلام المؤلف	١٧٦
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب » الخ	١٧٧
فصل من كلام المؤلف	١٧٨
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة » الخ	١٧٨
حديث تعوذ النبي ﷺ من عذاب القبر	١٨٠
حديث « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده » الخ	١٨٠
فصل من كلام المؤلف	١٨١
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « والله الذي جعل لكم الأرض قراراً »	١٨٣
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون »	١٨٤
فصل من كلام المؤلف	١٨٥
الباب السادس: تفسير قوله تعالى « أفلم يسيروا في الأرض » الخ	١٨٦
فصل من كلام المؤلف	١٨٧
سورة فصلت – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « قل إنما أنا بشر » الخ	١٨٨
فصل من كلام المؤلف	١٨٩
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « قل أئنكم لتكفرون » الخ	١٩٠
فصل من كلام المؤلف	١٩٠
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم » الخ	١٩٠
فصل من كلام المؤلف	١٩٢
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » الخ	١٩٢
كلام أبي بكر الصديق في تفسير الآية	١٩٢
حديث « قل آمنت بالله ثم استقم »	١٩٣
حديث « من أحب لقاء الله »	١٩٣
فصل من كلام المؤلف	١٩٤
الباب الخامس: تفسير قوله تعالى « ومن آياته الليل » الخ	١٩٤

فصل من كلام المؤلف	١٩٥
الباب السادس: تفسير قوله تعالى « إليه يرد علم الساعة » الخ	١٩٥
فصل من كلام المؤلف	١٩٦
سورة الشورى – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء »	١٩٦
فصل من كلام المؤلف	١٩٨
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « فما أوتيتم من شيء » الخ	١٩٩
فصل من كلام المؤلف	٢٠٠
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « وما كان لهم من أولياء ينصرونهم »	٢٠١
فصل من كلام المؤلف	٢٠١
سورة الزخرف – الباب الأول: تفسير قوله تعالى: « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن » الخ	٢٠١
فصل من كلام المؤلف	٢٠٥
الاحتجاج بالقدر	٢٠٥
الإرادة القدرية	٢٠٥
الإرادة الشرعية	٢٠٥
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « فاستمسك بالذي أوحى إليك » الخ	٢٠٧
فصل من كلام المؤلف	٢٠٨
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « ولما جاء عيسى بالبينات » الخ	٢٠٩
فائدتان من كلام المؤلف	٢٠٩
الباب الرابع: تفسير قوله تعالى « قل إن كان للرحمن ولد » الخ	٢١٠
فصل من كلام المؤلف	٢١٠
سورة الدخان – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « رب السموات والأرض » الخ	٢١١

فصل من كلام المؤلف	٢١٢
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين »	٢١٢
فصل من كلام المؤلف	٢١٢
سورة الجاثية – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « وخلق السموات » الخ	٢١٣
فائدتان من كلام المؤلف	٢١٣
إنكار التحسين والتقبيح العقليين	٢١٣
الإنكار على من أحل الربا	٢١٤
سورة الأحقاف – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « قل أرءيتم ما تدعون »	٢١٥
فصل من كلام المؤلف	٢١٦
أنواع الكفار في هذا الزمان	٢١٦
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « واذكر أخا عاد »	٢١٨
فصل من كلام المؤلف	٢١٩
الباب الثالث: تفسير قوله تعالى « ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى » إلخ	٢٢٠
فصل من كلام المؤلف	٢٢٠
قراءة القرآن لا تنفع إلا صاحبها إن تقلبت منه	٢٢١
سورة القتال – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله » الخ	٢٢١
استغفار النبي ﷺ	٢٢٢
حديث « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم »	٢٢٢
فصل من كلام المؤلف	٢٢٢
شروط لا إله إلا الله	٢٢٢
سورة الفتح – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « إذ جعل الذين في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية »	٢٢٣
فصل من كلام المؤلف	٢٢٣

سورة ق - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد »	٢٢٤
حديث « يخرج عنق من جهنم »	٢٢٤
فصل من كلام المؤلف زيادة البيان	٢٢٤
سورة الذاريات - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « والسماء بنيناها »	٢٢٥
فصل من كلام المؤلف	٢٢٥
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس » الخ	٢٢٦
حديث أنى أنا الرازق	٢٢٦
فصل من كلام المؤلف	٢٢٦
سورة الطور - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « أم خلقوا من غير شيء » الخ	٢٢٦
حديث قراءة النبي ﷺ بالطور	٢٢٧
فصل من كلام المؤلف	٢٢٧
إقامة البرهان على أن الله خالق كل شيء	٢٢٨
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « أم لهم إله غير الله »	٢٢٩
فصل من كلام المؤلف	٢٢٩
سورة النجم - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « أفرأيتم اللات والعزى » الخ	٢٢٩
افتخار أبى سفيان بالعزى وجواب النبي ﷺ به	٢٣٠
حديث « من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله »	٢٣٠
فصل من كلام المؤلف	٢٣١
سورة المجادلة - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « لا تجد قوما يؤمنون » الخ	٢٣٢
حديث « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدًا »	٢٣٤
فصل من كلام المؤلف	٢٣٤
سورة الحشر - الباب الأول: تفسير قوله تعالى هو الله لا إله إلا هو » الخ	٢٣٥

ذكر أسماء الله الحسنى والقصيدة الهلالية والضمياطية	٢٣٦
ذكر التوسل الحق والتوسل الباطل	٢٣٧
سورة الممتحنة – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا »	٢٣٨
أول سورة البراءة من أدلة البراءة والولاء	٢٣٩
قصة حاطب بن أبي بلتعة	٢٣٩
قصة المرأة حاملة الكتاب	٢٣٩
حديث القوم الذي أسخطوا الله	٢٤٠
حديث « إن أبي وأباك في النار »	٢٤١
التبرؤ من الشرك لازم للمؤمن الصادق	٢٤١
فائدتان من كلام المؤلف	٢٤٢
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات »	٢٤٣
حديث « لا والله ما مست يده يد امرأة »	٢٤٤
حديث « إني لا أصافح النساء »	٢٤٤
أخذ العهد على النساء أن لا يخن إلى آخره	٢٤٤
حديث « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك »	٢٤٤
قتل الجنين كقتل المولود	٢٤٤
حديث « أيما امرأة أدخلت على قوم » الخ	٢٤٤
فائدتان من كلام المؤلف	٢٤٥
حكم إفساد النطفة	٢٤٥
سورة الصف – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب »	٢٤٦
فصل من كلام المؤلف	٢٤٦
الرد على أعداء الإسلام المرتدين	٢٤٦

سورة التغابن - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « الله لا إله إلا هو »	٢٤٨
فصل من كلام المؤلف	٢٤٨
حكم تعلق التمائم	٢٤٨
حديث في النهى عن تعليق التمائم للبهائم	٢٤٩
أحاديث أخرى في النهى عن التمائم	٢٤٩
سورة الطلاق - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً »	٢٤٩
حديث أبى ذر مع النبي ﷺ	٢٤٩
حديث « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا »	٢٤٩
فصل من كلام المؤلف	٢٥٠
سورة القلم - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « أم لهم شركاء فليتأتوا بشركائهم » الخ	٢٥٠
فصل من كلام المؤلف	٢٥١
سورة نوح - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه »	٢٥١
فصل من كلام المؤلف	٢٥٥
سورة الجن - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « قل أوحى إلى أنه استمع » الخ	٢٥٧
فصل من كلام المؤلف	٢٥٨
حكايات في الخوف من الجن والذبح له	٢٥٨
الباب الثاني: تفسير قوله تعالى « وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون »	٢٦٠
فصل من كلام المؤلف	٢٦١
سورة المزمل - الباب الأول: تفسير قوله تعالى « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو » الخ	٢٦٢
فصل من كلام المؤلف	٢٦٢

دعوة المصنف إلى الله في صعيد مصر	٢٦٣
سورة المدثر – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر »	٢٦٤
مدة نبوة النبي ﷺ قبل إرساله	٢٦٤
فصل من كلام المؤلف	٢٦٥
سورة الدهر – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً »	٢٦٥
حديث « من نذر أن يطع الله فليطعه »	٢٦٥
حديث ابن عمر مع السائل	٢٦٦
حديث « أفضل الصدقة »	٢٦٦
حديث إكرام الأسارى	٢٦٦
فائدتان من كلام المؤلف	٢٦٦
محاكمة الحلفاء لأعدائهم بعد الحرب	٢٦٧
قصة صلاح الدين الأيوبي مع ملك بريطانية	٢٦٧
سورة البينة – الباب الأول تفسير قوله تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله »	٢٦٧
حديث « ألا أخبركم بخير البرية »	٢٦٩
فائدتان من كلام المؤلف	٢٦٩
رد القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص	٢٦٩
حديث « يوشك أن يكون خير مال المسلم »	٢٦٩
سورة قريش – الباب الأول: في تفسير قوله تعالى « فليعبدوا رب هذا البيت » الخ	٢٧٠
فصل من كلام المؤلف	٢٧٠
سورة الكافرون – الباب الأول: تفسير قوله تعالى « قل يا أيها الكافرون » الخ	٢٧١
أحاديث فضل هذه السورة	٢٧١

فصل من كلام المؤلف	٢٧٢
فهرست الخاتمة	٢٧٣
أصل عبادة الأوثان	٢٧٣
الغلو في قبور الصالحين	٢٧٣
حديث « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح »	٢٧٣
حديث هلك المتنطعون	٢٧٣
باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح	٢٧٣
حديث أم سلمة في كنيسة الحبشة	٢٧٣
حديث عائشة « لعنة الله على اليهود والنصارى »	٢٧٣
حديث جندب « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد »	٢٧٣
حديث « إن من شر الناس من تدركهم الساعة »	٢٧٤
حديث « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد »	٢٧٤
حديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم »	٢٧٤
حديث « إن الله زوى لي الأرض »	٢٧٥
شرح حديث « لا تطروني »	٢٧٥
ذكر غلو البوصيرى وغيره	٢٧٦
شرح حديث « إياكم والغلو »	٢٧٦
شرح حديث « هلك المتنطعون »	٢٧٦
شرح حديث أم سلمة المتعلق بكنسية الحبشة	٢٧٧
خشوع عباد القبور عند قبور أوليائه	٢٧٧
تحريم الحنابلة والشافعية الصلاة عند القبور	٢٧٨
شرح حديث لعن الله اليهود والنصارى	٢٧٨
كلام القرطبي في عبادة القبور	٢٧٩
كلام آخر للقرطبي في مبالغة المسلمين في المنع من الغلو في قبر النبي	٢٧٩

كيف بنوا المثلث	٢٧٩
شرح حديث جندب	٢٧٩
إني أبرأ إلى الله	٢٧٩
معنى الخلة وأنا أعلى من المحبة	٢٧٩
دليل على فضل الصديق وضلال الرافضة والجهمية	٢٨٠
البناء على القبور والصلاة عندها أعظم مشاقة للرسول	٢٨١
حديث « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة »	٢٨١
الرد على من قال النهى عن الصلاة عند القبور لنجاستها	٢٨١
شرح حديث « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة »	٢٨٢
تصريح أصحاب مالك والشافعي بتحريم بناء المساجد على القبور	٢٨٢
وجوب هدم المساجد المبنية على القبور	٢٨٢
إفتاء الشافعية بهدم القباب	٢٨٢
مذهب مالك في البناء على القبور	٢٨٣
كلام الحنفية في ذلك	٢٨٣
كلام الشافعية في ذلك	٢٨٣
كلام الحنابلة في ذلك	٢٨٣
قول علي « لا أصلي في الحمام ولا عند قبر »	٢٨٤
مناقشة المرخصين في ذلك	٢٨٤
شرح حديث « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد »	٢٨٥
قول عبد الله بن مسعود « كيف أنتم إذا لبستكم فتنة »	٢٨٥
قطع عمر لشجرة بيعة الرسول	٢٨٥
قول عمر « إنما هلك من كان قبلكم تتبع آثار أنبيائهم »	٢٨٥
تعمية قبر دانيال عليه السلام	٢٨٦
لا تخص بقعة بعبادة إلا بإذن الشارع	٢٨٦

كراهية مالك أن يقال زرت قبر النبي	٢٨٧
حديث أبي هريرة « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً »	٢٨٨
حديث « اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم »	٢٨٨
شرح حديث « لا تجعلوا قبري عيدا »	٢٨٨
شرح حديث علي بن الحسين في النهي عن إتيان حجرة النبي	٢٨٩
كراهية إتيان الحجرة للدعاء عندها	٢٩٠
لم يكن الصحابة والتابعون يأتون إلى حجرة النبي	٢٩٠
لم يكن أحد من الصحابة يأتي يسلم على القبر إلا ابن عمر	٢٩٠
حديث « لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاث »	٢٩١
لا تشدوا الرحال إلى الطور	٢٩١
تفسير « لا تتخذن عليهم مسجدا »	٢٩٣
تفسير حديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم »	٢٩٣
قول سفيان في علماء وعباد السوء	٢٩٣
شرح حديث « إن الله زوى لي الأرض »	٢٩٣
حديث « يتقارب الزمان وينقص العلم »	٢٩٦
قول بعض الدجاجلة من كان له حاجة فليأت إلى قبره	٢٩٦
حديث « أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون »	٢٩٦
حديث « من أحدث حدثا أو آوى محدثا »	٢٩٦
قول « يهدم الإسلام زلة العالم » الخ	٢٩٧
حديث « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس »	٢٩٧
خبر المختار بن أبي عبيد	٢٩٨
الطائفة المنصورة هم أهل الحديث بشهادة الأئمة	٢٩٩
الدليل على أن الاجتهاد لا ينقطع	٢٩٩

